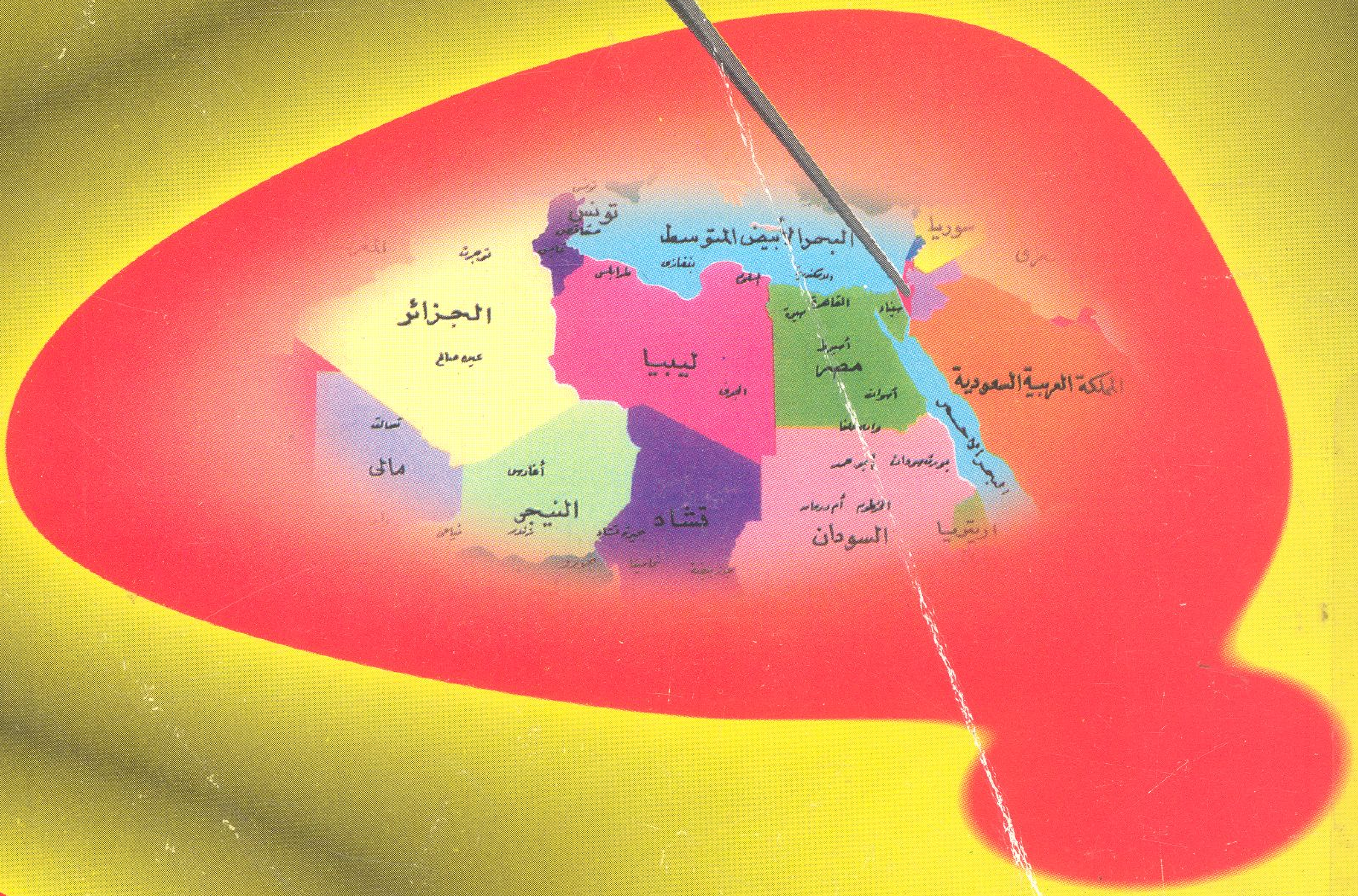
محمد عبد المنعم عامر

إسرائيل...

- الأساطير
- تزييف التاريخ
- المؤامرة الإستعمارية





المكتبة الأكاديمية

إسرائيل ...

الأساطير - تزييف التاريخ - المؤامرة الاستعمارية

محمد عبد المنعم عامر

اسرائيل ...

- الأساطير
- تزييف التاريخ
- المؤامرة الاستعمارية



الناشر

المكتبة الاكاديمية

٢٠٠٠

حقوق النشر

المكتبة الاكاديمية

١٢١ شارع التحرير – الدقى – القاهرة

تليفون : ٣٤٨٥٢٨٢ / ٣٤٩١٨٩٠

فاكس : ٣٤٩١٨٩٠ – ٢٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الفصل الخامس :

الفصل السادس :

الفصل السابع :

الفصل الثامن :

الفصل التاسع :

الفصل العاشر :

الفصل الحادي عشر :

الفصل الثاني عشر :

ملاحق الكتاب

تقديم

فلسطين جزء عربى أصيل لا يتجزأ من أرض العروبة، والشعب الفلسطينى جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، وقضية فلسطين جزء لا يتجزأ من قضية العرب الكبرى وهى القومية العربية، إنها قضية وطن سليب، وشعب مغلوب على أمره، وليست بالقضية التى يمكن للعرب أن ينسوها فى يوم من الأيام . إنها حقهم الهضيم وأرضهم المغتصبة وشعبهم المشرد الذى تألبت عليه قوى الاستعمار والصهيونية فجردته من حقوقه فى وطنه وأرضه ودياره وتقرير مصيره، وعرضته لشتى الاخطار..

يرجع العهد بالصهونية، كحركة سياسية إلى القرن التاسع عشر، وقبل هذا القرن كانت عقيدة تتمثل بعاطفة حنين وشوق إلى الوطن المفقود «المزعوم» .

ولكلمة (صهيون) ثلاثة معان فى أذهان اليهود، فمنهم من يفسرها بما جاء فى العهد القديم بأنها مدينة الملك الأعظم أى مدينة الإله ملك اسرائيل . ومنهم من يرجعها إلى المعنى الذى جاءت به التوراة :« وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم الى اليبوسيين سكان الأرض وأخذ الملك حصن المدينة، حصن صهيون وأقام داوود فى الحصن وسماه مدينة داوود» والفريق الثالث يعطى لكلمة (صهيون) معناها الجغرافى العام باعتبارها اسم جبل يقع إلى الشرق من مدينة القدس أورشليم ..

يقول هرتزل « الصهيونية هى حركة الشعب اليهودى فى طريقه الى فلسطين، وأن العودة الى فلسطين يجب أن تسبقها العودة الى الدين اليهودى، ويقول دافيد بن جوريون «إن الصهونية ليست مجرد نظرية شاملة أو مفهوم فلسفى أو دينى مستقل عن الزمان والمكان والظروف ولكن الصهونية فى الواقع هى فلسفة جوهرها نضال ضد الاندماج» . وهى (مصدر عميق عاطفى دائم ـ وهو قديم قدم الشعب اليهودى ذاته، هذا المصدر هو الوعد الإلهى والأمل

بالعودة، ويرجع هذا الوعد الى قصة اليهودى الأول (أى سيدنا إبراهيم عليه السلام) الذى ابلغته السماء «أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضى بنى كنعان ملكا خالدا لك» .

وهكذا ركز الصهاينة حقهم فى فلسطين على :

أولاً : حقهم التاريخى .

ثانياً : العهد الإلهى الذى يزعمون أن السماء قد أعطته لهم كحجتين رئيسيتين أقاموا عليها حقهم الطبيعى، فى إنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين العربية .

وسوف نبرهن بالوقائع التاريخية والمعطيات العلمية أن اليهود الذين اغتصبوا فلسطين بحد السلاح وبالتواطئ مع الإستعمار ليس لهم أى حق تاريخى فى فلسطين العربية وأن «العهد الإلهى» لا يعدو أن يكون اسطورة اختلقوها لأنفسهم .

لقد قامت اسرائيل منذ أقدم العصور على تزييف الحقائق فمالم يؤد تزييف الحقائق إلى كل النتائج التى تنشدها جماعة المزيفين الذين تسموا باسم الصهاينة؛ زيفوا ما فى الكتب السماوية ذاتها .

فإسرائيل منذ فجر التاريخ عنوان التزييف، وهى التى تألفت فى ذلك التاريخ السحيق عن المنشقين المعادين لليهودية الصحيحة التى جاء بها موسى عليه السلام .

«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون» .

هذا ما سوف نتعرض له باستفاضة، منذ بداية الديانة اليهودية الموسوية إلى المؤسسة الصهيونية التى تقوم باسم الدين اليهودى الموسوى المفترى عليه وبالتواطؤ مع الاستعمار العالمى باحتلال ارض وتحطيم وطن ..

والله ولى التوفيق ،،،

المؤلف

الفصل الأول

عقيدة بنى إسرائيل

- العهد القديم
- التلمود
- بروتوكولات حكماء صهيون
- اليهود وتزييف التاريخ
- قصة صلب المسيح
- اليهود يحاربون دعوة الإسلام

عقيدة بنى إسرائيل

من الناحية الواقعية التاريخية يتضح أن بنى إسرائيل أهملوا المصدر الحقيقى للعقيدة، وهو السماء وانساقوا خلف مصادر أخرى، فقد مرت ببنى إسرائيل أحداث خطيرة عاشوا فى مصر، ووقعوا بين شقى الرحى فى فلسطين ونفوا إلى بابل، وفى فترة الصراع بينهم وبين الدول، ثم فى فترة التشرد كتبوا العهد القديم، ووضعوا التلمود، وبروتوكولات حكماء صهيون، وأصبحت هذه المصادر هى المصادر الواقعية للعقيدة اليهودية (١).

١ ـ *العهد القديم* :

لم يستطيع بنو إسرائيل فى أية فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً فى جميع مراحل تاريخهم، وتصور اليهود الله فى العهد القديم يبعده كل البعد عما يتصف به الآله عند أى جماعة من جماعات المتدينين، وتجعله هذه الصفات لا مرشداً هادياً وإنما أنعكاسا لصفاتهم واتجاهاتهم ويقول «ول ديورانت» : يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليه وجعلوا منه إلها ويؤيد ذلك أن من بين الآثار التى وجدت فى كنعان سنة ١٩٣١ قطعاً من الخزف من بقايا عصر البرونز (٣٠٠٠ق.م) عليها اسم إله كنعانى يسمى «ياه» أو «يهوه».

فيهوه ليس خالقاً لهم، وإنما هو مخلوق لهم، وهو لا يأمرهم بل يسير على هواهم، وكثيرا ما يأتمر بأمرهم، وفى «يهوه» صفاتهم الحربية إن هم حاربوا، وصفات التدمير لأنهم مدمرون، وهو يأمرهم بالسرقة إذا أرادوا أن يسرقوا، ويتعلم منهم ما يريدونه أن يعلم.

(١) المسيحية وإسرائيل ـ بشرى زخارى ميخائيل.

ويهوه ليس معصوماً من الخطأ فكثيراً ما يقع فى الخطأ ثم يندم على ما فعل، وفى نص التوراة. فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه (خروج ٣٢: ١٤) وفى نص آخر «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا: ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى» (صموئيل الأول ١٥, ٤٠).

والإله يهوه يأمر بالسرقة فهو يأمر بنى إسرائيل « ان تطلب كل أمرأة منهم من جارتها ومن نزيلة بيتها فضة وأمتعه ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » (خروج ٣، ٢٢).

ويهوه إله قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعب بل إله إسرائيل فقط، وهو بهذا عدو للآلهة الآخرين؛ كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى « متى أتى بك الرب إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتملكها وطرد وشعوبا كثيرة من أمامك شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب الهلك أمامك وضوربتهم فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق بهم» (تثنية ٧، ١ - ٢).

وهناك صفة أخرى من صفات يهوه هى أن التوراه تصور موسى ذا سلطان عليه، ينصحه فينتصح ويتخذ موسى وهو ينصحه موقف المرشد المعلم، فمن ذلك أن يهوه غضب على إسرائيل وقال لموسى : اتركنى ليحمى غضبى وافنيهم، فراجعه موسى وقال له ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟ فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه (خروج ٣٢، ١٠، ١٤).

ويهوه لا يدعى أنه عالم ويطلب من بنى إسرائيل أن يرشدوه فقد قرر حينما كان بنو إسرائيل لا يزالون فى مصر « أن يجتاز فى أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم (خروج ١٢، ١٢).

ولكن يهوه لا يريد أن تنزل ضرباته ببنى إسرائيل، ولذلك فإنه يطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة، بأن يجعلوا الدم على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت (خروج ١٢، ٧).

(١) انظر قصة الحضارة (ول ديورانت) ص ٣٤ ج ٢.

ومن الأوصاف البشرية لـ « يهوه ما جاء فى التوراه » ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل (خروج ٢٤، ٩ - ١١)

مسألة الألوهية إذاً لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى إسرائيل فقد كانت المادية، والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم، وحينما جاءهم المسيح لا ليقيم لهم ملك سليمان ولا ليملأ أيديهم من زينة الحياة الدنيا وزخارفها. ولكن ليطب أرواحهم المريضة ولينزع الغل الذى ملأ قلوبهم والذى عزلهم عن المجتمع الإنسانى وأغرى بهم الناس أن يعاملوهم معاملة العدو الذى يتربص بهم الدوائر... حينما جاء المسيح ليخلصهم من تلك الأمراض الخبيثة المندسة فى نفوسهم، المتسلطة على عقولهم، استقبلوا هذه الدعوة بوجوه منكرة وقلوب مغلقة، فلم يروا فيها بارقة من بارقات الخير، فأداروا لها ظهورهم.

٢ ـ اليهود والمسيح

تخلصوا من المسيح المزعوم بزعمهم، ليستقبلوا المسيح المرسوم بوهمهم، وأنهم مازالوا فى معرض الاستقبال ينتظرون... وهيهات. إنهم ينتظرون مسيحاً يملأ أيديهم بالذهب، ويفتح عليهم كنوز الأرض، لا مسيحا يبشر فيهم بملكوت السموات. ومما يقوله «ديورانت» فى موقف اليهود من الإله لهو أصدق دليل على أن اليهود هم اليهود... عباد مادة، لايعرفون المثل الرفيعة، ولا يؤمنون بالمعانى الكريمة إلا أن تكون مادة تقع فى حساب الموازين والمقاييس... درهما وقنطارا أو ذراعاً وباعاً.. المال كما يقول « كارل ماركس فى كتابه » المسألة اليهودية هو إله إسرائيل المطماع، وأمامه لا ينبغى لأى إله أن يعيش. إن المال يخفض جميع آلهة البشر ويحولها إلى سلعة، إن المال هو الجوهر الذى يسيطر على الإنسان ويستعبده لقد أصبح إله اليهود إلهاً للناس جميعاً، وهذا انتصار لليهود!!.

وإذا تخطينا عدة قرون فاننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهودية ربًّا جديداً نفعيًّا كذلك، ذلك هو تربة فلسطين وزهر برتقالها : والذى يقرأ رواية «طوبى للخائفين» للكاتبة الصهيونية «باثيل ديان» ابنة القائد الصهيونى موشى ديان، يجد أحد أبطالها «ايفرى» ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب إلى المعبد، وان يحول اهتمامه لإلهه الجديد :

تربة فلسطين. ونقتبس فيما يلى سطوراً من هذه الرواية « الصبى يجب أن يذهب إلى المعبد مع أمه، ولكنه عندما عاد من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق، قال له : أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها كان من الضرورى بالنسبة لنا ان نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونزود عنه الردى، أما الآن فقد أصبح لدينا شيء أهم هو الأرض : أنت الآن إسرائيلى ولست مجرد يهودى، إنى قد تركت فى روسيا كل شيء، ملابسى ومتاعى وأقاربى وأهلى، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب من تراب الأرض، وسكبها فى كف ابنه وقال له : امسك هذا التراب اقبض عليه، تحسسه، تذوقه، هذا هو ربك الجديد إذا اردت ان تصلى للسماء، فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا هذا هو المهم، إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد. إذا أردت أن تسلى نفسك وتتعلم شيئا فاذهب وتعلم حلب البقر(١) .

هذه دلالة واضحة على أن إسرائيل دولة أقامها ناس لا علاقة لهم بالدين ولا يعترفون به، بل إنهم هاربون من دينهم قبل أى شيء آخر، ورغم استناد الفكر الصهيونى فى دعوته إلى المصدر الدينى المحض إلا ان ذلك لا يعدو أن يكون استغلالا سياسيا للعقيدة الدينية. إنهم متماسكون بصورة دينية ولكنهم ليسو متدينين، ودلالة واضحة أيضا على أن اليهودية ليست إلا شريعة دنيوية لا تمت إلى تعاليم موسى إلا بصلة الاسم فقط، فالأنانية وحب الثراء، وصنعة التنجيم والسحر، وإكبار شأن المادة، وإرسال الغموض على يوم الدينونة تبعد بعد السماء عن الوصايا العشر التى أتى بها موسى صاحب الرسالة الموسوية الأصيلة، وتجعلها تختلف اختلافا بينا عن بقية الديانات السماوية الأخرى، ذلك أنهم فسروا هذه الوصايا لحسابهم وعلى هواهم، فأصبحت كلمة لا تقتل تعنى لا تقتل اليهودى، وكلمة لا تسرق تعنى لا تسرق اليهودى، ولا تزن تعنى لا تزن باليهودية... وهكذا.

إن الدين اليهودى الحالى لا يعترف إلا بألوهية « يهوه» كرب أعلنه مؤلف سفر الخروج، خاص بالعبريين، ثم جعله من دون سائر آلهة العصر إلها خاصاً لبنى إسرائيل.

يقيناً لقد خاض مؤلف « سفر الخروج » فى خضم الترهات خوضاً عجيباً، لا لأنه قد انتزع من وهاد الربوبية القبلية هذا الرب انتزاعا وجعله لإسرائيل إلهاً فحسب، وإنما لأنه قد افترى

(١) انظر مقارنة الأديان ـ اليهودية للدكتور أحمد شلبى .

على موسى عليه السلام إذ نسب إليه هذه الافتراءات، وقال عنه إنه بهذا الرب أتى وجعله لإسرائيل إلها غداه إلى مصر عاد بعدهم باسمه امتلاك «أرض كنعان» ميراثاً، فنحن نسمع من نصوص هذا السفر ما يؤكد محلية « يهوه» عبر هذا القول الزور الذى وضعه هذا المؤلف اليهودى بين شفتى موسى لحظة.

ازداد تحنيا عليه وتطاولا، وقال بأنه كما يخوض غمار القتال راح يترنم بصفة «يهوه» ربا كالأرباب قائلاً : الرب رجل الحرب. من مثلك بين الآلهة يا رب !

بهذا الاعتراف الرسمى الذى يجىء الينا من هذا المؤلف اليهودى صريحا يقول إن « يهوه» بالألوهية لم ينفرد، وإن لم يكن إلا بين أرباب العصر ربا، وإنه لم يكن إلا لإسرائيل إلها جاء بعدهم « أرض كنعان» ملكا وميراثا نضع أيدينا على مواطن الضعف فى تاريخ « عقيدة الأرض الموعودة » عند اليهود أنفسهم إن الوعد بمنح « أرض كنعان» إلى بنى إسرائيل لم يجىء إلا على لسان « يهوه »

٣ ـ التلمود :

إلى جانب العهد القديم، هناك مصادر أخرى يلتزم اليهود بتقديسها، ولا تقل أهمية عن العهد القديم، ويضفى عليها اليهود القداسة ويستمدون منها التوجيه، من هذه المصادر التلمود.



عالم تلمودى يقرأ التلمود الذى وضعوه لأنفسهم. ويؤمنون بأنه الكتاب الثانى الذى أنزل على موسى !!

ويعتبر اليهود التلمود كتاباً منزلاً ويضعونه فى منزلة التوراة، ويرون أن الله اعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود، بل يضعون هذه الروايات الشفوية فى منزلة أسمى من التوراة.

وكان أول من جمع تلك التفسيرات فى كتاب سماه « المشنا » هو الحاخام « يوخاس »

حوالى سنة ١٥٠م. ومشنا معناها الشريعة المعتادة أو المكررة، وقد زيد فى القرون التالية على كتاب المشنا الأصلى شروح أخرى صار تأليفها فى فلسطين وبابل، ثم علق اليهود على المشنا حواشى كثيرة وشروح مسهبة دعوها « جامارة »؛ فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع الجامارة كونت التلمود ومعناها : تعليم ديانة اليهود وآدابهم، وهذه الشروح مأخوذة من مصدرين أصليين أحدهما يسمى بتلمود أورشليم، وقد كان موجوداً فى فلسطين سنة ٢٣٠م وسمى تلمود أورشليم ، وثانيهما كان موجوداً بالعراق ٥٠٥م وسمى تلمود بابل(١).

وتضطرب أقوال اليهود أحياناً وهم يضعون التلمود فى تلك المكانة، فلا يكتفون بما أوردناه من التلمود منزل، بل يعلنون أن التلمود وإن كان من أقوال الحاخامات فهو أيضاً فى مكانة التوراه، وأن من ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراه فقط لاخلاص له.

وجاء فى كتاب يهودى يدعى « كرافت » مطبوع سنة ١٩٥٠ ما يلى « اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وقال أحد علمائهم ويدعى « ميمانود» إن مخالفة الحاخامات هى مخالفة الله، وقال آخر : إن من يقرأ التوراه دون المشنا والجامارة فليس له إله »

وجاء فى التلمود نفسه ص ٧٤ : إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها أو تغييرها ولو بأمر الله ! لا، بل لقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ إلا له مما اضطره جلت قدرته إلي الاعتراف بخطئه (٢).

فما هى تعاليم أولئك الحاخامات التى يدين بها اليهود ويقدسونها ؟ يتحدث التلمود فى شتى الموضوعات، يتحدث عن الله، وعن أرواح اليهود، وعن اليهود وغيرهم من غير اليهود الذين يطلق عليهم اسم « الجوييم » (٣) أو الاممين، ويتحدث كذلك عن اليهود والتملك إلى جانب موضوعات أخرى كثيرة، سنأخذ منها بالقدر الذى يهيئ للقارىء أخذ فكرة عما يكنه اليهود للمؤمنين من عداء وعنصرية وبغضاء.

(١) اعترف كثير من الصهيونية أن هذا الكتاب المقدس « التلمود » من وضعهم ومنهم (أيلى ليفى أبو عسل) صاحب كتاب يقظة العالم اليهودى، الذى قال ما نصه ص ٣٧ (وفى وسط هذه العلاقات مد يهود مصر يد المساعدة لإخوانهم للنهوض بالعمل الأثرى الخالد فى فلسطين، وعاونوهم فى إنشاء التلمود وتنسيقه) .

(٢) انظر الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ترجمة الدكتور يوسف نصر الله .

(٣) يسمى اليهود من عداهم « الجوييم» أو الأمميين ومعناها الكفرة والأنجاس والبهائم والوثنيين .

ـ فالبنسبة لذات الله مثلا نجد أن العصمة ليست من صفاته فى رأى التلمود لأنه غضب مرة على بنى أسرائيل، فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلا ضد العدالة.

ـ وعن اليهود وغير اليهود فقد جاء فى التلمود أن الإسرائيلى معتبراً عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهود جزء من الله، فإذا ضرب أمى إسرائيليًّا فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم ويلزم التلمود بنى إسرائيل أن يغشوا سواهم، وأن يستعملوا النفاق مع غير اليهود، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود.

ـ أرواح غير اليهود ليست لها حرمة لدى اليهود، جاء فى التلمود : محرم على اليهودى أن ينجى أحدا من الاميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رأى أحد الاميين يقع فى حفرة لزمه أن يسدها بحجر.

ـ من العدل أن يقتل اليهودى كل أمى لأنه بذلك يقدم قربانا لله.

ـ على اليهود أن يعاملوا المسيحين كحيوانات دنيئة غير عاقلة.

ـ لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات أى غير اليهوديات.

ـ أما عن المسيح فيقول التلمود: إن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار، وأن مريم أمه أتت به من العسكرى « بندارا» عن طريق الخطيئة.

ـ أن الكنائس النصرانية هى بمقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها، وأن العهد مع المسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودى القيام به، وأنه من الواجب أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى إسرائيل.

بروتوكولات حكماء صهيون (١)

وبروتوكولات معناها محاضر جلسات ويسميها بعض الباحثين قرارات، ولا تزال هذه البروتوكولات بل وقت وضعها من الأسرار التى لم تكتشف بعد حتى الآن.

(١) المصدر السابق وعباس العقاد بروتوكولات حكماء صهيون.

ويرى بعض الباحثين أن هذه البروتوكولات كانت القرارات السرية لمؤتمر (بال) ١٨٩٧، أما القرارات العلنية فهي التي أعلنت عن ضرورة قيام دولة اليهود في فلسطين.

وأهم ما يعنى به اليهود في الفترة الأولى هو إعداد الشعب اليهودى للسلطان وتثبيت الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار، فالناس قسمان: يهود وأممين (أى كفرة وثنيون) واليهود شعب الله المختار، وهم أصلاء في الإنسانية والأمميون اتباع فيها، وعلى هذا فمن حق اليهود معاملتهم كالبهائم. ويرى اليهود فى هذه المرحلة أيضا تمزيق الأوطان والقضاء على القوميات والأديان ونشر الإباحية والفوضوية والسيطرة.. إلخ

فإذا تحقق انتصار اليهود قاموا بتطبيق القسم الثانى، وذلك بأن يقيموا مملكة استيرادية تحكم العالم كله ويكون مقرها أورشليم أولا ثم تستقر فى روما إلى الأبد ويعاقد على العرش حكام من ذرية داود !؟.

ومن نماذج تعاليم البروتوكولات :

- أن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقى وما هو خير بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى.

- أن فائدتنا نحن فى ذبول الأممين وضعفهم وقوتنا تكمن فى أن يبقى العامل فى فقر ومرض دائمين، لأننا بذلك نجعله عبداً لإرادتنا..

- حينما نستحوذ على السلطة يجب أن نمحو كلمة الحرية من معجم الإنسانية.

- لقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادىء ونظريات معروفة لدينا زيفها التام.

- وحينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض، لن نسمح بقيام دين غير ديننا، وسنكون قد حطمنا كل عقائد الأديان الأخرى وسنفضح كل مساوىء الديانات الأخرى.

- أمامنا الآن بضع سنوات لتحل اللحظة، التى يتم فيها تحطيم الديانة المسيحية تحطيماً تاماً.

- سنحط من كرامة رجال الدين الأممين لننجح فى الإضرار برسائلهم، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهيارا تاما، يتبعها فى الانهيار باقى الأديان ويصير ملك إسرائيل باباً للعالم.

وبعد فقد وضع الصهاينة هذه البروتوكولات متزامنة مع أطماع الصهيونية فى نهاية القرن الماضى، أى منذ مائة عام فقط، ومن عجب أن هذه الفترة ذاتها هى التى وقف العالم المسيحى إلى جوار الصهيونية العالمية - على ما أبدته لهم من احتقار لدينهم وحضاراتهم وشعوبهم، وبدلا من أن تقوم جبهة عريضة فى مواجهة الردة اللاإنسانية التى تمثلها الصهيونية، تقوم هذه الدول وفى مقدمتها إنجلترا وأمريكا وفرنسا باحتواء هذه الحركة البغيضة المتسلطة، وتعاونها على إنشاء دولتها الشاذة، وبدلاً من تكوين الأجهزة التى تقاوم هذا التسلط البغيض اللاأخلاقى، والذى يعمل على تحطيم الحضارة الإنسانية بكاملها، أقول هذه الدول هى نفسها - وطيلة هذا القرن - هى التى حمت الصهيونية بدلاً من أن تحمى قيمها الموروثة ودينتها وحضارتها..

اليهود وصلب المسيح :(١)

الاناجيل صريحة كل الصراحة فى أدانة اليهود أنهم هم الذين قرروا وطلبوا صلب المسيح، وقد سجلت الأناجيل هذا الحدث فى ملحمة تثير الشجن والأسى وتبعث الحنق والمقت لأولئك الذين فعلوا هذه الفعلة النكراء التى لم تشهد الانسانية مأساة مثلها ففى الأناجيل تصوير دقيق مفصل لكل حركة أو همسة أو خلجة لهذه المأساة، إذ لم يترك التلاميذ الذين كتبوا الأناجيل أيه خطوة من خطوات المسيح وهو يساق إلى ساحة الصلب إلا سجلوها وسجلوا ما تلبس بها من دقيق وجليل(١).

فإذا قام المجمع المقدس بتبرئة اليهود من دم المسيح، فما ذلك إلا جانباً من مخطط صهيونى للقضاء على الأديان، دنياً بعد دين، حتى يخلو لهم وجه الحياة، وتبدد كل قوة تقف لأطماعهم، وحينئذ يسوقون القطيع الإنسانى إلى الغابات التى يريدونها، ويعملون لها منذ كان لهم مجتمع بين الناس.

(١) مع أن القرآن الكريم يقرر أن اليهود لم يصلبوا المسيح وإنما صلبوا شبيهه فإن نية قتل المسيح كانت متوفرة لديهم، وأن رفعه إلى السماء كان فوق إرادتهم وهم يحملون وزر غدرهم بالمسيح إلى قيام الساعة.

(١) المسيحية وإسرائيل - بشرى زخارى ميخائيل.

لقد قامت إسرائيل كلها، منذ أقدم العصور على تزييف الحقائق فلما لم يؤد تزييف الحقائق إلى كل النتائج التى تنشدها جماعة المزيفين الذين تسموا باسم الصهاينة زيفوا ما فى الكتب السماوية ذاتها وما التأييد الذى تلقاه إسرائيل من أمريكا المسيحية إلا نتيجة لهذا التزييف(١).

والصهيونية إذاً هى حركة لصوصية لدين موسى، ثم هى حركة لصوصية لدين المسيح، وقد جاءت حركة اللصوصية الثانية عن طريق التزييف الذى أدخله الصهاينة فى بعض الكتب، مع أن بداية دعوته هى النهاية لما سبقها من دعوات لها.

لقد دسوا على الكهنوت الكاثوليكى يهودا متنصرين، ونجحوا فى استمالة عدد من الانصار من بين صفوف أعضاء المجمع المقدس، وكان أن صدرت وثيقة تبرئة اليهود من مسئولية صلب المسيح وإلقاء هذه المسئولية على الجنس البشرى كله وبذلك ضمنت الصهيونية القطاع الكاثوليكى من العالم، بعد أن ضمنت القطاع البروتستنتى واستنفدت كثيرا من طاقته لمصلحتها.

إن إصدار قرار يتعارض مع نصوص العهد الجديد ليس إلا مؤامرة سياسية يؤكدها أن أصحاب هذا القرار من دول خلقت إسرائيل واغتصبت لها الأرض العربية وشردت أهلها، وأبرزتها إلى الكيان السياسى بقرار هذه الدول الاستعمارية لحمايتها، ثم أرادت أن تدعم كيانها السياسى بقرار دينى فهى من ثم بدعة مغرضة بدعة مجاملة الصهيونية عن طريق تزييف التاريخ.

بنو إسرائيل ومحاربتهم لدعوة الاسلام

ذكرنا جانبا مما جاء عن تمرد بنى إسرائيل على أنبيائهم منذ بعثة رسولهم موسى عليه السلام وأذاقوه من كفرهم بتعاليم السماء منذ عبورهم البحر ـ بمعجزة كبرى ـ حتى موت موسى وهارون وامتداد هذا العصيان حتى ظهور الديانة المسيحية وتكذيبهم لها إلى حد صلب المسيح نفسه بادعاءات من صنع أيديهم، لولا أن نجاه الله، « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ».

(١) المصدر السابق.

ونأتى الى المرحلة الثالثة لمحاربة هؤلاء القوم للأديان السماوية وآخرها الدين الإسلامى ومحاربتهم لهذه الدعوة الإسلامية منذ ظهورها فى المدينة، وقصتهم مع الرسول والإسلام يحكيها القرآن الكريم، وفصلها فيما بعد :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ١ ﴾ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يأولى الأبصر ﴿ ٢ ﴾ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الأخرة عذاب النار ﴿ ٣ ﴾ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴿ ٤ ﴾ (سورة الحشر)

لليهود فى المدينة وما حولها قصة طويلة مع الرسول (ﷺ) شكلت جانبا كبيرا من تاريخ الرسول وتاريخ الدعوة فى المدينة، وما جابهها من مشكلات، وما اضطر الرسول إليه من اتخاذ مواقف معهم للقضاء على هذه المشاكل(١)..

ورجعة إلى فترة ما قبل هجرة الرسول للمدينة، نرى أن طوائف عدة من اليهود الذين هاجروا من جنوب الجزيرة قد استقروا فى المدينة، أو فى ضواحيها، وكانوا يعتبرون أنفسهم بما عندهم من دين أرقى من عرب المدينة وقبائلها المشركة، وكشأنهم دائماً عاشت كل طائفة أو عدة طوائف منهم فى ظل أهل البلد الأصليين من الأوس والخزرج، وكانتا قبيلتين متناحرتين فلاذت كل جماعة منهم إلى إحداهما وتحالفوا معها وعاشوا فى حمايتها.. لكنهم بطبيعتهم عملوا على بث الشقاق وأذكوا نار العدواة بين القبيلتين ليحلو لهم العيش فى ظل الخلاف..

وكثيراً ما كانوا يفتخرون على العرب المشركين بأن لهم رسولاً وكتاباً، ويتوعدهم بأن رسولاً سيظهر ويتحدون معه ويعدون به.. وكان هذا الذى يقولونه لأهل المدينة من العرب، أحد العوامل التى ساعدت على إقبال أهل المدينة على ما قاله الرسول لهم ودعاهم إليه حين قابل الحجاج منهم، وعقد معهم بيعة العقبة الأولى، والبيعة الثانية.

(١) لليهود قصة مع الرسول والإسلام - د. عبد المنعم النمر.

وحين وصل الرسول للمدينة، كان اليهود ضمن من خفوا لاستقباله دون أن يتوقعوا منه خطراً عليهم، وربما ظنوا أنهم سيحتوونه، وربما ظنوا أنه لن ينجح فى تكوين جماعة قوية تكون خطراً عليهم ولذلك أقبلوا على إمضاء المعاهدة التى وضعها الرسول بينه وبينهم وبين مشركى المدينة. بقصد تنظيم الوضع الداخلى بين سكان المدينة وضواحيها، ليعيش الجميع فى سلام بعضهم مع بعض، وليدافعوا جميعاً عن مدينتهم.. وقد تأخر يهود بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع عن التوقيع ثم جاءوا بعد قليل ووقعوا عليها.. والتزموا بنصوصها وروحها..

وكان ذلك من الرسول أول عمل سياسى واجتماعى، يوفر على سكان المدينة وضواحيها أمنهم وراحتهم ويضمهم جميعاً فى حلف واحد ضد أى مغير عليهم.

وفى ظل هذا الحلف، وظل الإخاء الذى عقده الرسول بين المهاجرين والأنصار، سار الرسول فى دعوته، يكسب القلوب، ويلفت الأنظار إليه بسلامة دعوته، وبخلقه وعدله وبساطته فى معيشته، وفى التفاف المسلمين حوله.. وظهرت بذلك شخصية المسلمين وقوتهم.. وبدأت الغيرة تدب فى قلوب اليهود، والحقد يأكل هذه القلوب، وبدأوا يثيرون حرب الجدال بينهم وبين الرسول، أو الحرب العلمية.. ويثيرون المشاكل والدسائس.. واليهود لهم حصيلة من دينهم ومن الأخبار الماضية التى جاءت فى التوراة.. فأخذوا يثيرون الأسئلة والشبه لزعزعة المؤمنين فى عقيدتهم، وأظهر جماعة منهم إسلامهم وانضموا إلى صفوف المسلمين لكى يتمكنوا أكثر من أغراضهم الخبيثة.. ثم عز عليهم أن يجدوا الأوس والخزرج وقد نسوا خلافاتهم وأصبحوا جماعة واحدة حول الرسول يمثلون قوة يخشى بأسها، وقد عاشوا من قبل متحاربين، واليهود يعيشون فى ظل هذا الخلاف، عز عليهم هذا، فأخذوا يثيرون أخبار هذه الخلافات، ويلقون على مسامعهم ما كان يقوله شعراء كل منهم فى الآخر، ليفتحوا الجروح بعدما اندملت بالإسلام، وتهيج الأوس والخزرج بهذه الذكريات، وتقوم بينهم المعارك من جديد، ويدركهم الرسول فيوبخهم ويطفئ النيران التى أشعلها أحد اليهود فى نفوسهم وتنزل الآية ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ فيثوبون إلى رشدهم ويعانق بعضهم بعضا ويبكون ويستغفرون الله.

وكلما مرت الأيام انكشف اليهود، وظهرت بوادر الحقد فى نفوسهم، وظهر تلاعبهم بالعهد الذى قطعوه على أنفسهم، حتى كانت تقع بينهم، وبين بعض المسلمين حوادث فردية، لما كان يحصل منهم، من تطاول على الإسلام ورسوله والمؤمنين..

إخراج بنى قينقاع

لم يف اليهود بعهودهم مع الرسول فى توفير التعايش السلمى بين سكان المدينة جميعاً وبدءوا يثيرون المتاعب، والشقاق بين المسلمين، ويلقون الشبه فى طريق الإسلام ويعلنون عما فى قلوبهم من حقد على الرسول والمسلمين. وظهر ذلك شديداً واضحاً بعد انتصار الرسول فى معركة بدر، حيث لم يستطع اليهود التحكم فى عواطفهم العدائية للرسول.. وأخذوا يثيرون فتنة داخلية فى المدينة. والرسول ﷺ هو الشخصية القوية التى ترعى تنفيذ المعاهدة السلمية التى عقدها من قبل حين دخوله المدينة.. ولم يستطع المسلمون الصبر على ما يثيره هؤلاء اليهود من فتن داخلية لا سيما زعيمهم كعب بن الأشراف. فاستدرجوه وقضوا عليه، لعلهم يخافون ويكفون عن إثارة الفتن، والتعرض للرسول والمسلمين.

ولكنهم مع ذلك لم يكفوا عن عبثهم واستهتارهم بعهودهم.. حتى امرأة مسلمة فى سوق اليهود من بنى قينقاع ومعها حلية جلست إلى صائغ منهم بها.. فتطاولوا عليها، وأخذوا يطلبون منها كشف وجهها وهى تأبى.. فجاء يهودى خبيث من خلفها و« شبك » طرف ثوبها بشوكة إلى ظهر جلبابها، وهى لا تدرى.. فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا فصاحت، فأدركها رجل من المسلمين وقتل الصائغ اليهودى، فوثب عليه اليهود وقتلوه. واستصرخ أهل المسلم المسلمين فوقعت معركة بينهم.. وتدخل الرسول وطلب إلى اليهود أن يكفوا عن عبثتهم وإيذائهم للمسلمين، وأن يحافظوا على العهد وإلا نزل بهم ما نزل بقريش، فاستخفوا به، وقالوا له : لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا عهد لهم بالحرب، فأصبحت منهم فرصة، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. وهنا وصل الأمر إلى مرتبة التحدى بين الرسول وبين اليهود.. ولم يكن من المقبول أن يبلغ الرسول والمسلمون هذا التحدى ويسكتوا، فيزداد اليهود فى غيهم واعتدآتهم.. وتضيع هيبة المسلمين ورسولهم.

كان مما لابد منه أن يكون.. وأحاط المسلمون بمنازل بنى قينقاع وحاصروها خمسة عشر

يوماً متتابعة لا يدخل ولا يخرج أحد، حتى استسلموا.. وقرر الرسول بعد مشورة أصحابه قتلهم جميعاً جزاء خيانتهم لعهودهم وتطاولهم على حرمات المسلمين، وتحديهم للرسول.

عبد الله بن أبى يتدخل

وهنا يتدخل رجل من كبار العرب بالمدينة كان قبيل مقدم الرسول سيتوج كحاكم للمدينة.. واضطر لقبول الأمر الواقع، وداهن الرسول، وسار مع الركب الجديد، وفي قلبه ما فيه من ضغينة، كان كما يسمى فى التاريخ ويشير القرآن رأس المنافقين وكبيرهم، فهو مسلم فى ظاهر الأمر ولكنه شديد الكيد للإسلام، حتى استأذن ابنه عبد الله وكان من أخلص الصحابة للرسول أن يقتله بيده. فرقَّ الرسول وعدل عن قتله.. توسط هذا الرجل ولكن بشيء من الجلافة والصلف حتى لا ينفذ الرسول حكمه وغضب الرسول لهذه الجلافة، وعبد الله بن أبّى رأس المنافقين يصر على توسطه وإلحاحه، مرة بعد مرة ويقول: إني والله امرؤ أخشى الدوائر.. وتقدم عبادة بن الصامت الصحابى المخلص للرسول بمثل رأى ابن أبى.

وحينئذ رأى الرسول أن يسدى هذه اليد والمنة إلى عبد الله بن أبى وإلى المشركين من حلفاء بنى قينقاع، ويعدل عن قتلهم، ويقرر إخراجهم جميعاً من المدينة. وخرجوا تاركين وراءهم دورهم وأسلحتهم وأموالهم، وتوجهوا إلى الشمال حتى استقر بهم المقام فى أذرعات على حدود الشام.

درس لغيرهم

وكانت هذه خطوة لابد منها ليستقر الأمر فى المدينة، ولا ينتقض أحد فيها على العهد المأخوذ، كان درساً لكل من تسول له نفسه العبث بأمن المدينة وبالعهد المأخوذ على الجميع، ولا سيما اليهود الذين يكثر شغبهم، وتحركهم مطامعهم وأحقادهم.. فقد رأوا المصير الذى ينتظر كل عابث منهم.

وتمتعت المدينة بعد هذا الدرس بجو هادئ وإن كان يحوى تحته ما يحويه من غل اليهود وتربصهم بالرسول والمؤمنين.

وحدثت غزوة أحد وانهزم المسلمون فيها بعد نصر واستشهد منهم من استشهد وعلى رأسهم أسد الله حمزة عم الرسول.. وكانت فرصة استرد فيها اليهود والمنافقون أنفاسهم وفرحوا بما أصاب المؤمنين. وجاءت بعد ذلك أيضا حوادث مؤسفة للمؤمنين شجعت اليهود

والمشاغبين على الرسول بالمدينة على أن يزدادوا فى شماتتهم، وأن يرفعوا رءوسهم. وكان بالمدينة تجمعان قويان لليهود؛ بنو النضير، وبنو قريظة.

تآمر بنى النضير على الرسول

وفى هذا الجو ذهب الرسول ومعه عشرة من كبار الصحابة إلى محلة بنى النضير لأمر يحدثهم فيه فأحسنوا لقاءه، وأظهروا استعدادهم لما يطلبه منهم.. ولكن الرسول أحس وهو يتحدث معهم أنهم على غير عادتهم، وأنهم يدبرون أمراً خبيثاً، وكان فى غاية الحذر منهم، وعلى علم بما تطويه نفوسهم وقد ذهب إليهم ليختبر نواياهم، فكان مدة جلوسه معهم يراقب تصرفاتهم، ويرصد حركاتهم.. وكان يسند ظهره لجدار بيت من بيوتهم، فلمح بعد الأحاديث التى دارت فيما بينهم، أن أحدهم يدخل هذا البيت.. لينفذ مخططهم الذى أعلم الله به رسوله وهو إلقاء حجر عليه من سطح هذا البيت ليقتله.. فقام من فوره منسحباً من الجلسة تاركاً أصحابه معهم. فأسقط فى يد اليهود، حين رأوا أن صيدهم قد أفلت منهم، وبقى أصحابه فيهم وقتاً ينتظرون عودته.. ولكنه لم يعد، فقاموا ورجعوا ليلحقوا بالرسول.. وكان تدبيراً إلهياً أن يغادرهم الرسول فجأة، ويتركهم ويترك أصحابه على انتظار لعودته.. ليتمم حديثه معهم وبينما هم فى طريقهم قابلوا رجلاً قادماً إليهم يستدعيهم، ويخبرهم بأن الرسول وصل ودخل المسجد لتوه.. وكان لابد أن يفكروا كثيراً فى هذه الخطوة الغريبة التى خطاها الرسول، وفى الأسباب التى دعت إليها. وقصدوا المسجد رأساً، والتقوا بالرسول، وعلموا منه ما كان وراء مغادرة الرسول للمجلس فجأة، وأن ذلك كان لما أحسه الرسول من مؤامرة يدبرها اليهود لقتله..

إجراء حاسم

وإزاء هذه المؤامرة التى دبرها اليهود، خارجين بذلك على العهد الذى بينهم وبين الرسول، لم يكن أمام الرسول مفر من اتخاذ إجراء حاسم معهم.

فاستدعى محمد بن مسلمة أحد أصحابه وحمله هذا الإنذار لبنى النضير « اذهب إليهم وقل إن رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى، لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى. ولقد أجلتكم عشراً فمن ربى بعد ذلك ضربت عنقه» وأسقط فى يد

اليهود، وتأكدوا أن الرسول علم بمؤامراتهم، ولم يستطيعوا إزاء هذه المفاجأة إلا أن يقولوا لمحمد بن مسلمة الذى جاءهم بهذا الإنذار « ما كان أن يأتى بهذا رجل من الأوس» لأنهم كانوا حلفاءهم، فقال لهم : « تغيرت القلوب».

وفى أثناء ذلك بدأ رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول يتحرك، ويحرضهم على ألا يهتموا بهذا الإنذار، وأن معه قوة ستقف معهم ضد محمد.. وبدأ بنو النضير يفكرون على ضوء هذا الوعد، فمنهم من اغتر وفرح به، ومنهم من لم يقتنع من حيث لم يستطع عبد الله من قبل أن يحمى بنى قينقاع ويمنع إخراجهم من المدينة.

وفى الوقت نفسه كانوا يعلمون أن إخوانهم من يهود بنى قريظة لن يتورطوا فى مساندتهم ولا فى نقض العهد الذى بينهم وبين الرسول.

ومع ذلك رفضوا إنذار الرسول، واستعدوا لمنازلته، وتحصنوا ببيوتهم وحصونهم.. وجمعوا ما أمكن أن يجمعوه من سلاح ومؤنة داخل الحصون.. وانقضت المدة ولم يخرجوا.. فكان لابد من اتخاذ الخطوة الأخيرة معهم..

الرسول يحاصرهم

وجمع الرسول أصحابه بأسلحتهم، وساروا إلى ديار بنى النضير لمنازلتهم، وظلت الحرب عشرين يوماً وكلما ظفر المسلمون بموقع، تقهقر عنه اليهود وخربوه، وتحصنوا بآخر.. ورأى الرسول أن تعلقهم بزراعتهم وأرضهم ونخيلهم يحملهم على الاستبسال فى الحرب، فأشار على المسلمين بإبادة هذا الزرع، حتى يعرف اليهود تصميم الرسول على تنفيذ إنذاره.. وحتى تضعف عزيمتهم فى تعلقهم بأرضهم.. وارتفعت أصوات اليهود تعترض على الرسول: إنك تنهى عن التخريب فكيف تفعله؟.

ونزلت الآية ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين ﴾ والمراد « باللينة » النخلة لأن الرسول أمر بقطع نخيلهم وهى رأس مالهم..

وانتظروا أن ينفذ عبد الله بن أبى لهم بالمساعدة، فلم يجدوا شيئاووجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام رسول الله وقوته التى تحاصرهم فلم يجدوا مفراً من التسليم.

إخراج يهود بنى النضير

استسلم يهود بني النضير بعد حصارهم عشرين يوماً، وبعد يأسهم من أية مساعدة لهم سواء من رأس المنافقين، أو من يهود بنى قريظة، وبعد أن تأكدوا من عزم الرسول على تنفيذ إنذاره، وضعفهم أمام قوته المحاصرة لهم.. وما حصل لدورهم وحقولهم من تخريب، طلبوا من الرسول أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة.. واستجاب الرسول لإنهاء القتال والمحاصرة، على أن يخرجوا من المدينة، ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من مال وطعام. ولم يكن أمام اليهود مفر من النزول عند هذا الشرط.. وبدءوا يجلون عن المدينة ويخرجون منها على هذه الصورة ناجين بأرواحهم، وبما يستطيعون حمله من مال وطعام.. وعلى رأسهم « حيى بن أخطب » تاركين دورهم وأراضيهم وما لم يستطيعوا حمله معهم للمسلمين وقائدهم ورسولهم.. ونزلوا فى أقرب تجمع لليهود من المدينة وهى «خيبر»، ومنهم من واصل سيره إلى الشمال واستقروا فى « أذرعات » كما استقر بنو قينقاع من قبل.

إجراء لا مفر منه

قد يقف بعض المؤرخين عند هذا الإجراء، ويعدونه إجراءً قاسياً، فكيف يخرج الرسول أناسا من دورهم وحقولهم وقد استقروا فيها وعمروها من قبل أن يقدم الرسول إلى المدينة.. ولكن لابد أن نراعى أن الرسول حين قدم للمدينة عقد معهم ومع غيرهم من طوائف سكان المدينة معاهدة أمن وسلام داخلى، ودفاع جماعى عن المدينة.. ولكل طائفة منتهى حريتها مادامت ترعى هذا العهد.

وكان عهدا لابد منه ليعيش سكان المدينة فى أمن وسلام. وقد حافظ الرسول والمسلمون على هذا العهد من جانبهم.. ولم يكن من المقبول أبداً أن تتحرك إحدى الطوائف بالمدينة لتنتقض هذا العهد، ولتحول المدينة إلى منطقة صراع داخلى يشقى به سكانها.

وإذا كان العهد يقضى على سكان المدينة جميعاً أن يتحدوا للدفاع عنها

وعن أمنها، فليس من المقبول أن يجئ الشر للمدينة من داخلها وممن أخذوا العهد على أنفسهم بتوفير الأمن الداخلي والخارجي لها.

ولقد سبق لأناس تمردوا على هذا العهد ونقضوه أن طردوا من المدينة، لأنهم أصبحوا مرضا فيها، وكان هذا يقضي على من بقي من سكان المدينة أن يفوا بعهدهم ويلتزموه، وألا يثيروا نزاعاً وصراعاً داخلياً فيها لكي يبقى لها أمنها..

ولكن بعضهم تحرك تحركاً خطيراً، ودبر المؤامرات، واتصل بالأعداء فى مكة وغيرها ليثيرهم على الرسول. أما وقد وصل الصراع إلى هذا الحد، فلا مفر من المجابهة مع المصارعين الناقضين للعهد... وهم إما أن يكونوا أقوياء يتغلبون بقوتهم على رسول الله فيتحكمون فى أمره وأمر المسلمين، ويذلونهم، وإما أن يكون الطرف الآخر قوياً فيطهر المدينة ومجتمعها منهم.

لم يكن هناك مفر من هذه المواجهة.. وما كان يمكن أن يصالحهم الرسول ويتركهم مكتفياً بكلام وعهد معهم، فهم لم يرعوا العهد الوثق من قبل، وقد انحاز إليهم المنافقون وناصروهم بالكلام والوعد، وإن لم يستطيعوا المناصرة العملية لهم خوفاً من قوة المسلمين.. ولو استمروا فى حياتهم بالمدينة لبقوا فيها فساد وإفساد، ينضم إليها المنافقون، فيزيدون المدينة خبالاً وتفككاً وفساداً، وتآمراً على الرسول.

والرقعة الصغيرة من المدينة وضواحيها لا تتحمل هذا الصراع.. ولا يمكن أن يأمن الرسول على نفسه وأصحابه ودعوته، ومجابهة أعدائها من المكيين وغيرهم، وهذا حال المدينة والصراع فيها..

وبهذه الموازين أخرج الرسول بنى قينقاع جزاء لهم على ما اقترفوا وأخرج بنى النضير كذلك ولم يكن هناك بديل آخر من هذا الإجراء واليهود قوم غرباء على أرض المدينة وسط سكانها العرب، وهم وإن استطاعوا أن يكونوا ثروة، ويحوزوا أرضا، ويعيشوا بدسائسهم وسط العرب، فهم ليسوا بعرب وليسوا من سكان المدينة الأصلين فهم قوم نزحوا إليها من الجنوب واستقروا فيها وطاب لهم العيش، والرسول لم يبادئهم بشر، بل عقد معهم كما عقد مع العرب المشركين من أهل المدينة معاهدة أمن وسلام وتعايش سلمى ودفاع عن المدينة، ولم يحافظوا على العهد.. فماذا كان يمكن عمله معهم؟

ماذا كان يمكن لآخر غير الرسول أن يفعله لو كان فى موقفه؟

لم يكن هناك مفر أبدا من هذا الإجراء.. واليهود الذين مهدوا له، وأجبروا الرسول على اتخاذه، وكما يقول الله ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾ والجزاء على قدر العمل.

ولقد استولى الرسول على الأموال والعقارات التى تركها بنو النضير، ورأى أن يقسمها على فقراء المهاجرين والأنصار.

وفى هذه الحادثة أو الموقعة نزلت سورة الحشر أى سورة الخروج، وتعنى خروج يهود بنى النضير؛ لتقص الأجزاء المهمة من وقائعها.

يهود بنى قريظة

وبعد أن أخرج الرسول يهود بنى النضير من المدينة لم يبق فيها تجمع لليهود ذو شأن إلا تجمع يهود بنى قريظة. وهؤلاء حتى ذلك الوقت، قد التزموا بالعهد لم يخرجوا عليه.. فتركوا وشأنهم، لم يتعرض لهم الرسول، ولم يؤاخذهم ــ كيهود ــ بما فعل غيرهم من إخوانهم.. وقد شهد بنو قريظة ما نزل بزملائهم وإخوانهم من بنى قينقاع وبنى النضير.. وكان عليهم أن يتعظوا بذلك، ولا يقدموا على نقض العهد.

ولكن اليهود كطبيعتهم لا يقفون عند عهد ولا وعد إذا ملكوا قوة، أو واتتهم فرصة.. وكيف، وهم لا يضمرون خيراً لغيرهم، وقد علمتهم كتبهم أنهم شعب الله المختار، ولا حرمة لغيرهم من الشعوب، وذهب بهم الغرور إلى حد إهدار دماء غيرهم وأموالهم، وعدم الالتزام بأية حرمة أو عهد تجاه غيرهم، وعدم الإيمان برسول من غير جنسهم.

ولهذا وجدنا يهود بنى قريظة ينتهزون المحنة التى يمر بها الرسول والمسلمون فى غزوة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق، ويتصلون سراً بمشركى قريش، يحرضونهم على الرسول، ويثيرونهم عليه، حتى إذا جمع المشركون جيوشهم وجاءوا للمدينة يهاجمونها ويقضون فيها على محمد ﷺ ودعوته وأصحابه، وجدوها فرصة عظيمة لهم، ليضربوا ضربتهم النافذة ويتخلصوا نهائياً من الرسول.

فاتصلوا سراً بقيادة جيش المشركين ــ أبى سفيان وأصحابه ــ أثناء حصارهم للمدينة ووقوفهم أمام الخندق، يلتمسون منفذاً لدور المدينة وللوصول إلى محمد، وبمقتضى العهد مع اليهود، اطمأن الرسول إليهم، ولو على حذر، ألا يسهلوا من جانبهم طريقاً للمشركين ينفذون منه إلى قلب المدينة.

ولكن يهود بنى قريظة لم يلتزموا بالعهد، واتصلوا سراً بالمشركين، وفاوضوهم ليفتحوا لهم الطريق من جانبهم.

وعلم الرسول بهذا.. فكان التدبير الذي اتخذه بمعاونة أحد المسلمين سراً «نعيم ابن مسعود» ليحبط هذا الاتفاق.. وجاءت آية الله فوق كل آية ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ أى على المشركين المعسكرين أمام الخندق.

وتخلص الرسول بهذا من جيش المشركين الذى رحل عائداً إلى مكة دون نصر.. واستدار للخونة يهود بنى قريظة لينزل بهم الجزاء المناسب سريعاً، فأمر المسلمين فور التخلص من المشركين بالذهاب إلى منازل بنى قريظة وحصارهم حتى استسلموا. وكان الحكم فيهم مناسباً لجرم خيانتهم : أن يقتل الرجال المقاتلون، وتسبى النساء والذرارى، وتقسم الأموال.. وتخلصت المدينة من آخر جيوب اليهود فيها.

وفى الآيات من أوائل سورة الأحزاب.. بعض دقائق هذه الحادثة ومصيرها.. ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ ولكن بقى على مقربة من المدينة جيب آخر استقروا فيه من قديم، كما نزح إليه الذين أخرجهم الرسول من المدينة، وهو جيب « خيبر » شوكة وخطراً على المسلمين من ناحية الشمال ناحية الروم، وهذا الجيب قضى على شوكته الرسول بعد ذلك، وأصبحوا خاضعين مزارعين فى أرضهم لدى المسلمين وتحت سلطانهم، وقد تركهم الرسول لأنهم لم يكونوا خطراً كخطر اليهود المقيمين بالمدينة، وليعمروا الأرض، ويتفرغ الأصحاب للجهاد فى سبيل الدعوة ومنازلة خصومها.

بنو إسرائيل فى القرأن الكريم

لقد حفل القرآن الكريم بقصص بنى إسرائيل وتألبهم على أنبيائهم منذ بداية الديانة اليهودية فى عصر نبى الله موسى عليه السلام وعصيانهم الدائم لتعاليم السماء، بل إنهم حرفوا التوراة وكتبوا التلمود بأيديهم زاعمين أنه الكتاب الثانى بعد التوراه، تلقاه موسى شفاهة من ربه وبعد ذلك بقرون طوال وضعوا بروتوكولات حكماء صهيون بكل ما فيها من أكاذيب وأباطيل ودعوة لتحطيم القيم والأخلاق بل وتعاليم السماء..

والقرآن الكريم وهو أوثق المصادر والنصوص الدينية، التى لم ينلها التحريف يقص علينا أصدق القصص عن هؤلاء فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خسئين ﴿ ٦٥ ﴾

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربهم وذلةٌ فى الحيوة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ﴿ ١٥٢ ﴾

اقرأ ما جاء فى بداية سورة البقرة، آل عمران ـ الأعراف ـ الإسراء ـ يوسف، وغيرها مما حفل به القرآن الكريم

الفصل الثانى

فلسطين عبر التاريخ ودعاوى اليهود الكاذبة والحركة الصهيونية

فلسطين عبر التاريخ ..
ودعاوى اليهود الكاذبة

ركز الصهاينة زعم حقهم فى فلسطين على :

أولا ـ « حقهم التاريخى »

ثانيا ـ « العهد الإلهى » الذى يزعمون أن السماء قد أعطته لهم ، كحجتين رئيسيتين أقاموا عليهما « حقهم الطبيعى » فى إنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين العربية .

وسوف نبرهن بالوقائع التاريخية والمعطيات العلمية أن اليهود الذين اغتصبوا فلسطين بحد السلاح وبالتواطئ مع الاستعمار ليس لهم أى حق تاريخى فى فلسطين العربية ، وأن «العهد الإلهى» لا يعدو أن يكون أسطورة اختلقوها لأنفسهم .

ذكرنا فى فصل سابق من هذه الدراسة نبذة موجزة عن ماهية الصهيونية وبعض أهدافها ، وقبل أن نبحث الظروف والملابسات التاريخية التى حبك فى جوها الصهاينة مؤامراتهم لاغتصاب فلسطين ، لابد من إلقاء نظرة فاحصة على التقلبات التاريخية التى مرت بها فلسطين عبر مختلف العصور ، حتى تتضح لنا على ضوئها القيمة الحقيقية للإدعاءات التى استظهرت بها الصهيونية لتبرر بها أمام رجال الحكم والسياسة ... وأمام الرأى العام بصورة عامة ، كل الجرائم التى ارتكبها لكى تتمكن من اغتصاب أرض فلسطين وتقيم عليها دولة إسرائيل على حساب شعبها العربى من مسلمين ومسيحيين .. وعلى حساب كل القيم الإنسانية وكل المعطيات التاريخية والقانونية (١) .

---

(١)هذه فلسطين ـ حسين التركى

فلسطين أرض بنى كنعان

يجمع المؤرخون على أن الكنعانيين هم أول من عرفهم التاريخ سكاناً لأرض فلسطين التى كانت تعرف بأرض كنعان، والتى يعتبرها المؤرخون والجغرافيون على أنها : « الجسر الطبيعي بين آسيا وإفريقيا وان أول من سكنها هم قبائل جاءت إليها من شبه الجزيرة العربية من ستة آلاف سنة خلت ».

. ودافيد بن غريون نفسه يشهد بذلك حين يفسر ماهية الصهيونية شارحاً المصدرين العميقين اللذين تستمد منهما هذه الحركة المتعصبة وجودها وفلسفتها السياسية فيقول شارحاً المصدر الأول : « .. هذا المصدر هو الوعد الإلهى والأمل بالعودة ويرجع هذا الوعد إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضى بنى كنعان ملكاً خالداً لك ».

فالأرض إذاً هى أرض بنى كنعان من قبل أن يولد سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن قبل أن يبعثه الله نبياً .. أى منذ ٤٠٠٠ سنة تقريباً حيث إن المؤرخين يرجعون تاريخ ميلاده إلى حوالى ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح عليه السلام.

النبى موسى يتخلى عن قيادة الأسباط اليهود

ومن جهة أخرى فإن جميع المؤرخين ـ بما فى ذلك اليهود منهم ـ يتفقون على أن هجرة الأسباط الاثنى عشرة التى هاجرت من مصر بقيادة النبى موسى عليه السلام كانت حوالى ١٤٤٠ قبل الميلاد .. وإن احتلال بعض من أجزاء فلسطين من طرف هؤلاء اليهود الذين تخلى عن قيادتهم النبى موسى لاتخاذهم العجل وعتوهم عن أمر ربهم والذين قادهم من بعده يوشع Josoe إلى « أرض الميعاد » .. إن ذلك وقع فى سنة ١٠٠ قبل الميلاد.

كما يجمع المؤرخون على أن « أرض كنعان » أصبحت تسمى فلسطين عندما احتل الفلسطينيون جزءا كبيراً من أراضيها الممتدة بين يافا وغزة على أثر سقوط دولة كريت وتحطيم أسطولها البحرى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

أول ملك يهودى على أرض فلسطين [1]

ويثبت التاريخ أن الضغط المسلط على أسباط اليهود من قبل الفلسطينيين حمل القبائل اليهودية على توحيد صفوفهم وانتخابهم لساوول Saoul أول ملك لهم. وكان ذلك سنة ١٠٥٠ قبل الميلاد... وهى أول ظاهرة تاريخية يظهر فيها اليهود على شكل مجموعة شبه منظمة على أرض فلسطين..

ويقول التاريخ إنه لم تمض أربعون سنة أى فى سنة ١٠١٠ قبل الميلاد حتى هزم الفلسطينيون ساوول وقتلوه فى معركة طاحنة، وسقط بذلك الملك اليهودى الأول..

النبى داوود يتزعم قيادة اليهود

ثم تزعم النبى داوود الشعب اليهودى واسترجع الأرض التى سقطت بأيدى أعداء ساوول وكون دولة يهودا التى ورث الحكم عليها من بعده ابنه سليمان. ويثبت التاريخ أن حكم داوود وابنه سليمان لم يدم سوى ٨٠ سنة متتالية. وهى الفترة التى يجمع كل المؤرخين على أنها الفترة الوحيدة التى يمكن القول بأن اليهود حكموا فيها فلسطين بحدودها الطبيعية المعروفة.. إذ يثبت التاريخ أن القبائل اليهودية انقسمت على نفسها بعد وفاة الملك سليمان وتكونت حوالى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد دولتان فى فلسطين هما: دولة يهودا Judée فى الجنوب، ودولة إسرائيل فى الشمال، وإن هاتين الدولتين كثيرا ما اشتبكتا فى حروب طاحنة..

إزالة الحكم اليهودى

كانت فلسطين ككل المناطق فى العالم المعروف حينذاك.. كانت تتحمل حروب الكر والفر، التى كانت تقوم بها الشعوب والقبائل فى تلك الفترة المضطربة من تاريخ الإنسانية.

فاحتل الآشوريون دولة إسرائيل سنة ٩١٥ ولما تعمّر أكثر من ١٥ سنة.. ثم احتل البابليون ـ وهم عرب ـ دولة يهوذا وشردوا كل من كان يسكنها من اليهود وأخذوهم أسرى إلى بابل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد.. وبذلك تكون دولة يهوذا التى لم تكن تحتل إلا جزءا ضئيلا من جنوب فلسطين لم تعمر سوى ١٥١ سنة..

(١) المصدر السابق.

ويثبت التاريخ أنه بعد أن شرد نبوخذ نصر Nabuchodonosor الإمبراطور البابلى الشعب اليهودى لم يبق أى أثر لحكم يهودى أو لسكان يهود فى فلسطين ما بين ٥٨٦ و١٦٧ قبل الميلاد أى لمدة ٤١٩ سنة متتالية، وقعت فيها فلسطين تحت حكم العرب النبطيين والسوريين.. ولم يظهر أى أثر لليهود كأفراد فى فلسطين، إلا بعد أن هزم الفرس البابليين، وحرروا اليهود من الأسر البابلى، وسمحوا لهم بالرجوع إلى فلسطين ولكنهم لم يحكموها.

آخر حكم يهودى فى فلسطين

وبعد ذلك سقطت فلسطين تحت حكم الإغريق بقيادة الإسكندر الأكبر، وبعدهم احتلها السوريون (٢٧٩ - ٣٠٠٠) والمصريون..(٢٧٩ - ٢٠٣) فالرومان،.. إلى أن ثارت بعض القبائل اليهودية بزعامة ماتاتيا ويهوذا ماكابى (١٦٩) اللذين تغلبا على الملك السورى انطيوكو الرابع.

فأصبح جزء من فلسطين تحت الحكم اليهودى بقيادة جوناطاس وسيمون ما بين ٦٣ قبل الميلاد و٦٧ بعد الميلاد.. ولم تدم هذه الزعامة اليهودية على جزء ضئيل من فلسطين إلا ١٣٠ سنة..

.. وأخيراً حطم القائد الرومانى تيتو أورشليم وحطم المعبد اليهودى الذى لم يبق منه إلا بعض من جدرانه أو ما يسمى « بحائط المبكى ».. وكان ذلك فى سنة ٧٠ ميلادية... ومنذ ذلك الحين انمحى كل أثر للحكم اليهودى فى فلسطين « ولم يبق أثر لأى يهودى لا فى القدس ولا فى فلسطين عامة » كما تقول مراجع التاريخ.

حقائق التاريخ(١)

تلك هى الحقبات التاريخية المتقطعة التى حكم اليهود فيها فلسطين.. ولو قمنا بعملية جمع لهذه الفترات المتقطعة المتباينة لوصلنا إلى النتيجة الآتية:

أ - سلطة يهودية فى أجزاء من فلسطين أثناء حكم داوود وابنه سليمان وهى الفترة الوحيدة التى ظهرت فيها سلطة يهودية مستقرة، امتدت من سنة ١٠١٠ إلى سنة ٩٣٠ أى لمدة ٨٠ سنة متتالية.

(١) المصدر السابق.

ب ـ فترات متقطعة من التاريخ حكم فيها بعض الزعماء اليهود بعض المناطق من فلسطين، وهى :

ـ حكم ساوول ملك اليهود الأول ٤٠ سنة

ـ دولتا إسرائيل ويهوذا ١٥١ سنة .

ـ حكم جوناطاس وسيمون ١٣٠ سنة. الجملة : ٣٢١ سنة .

وهكذا ينتهى بنا هذا السرد السريع للتقلبات التاريخية التى عاشتها فلسطين إلى الحقائق التاريخية التالية :

أولا ـ إن أرض فلسطين هى أرض عربية « أرض بنى كنعان » منذ فجر التاريخ .

ثانيا ـ إن القبائل اليهودية لم تظهر على أرض فلسطين إلا سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد أى ٤٠٠٠ سنة بعد ظهور العرب ؛ إذ يُرجع بعض المؤرخين ظهور الكنعانيين إلى سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد .

ثالثا ـ إن ظهور اليهود على أرض فلسطين لأول مرة فى التاريخ لم يأت إلا ٦٠٠ سنة بعد ميلاد سيدنا إبراهيم ،حيث إنه ولد حوالى سنة ٢٠٠٠ ولم يظهر اليهود على أرض فلسطين لأول مرة إلا سنة ١٤٠٠ بقيادة يوشع بعد أن تخلى عن قيادتهم النبى موسى .

رابعا ـ إن القبائل اليهودية لم تكوّن قط ما يمكن أن يسمى بدولة يهودية إلا فى عهد داوود وابنه سليمان ، ولم يدم حكمهما إلا ٨٠ سنة ، وهى الفترة الوحيدة التى ظهرت فيها سلطة يهودية مستقرة .

خامسا ـ إن اليهود لم يحكموا إلا أجزاء من فلسطين وفى فترات متقطعة ومتباينة ، وإن هذه الفترات المتقطعة والمتباينة لم تشكل إلا ٤٠١ سنة عبر ٤٠٠٠ سنة اعتباراً من مولد سيدنا إبراهيم عليه السلام .

سادسا ـ إن التاريخ لم يسجل قط خلو فلسطين من سكانها العرب أثناء التقلبات التاريخية والحروب التى دارت على أرضها . . وإنهم لم يغادروا بلادهم أثناء الاحتلال الأجنبى التى مرت بها فلسطين كما كانت تمر كل المناطق المعمورة من الأرض فى تلك الحقبات التاريخية .

سابعا ـ خلافاً لما سجله التاريخ لسكان فلسطين العرب الذين لم يخل منهم

وطنهم قط فإنه يسجل خلو فلسطين من كل أثر يهودى حكماً وسكاناً طيلة ٥٠ سنة حكمها فيها البابليون..

... وإنه بعد أن هزم الفرس البابليين وأرجعوا اليهود إلى فلسطين شردهم مرة أخرى القائد الرومانى تيتو سنة ٧٠ ميلادية حتى « لم يبق لهم أى أثر بعد ذلك لا فى القدس ولاغيرها من مناطق فلسطين ..».

وإن الأفراد من اليهود الذين رجعوا إلى فلسطين خلال الأحد عشر قرناً التالية، وبصورة خاصة بعد الفتح الإسلامى لفلسطين حيث نشر عليهم الحكم الإسلامى عدله وحمايته وحقق لهم حرية ممارسة شريعتهم.. حتى فى هذه الظروف من الأمن والسلام لم يتواجد فى فلسطين إلا أفراد قلائل من اليهود...

يقول بنجامين دى طوليدا Benjamin de Toleda، وهو يهودى زار القدس بين سنة ١١٧٠ وسنة ١١٧١ أى أحد عشر قرناً بعد أن شرد تيتو اليهود عن فلسطين.. إنه « لم يجد سوى ١٤٤٠ يهوديًا فى كامل فلسطين».

وهكذا يتضح جلياً أن سكان فلسطين العرب عمروها وواكبوا تقلبات تاريخها طيلة ٦٠٠٠ سنة (١) من تاريخ الإنسانية. وإنهم حكموها كنعانيين أو فلسطينيين أو آشوريين أو بابليين أو نبطيين أو مصريين طيلة هذه المدة ما عدا فترات الحكم المسلط بالسلاح لفترات من التاريخ كالحكم الفارسى والإغريقى والرومانى واليهودى.

ويقول الكاتب الأمريكى اليهودى موسيه مينوحين فى كتابه « انحلال اليهودية فى عصرنا »: « منذ أكثر من أربعة آلاف سنة كما تروى قصص التوراة، عاش الكنعانيون فى فلسطين. إن بعض عرب فلسطين الذين يعيشون الآن كلاجئين مشردين فى الخيام والأكواخ فى معسكرات خارج حدود وطنهم هم من نسل هؤلاء الكنعانيين القدامى الذين كانوا مزيجا من الساميين والآريين والحيثيين. لقد بنى الكنعانيون المدن والقصور واستعملوا الجياد والعربات وأقاموا المعابد المزينة بالأصنام. لقد عبدوا الطبيعة وكان أكبر إلهتهم إله العاصفة خالق البشرية. كانت بيوتهم مبنية بشكل جيد وبصورة فريدة فى ذلك الزمن.

(١) - جاء فى الموسوعة سلفاط Salvat أن «فلسطين تكون منذ فجر التاريخ الجسر الطبيعى بين آسيا وافريقيا، وأن أول من سكنها هم قبائل سامية جاءتها من شبه الجزيرة العربية، وأول القبائل السامية (الكنعانيين) التى تحدث عنها التاريخ ظهرت ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد».

« لقد عاصر الكنعانيون حروب الغزو التى شنها الإسرائيليون الأوائل وشهدوا الفاتحين يربحون ويخسرون فلسطين مرتين.. وأثناء ذلك كان الكنعانيون يواصلون أعمالهم الخاصة كفلاحين وعمال وعبيد. واعتنق قسم منهم اليهودية وقسم المسيحية، وحين خرج محمد (ﷺ) من الجزيرة ليفتح العالم ويحول الجميع إلى مسلمين، اعتنق أغلب سكان فلسطين الإسلام وشكلوا منذ بداية القرن السابع الميلادى شعباً عربياً واحداً متحداً، ولهذا نرى اليوم عرب فلسطين يشكلون الغالبية الساحقة من السكان منذ تلك الأيام ».

فلسطين لم تكن قط وطنا قوميا يهوديا

وبالإضافة إلى هذه الحقائق المجردة المثبتة بالحوادث والأرقام التاريخية، فإن سجل التاريخ يبرز لنا جانباً آخر يبرهن على أن فلسطين لم تكن وطناً قوميا لليهود وإنهم لم يُكوِّنوا فيها قط أمة بالمفهوم العلمى.

يفسر علماء الاجتماع كلمة « أمة » بأنها: « مجموعة من السكان يقطنون وطناً مشتركاً تجمعهم فيه وحدة المصدر ووحدة اللغة ووحدة العادات ووحدة التقاليد »... ويؤكد المؤرخون أن الأكاديين ـ كانوا يسيطرون على الإمبراطورية الآشورية، وأن الفضل فى إحداث المدنية الآشورية يرجع إليهم.. وأن اللغة العبرية هى نتيجة اندماج اللهجات التى كان يتكلمها الشعب اليهودى فى اللغة الأكادية.. وهكذا ولدت اللغة العبرية القديمة..

.. كما ولدت بعدها لغة اليدش Yiddisch وهى خليط من اللغة الألمانية القديمة واللغة العبرية. وهى اللغة التى يتكلمها اليهود الأشكنازيم المنحدرين من قبائل « القازار » التى اعتنقت الديانة اليهودية فى القرن الثامن الميلادى، والتى لا تمت بأية صلة إلى فلسطين تاريخيا ولا إلى السامية عنصرياً. والأشكنازيم هم أحفاد اليهود المنحدرين من روسيا وبولونيا وكل أقطار أوروبا الوسطى والأمريكتين.. وهم اليهود الذين يحكمون فلسطين اليوم ويضطهدون فيها الساميين من العرب واليهود باسم « حق الساميين » فى حكم وطنهم فلسطين!...

ويثبت التاريخ أنه فى القرن الخامس قبل الميلاد أزاحت اللغة الأرامية اللغة العبرية من مناطقها فى فلسطين ولم يبق لها وجود.. وإن اللغة الأرامية كانت اللغة السائدة فى فلسطين فى عهد السيد المسيح عليه السلام، وهى اللغة التى استعملها يسوع بن مريم.

.. وأن الكتب الثقافية اليهودية كتبت أغلبها باللغة الأرامية ومنها الكتب التى ألفها الحاخام اسدراس الذى ينحدر من سلالة هارون وكذلك كتاب النبى دنيال..

.. وأن وجود اللغة العبرية فى حياة الشعب اليهودى نفسه يرجع إلى القرن العاشر الميلادى، وأن هذه اللغة لم تجد جوا تزدهر فيه إلا فى إسبانيا تحت الحكم الإسلامى العربى، حيث اشتهر الفيلسوف ابن ميمون الذى ولد فى قرطبة وألف كتباً عديدة باللغتين العربية والعبرية.

وهكذا يتهدم الركن الأساسى الذى بنت عليه الصهيونية « الحق التاريخى » لليهود فى فلسطين بما سردناه من معطيات تاريخية تثبت أن فلسطين لم تكن وطنا قوميا لليهود.

أسطورة العهد الإلهى[1]

أما الركن الثانى الذى أقامت عليه الصهيونية حجتها فى « الحق التاريخى » لليهود فى فلسطين هى أسطورة « العهد » الذى يزعم اليهود أن السماء أعطته لليهودى الأول ـ أى سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ وهو ما تعتبره الصهيونية كما يقول دافيد بن غريون: « مصدرا عميقاً عاطفياً دائماً « يرجع » إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء: أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضى بنى كنعان ملكاً خالدا لك ».

فلنبحث حقيقة وقيمة هذا « العهد » الربانى على ضوء الحقيقة القرآنية أولا.. ثم على ضوء الحقيقة التوراتية والإنجيلية كما يفسرها علمياً الأستاذ أرثر غليوم ـ وغيره ـ أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة لندن وأستاذ اللغات الشرقية بجامعة درهام سابقاً، ومؤلف لعدة كتب عن العهد القديم والدراسات الإسلامية.

نظرة الإسلام

يشرح العلامة العربى الشهير الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى « ظلال القرآن » (الجزء الأول ص ١٥١ ـ ١٥٤) فيقول: من حقائق الخطوط الأساسية فى التطور الإسلامى أن العقيدة تقوم حينئذ على قرابة الإيمان لا على قرابة الدم والجنس..

(١) المصدر السابق.

والإسلام بمعنى إسلام الوجه لله وحده سبحانه كانت هى الرسالة الأولى، وهى الرسالة الأخيرة.. هكذا اعتقد إبراهيم وهكذا اعتقد بعده اسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط إلى أن أسلموا هذه العقيدة ذاتها إلى موسى وعيسى.. ثم آلت أخيراً إلى ورثة إبراهيم من المسلمين.. ومن البديهى أن من آمن بهذه العقيدة ورعاها فى أى جيل ومن أى قبيل فهو أحق بها من الصلب وأقرباء العصب.. فالدين دين الله وليس بين الله وبين أحد من عباده نسب ولاصهر.. ومن استقام على هذه العقيدة الواحدة فهو وريث عهودها وبشارتها ومن فسق عنها ورغب بنفسه عن ملة ابراهيم فقد فسق عن عهد الله وقد فقد وراثته لهذا العهد وبشارته.

تقول الآية الكريمة التى يشير إليها الأستاذ سيد قطب: « وإذ ابتلى إبراهيمَ رَبُّه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » (البقرة الآية ١٢٣).

« لقد اصطفى الله إبراهيم على الناس « إماماً » لأنه « وفى » ولأنه « أتم » ما أمره به فاستحق الإمامة.. وعندما سأل ابراهيمُ ربَّه « ومن ذريتى؟ » أى أن تكون الإمامة لأبنائه وأحفاده جاءه الرد الربانى القاطع: « لا ينال عهدى الظالمين ». وهذا العهد الذى لا التواء فيه ولا غموض إنما هو عهد قاطع فى تنحية اليهود عن القيادة والإمامة بما ظلموا وبما فسقوا وبما عتوا عن أمر ربهم وبما انحرفوا عن عقيدة جدهم إبراهيم ».

ويقول فى موضع آخر: « إن أهل الكتاب من اليهود يرجعون بأصولهم إلى إبراهيم عن طريق إسحاق.. وان قريشا لترجع بأصولها كذلك إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل عليهما السلام »

ومن المعلوم والثابت فى القرآن وحتى فى أسفار بنى إسرائيل أنفسهم أن أسباط اليهود التى كان يقودها النبى موسى بأمر من ربه إلى الأرض المقدسة عتت عن أمر ربها حين غاب عنها موسى أربعين ليلة فصاغ لهم السامرى عجلا من الذهب حتى عكفوا عليه.. ونسوا ربهم وعتوا عن أمره.

ومن الثابت فى أسفار بنى إسرائيل أنه عندما رجع النبى موسى « ليجد قومه عاكفين على عجل

من الذهب » اشتد غضبه وحطم الألواح وتخلى عن قيادة الأسباط الإسرائيلية وكلف يوشع josoe بقيادتهم.. ولم يعبر معهم نهر الأردن ولم يدخل فلسطين وصاح صيحته الشهيرة: « لقد عتت إسرائيل عن أمر ربها فلتكن مبعثرة فى رياح السماء الأربعة (أى الجهات الأربع من الأرض) وبذلك ينفرد النبى موسى عن بقية بنى إسرائيل باعتباره ليس بعبرانى؛ أى إنه الوحيد الذى لم يعبر نهر الأردن مع الذين عبروه من اليهود بقيادة يوشع ودخلوا أرض كنعان.

نظرة التوراة والإنجيل

هذه نظرة الدين كما وردت فى القرآن الكريم وفى أسفار بنى إسرائيل فلننظر إلى ما يقوله العلم المجرد على لسان الأستاذ آرثر غليوم ـ وغيره ـ على ضوء الحقيقة التوراتية والإنجيلية.

يقول الأستاذ غليوم أستاذ دراسات العهد القديم البريطانى. « قد يتراءى لقارىء سطحى أن وعداً إلهياً صدر قبل أربعة آلاف سنة وكرر مرارا بإعطاء أرض لشعب معين يجعل ذلك الشعب مالكاً لتلك البلاد باسم الحق المقدس.. فإذا كان هذا هو سند اليهود فى فلسطين فمن الواجب تفنيده تفنيداً دقيقاً، لذلك أرى بحث بعض النصوص المعروفة لدى اليهود المتدينين والتى كان لها أثرها العميق فى كثير من الجماعات المسيحية لا سيما فى أمريكا ».

والنقط التى تهمنا هى:

أولا ـ لمن منحت هذه الوعود؟..

ثانيا ـ ما حدود الأرض الموعودة؟..

ثالثا ـ هل كان الوعد مطلقاً دون قيد ولا شرط أو بقيد وشروط؟.

لمن أعطيت هذه الأرض؟

إن أول وعد بإعطاء فلسطين لذرية إبراهيم كان قرب نابلس: « وظهر الرب لإبراهيم وقال: لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له ». (سفر التكوين إصحاح ٧ : ١٢).

ومشيراً إلى ما جاء فى سفر التكوين ٢٨ : ١٣ ـ ١٥ من عبارات تضمنت الوعد بالأرض يقول:

«الاعتقاد الشائع أن هذه الوعود قطعت لليهود دون سواهم ولكن ليس ذلك ما تقوله التوراة فإن لكلمة ذريتك تشمل العرب أيضاً من مسلمين ومسيحيين من ذرية

إبراهيم من أبناء إسماعيل».

ومن الملاحظ هنا الاتفاق التام بين الأستاذ غليوم الذى يتفق فى الرأى مع الأستاذ سيد قطب الذى يرى الرأى نفسه حيث يقول: « أن أهل الكتاب من اليهود ليرجعون بأصولهم إلى إبراهيم عن طريق إسحاق ـ عليهما السلام وأن قريشاً لترجع بأصولها كذلك إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل ـ عليهما السلام ».

ويضيف الأستاذ غليوم « ولقد اشتهر إسماعيل بانتساب عدد كبير من القبائل العربية إليه، وسفر التكوين يذكر أن كثيراً من القبائل العربية إليه، وسفر التكوين يذكر أن كثيراً من القبائل العربية الشمالية تنتسب إلى إبراهيم عن طريق ابنه إسماعيل ولا يمكن القول بأن كلمات سفر التكوين ٢١ : ١٠ ـ ١٢ فسخت حق أبناء إسماعيل بالوراثة.. يضاف إلى هذا أن الختان الذى عقد عليه العهد كان ختان إسماعيل ولم يكن إسحاق قد ولد بعد، ويضيف: «نرى من هذه الدراسة االقصيرة للوعد المقدس الذى أعطى لأبناء إبراهيم أنه يشمل بالضرورة ذرارى اسماعيل ».

حدود الأرض الموعودة

ويقول الأستاذ غليوم بخصوص حدود الأرض الموعودة: « والمسألة الثانية هى مدى حدود الأرض الموعودة المشار إليها آنفاً بإشارة غامضة إلى: « هذه الأرض » وتبدأ هذه الأرض من نابلس لتشمل كل الأراضى الممتدة بين مصر والفرات.. والآية الثالثة تتكلم عن انتشار أولاد إبراهيم فى الجهات الأربع، ومن المهم أن نوضح أن هذا الوعد بالأراضى الممتدة بين النيل والفرات أعطى قبل مولد كل من إسماعيل وإسحاق، وهذا يعنى أنه يجب ألا تكون خالصة للإسرائيليين من دون الناس. وإذا استثنينا الفترة القصيرة التى اعترف فيها بسيطرة سليمان فإن هذه الأرض كانت دوماً ملكاً للعرب ».

هل الوعد قطعي؟...

يقول الأستاذ غليوم: أن كلمة (أولام) العبرية لا تعنى الديمومة ولا الأبدية ولكنها تعنى «زمناً طويلاً» ويشير إلى سوء الفهم الذى أحدثته النبوءات العبرية فيقول: «فإنه حتى لو لم تكن لدينا نصوص نبوية تهدينا إلى الحق لكان من البين أن وعود امتلاك أرض كنعان لم تكن مطلقة دون قيد أو شرط، ذلك أن الله عاهد بنى إسرائيل على الإخلاص فى العبادة وعلى

التعاون فيما بينهم وإتباع الحق وأنذرهم إن هم فسقوا عن أمره أن ينتظروا مصيراً رهيباً محتوماً » ويسرد الآية ٢٨ من سفر التثنية : « ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك : ملعوناً تكون فى المدينة ، وملعوناً تكون فى الحقل ، ويجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك وتكون قلقاً فى جميع ممالك الأرض . . . »

وفى هذا الصدد يلاحظ اتفاق الآيات القرآنية العديدة مع هذه المعانى نذكر منها الآية . . « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . (البقرة ـ ٦١)

ولقد جاء فى مقدمة لكتاب ألفه المربيرغر بعنوان « هل إسرائيل تحقيق لنبوءة توراتية قول الدكتور ويليم شتايتسبرغ : « ليس هناك أساس فى العهد القديم أو الجديد يدعم الإدعاء الصهيونى بأن دولة يهودية معاصرة فى فلسطين مبررة أو مطلوبة فى الإنجيل أو حسب النبوءة الإنجيلية . إن وعود النبوءة الإنجيلية تنطبق على البشرية جمعاء وليس على اليهود أو الصهيونيين ، وإن تعابير مثل « النصر » أو « الخلاص » فى معانيها الإنجيلية الحقيقية تعنى مكتسبات دينية وروحية وليس اجتياح أو تحطيم عدو سياسى . وحتى دون العبارات المحددة فى العهد الجديد بشأن الطبيعة الدينية والروحية للوعود لإسرائيل ، فإن العهد القديم للبشرية جمعاء وليس إلى « إسرائيل سياسية » تحتل أرضاً وبيوتاً تخص شعباً آخر » .

ويؤكد الدكتور آرثر غليوم فى (« إسرائيل والإنجيل » من كتاب « إسرائيل حسب النصوص المقدسة ») « إن الوعود الإلهية مهما كان من أمرها قد ألغيت بسبب جحود اليهود . وإن النبوءة بالعودة قد تحققت عندما عاد اليهود إلى يهوذا بعد الأسر (البابلى) ورفعوا جدران القدس وأعادوا بناء الهيكل . ولا يوجد فى الكتب المقدسة وعد بعودة ثانية ، وهكذا يتناقض قيام إسرائيل « كعودة بعد ألفى عام » مع وعد التوراة الذى يستندون إليه . ولهذا السبب يعتبر يهود « المرشيم » فى القدس أن إنشاء إسرائيل يخالف معتقداتهم . . إن النصوص المقدسة لا تتكلم عن إسرائيل كوحدة جغرافية أو عنصرية أو سياسية بل كمجموعة من المؤمنين » .

ثم يستخلص الأستاذ غليوم قائلا : « من هذا يتضح بجلاء أن الوعود الإلهية قد

نسخها شعور قومى صابئ خارج عن كل دين، ولقد رأى الأنبياء (اليهود) فى أسر الآشوريين لأهل سماريا والبابليين لأهل يهوذا مظهراً من مظاهر العدالة الإلهية من شعب عاص أنانى »..

وهكذا يتهدم الركن الثانى.. ركن « العهد الإلهى » الذى بنت عليه الصهيونية « الحق التاريخى » لليهود فى اغتصاب فلسطين وتشريد سكانها.. وتبقى إسرائيل أمام الضمير العالمى عامة والضمير اليهودى والضمير المسيحى خاصة دولة معتدية غاصبة لأرض لا حق لها فى حكمها.. إلا حق الغاب وقوة القهر الغاشمة، التى أنشئت هيئة الأمم المتحدة لتضع حدا لها.

الحركة الصهيونية

عرفنا من الدراسات السابقة أن الصهيونيين ليسوا ساميين، وليسوا من بنى إسرائيل ولاتربطهم بفلسطين أية رابطة من التاريخ. ولاتقوم دعواهم على وحدة الجنس. فهم من أجناس مختلفة. وهى لا تقوم إلا على وحدة العقيدة الدينية - ولو فى ظاهر الأمر - وإنما الحركة الصهيونية حركة استعمار واستغلال وتسلط. اتخذ دعاتها ذرائعها من مركز اليهود الخاص فى البلاد الأوروبية. أذكت نارها مشاعر الكراهية والحقد والتعصب الذميم.

يرجع العهد بالصهيونية، كحركة سياسية إلى القرن التاسع عشر، وقبل هذا القرن كانت عقيدة تتمثل بعاطفة حنين وشوق الى الوطن المفقود « المزعوم».

ولكلمة (صهيون) ثلاث معان فى أذهان اليهود، فمنهم من يفسرها بما جاء فى العهد القديم بأنها مدينة الملك الأعظم أى مدينة الإله ملك إسرائيل. ومنهم من يرجعها إلى المعنى الذى جاءت به التوراة: « وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم الى اليبوسيين سكان الأرض وأخذ الملك حصن المدينة، حصن صهيون وأقام داوود فى الحصن وسماه مدينة داوود » والفريق الثالث يعطى لكلمة (صهيون) معناها الجغرافى العام باعتبارها اسم جبل يقع إلى الشرق من مدينة القدس أورشليم ..).

يقول هرتزل «الصهيونية هى حركة الشعب اليهودى فى طريقه الى فلسطين، وأن العودة الى فلسطين يجب أن تسبقها العودة إلى الدين اليهودى، وقد كانت هذه الحركة فى مبدأ قيامها، ترمى إلى إيجاد أرض لليهود تجمعهم فيها، ولم يعلنوا فى أول الأمر فلسطين بالذات. فقد أنشأ البارون هرش Hirsch بأموال باهظة ثلاثين مستعمرة زراعية يهودية فى الأرجنتين (سنة ١٨٩٢). وفى سنة ١٨٩٦ أصدر الدكتور هرزل المجرى كتابا سماه (الدولة اليهودية Etat Juif) كان له صدى عظيم وأثار فى الأوساط اليهودية من سكان أوربا الشرقية حملة واسعة النطاق، ولكنها لم تتعد حدود الدعاية الكلامية.

وعندما عقد المؤتمر الصهيونى الأول بمدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧، اقترح هرزل أن تكون فلسطين هى الوطن المعقود عليه الآمال. وقال كلمته المشهورة (نأبى أن نتسلل خفية

كالمهربين وإنما نريد أن نشعر أننا سائرون إلى وطننا . ومقيمون فى أرضنا ومنازلنا) وقد كانوا يحاولون أن يجدوا لهم موطنا فى إحدى بلاد العالم ، وفعلا سعوا لامتلاك قطعة فى إحدى بلاد الدولة العثمانية ففشلوا . وحاولوا أن يجدوا لهم مأوى فى إحدى ممتلكات الإمبراطورية البريطانية فلم تفلح محاولتهم . وعندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وتغلغل النفوذ البريطانى فى البلاد العربية ، أعلنت بريطانيا أنها ستعمل على تحقيق الحلم الصهيونى بما سمته وعد بلفور كما سيجئ بعد .

الفصل الثالث

المسألة الشرقية

- الأطماع الصهيونية تلتقى مع المسألة الشرقية
- نابليون يدعو لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين عام ١٧٩٩ (عام هزيمته)

الأطماع الصهيونية تلتقي مع المسألة الشرقية

نابليون - في حملته الفاشلة يدعو اليهود لحمل السلاح سنة ١٧٩٩

إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين - وإن لم تكن لهم مواهب المتنبئين مثل إشعيا Isaiah ويوئيل Joel - قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من دمار وشيك لمملكتهم ووطنهم: أدركوا أن عتقاء الله سيعودون لصهيون وهم يغنون، وسيولد الابتهاج بتملكهم لإرثهم دون إزعاج فرحا دائما في نفوسهم (إشعياء Isaiah ٣٥ : ١٠).

ومن العجيب أن نابليون بونابرت يعلن في شهر مايو ١٧٩٩ وهو على أبواب بيت المقدس التي لم يستطع بقواته اقتحام أسوارها. بل رجع ذليلا إلى مدينة عكا حيث كانت هزيمته وفشل حملته الصليبية الجديدة، وعودته يجر أذيال الهزيمة بجيشه من حيث أتي.

يقول نابليون في بيانه إلى الشعب اليهودي - الذي لم يكن له وجود يذكر آنذاك في القدس وآسيا ولا فلسطين كلها:

كان عدد اليهود في فلسطين في ذلك الحين لا يزيد عن ألفين وبالتحديد وطبقا لتقرير مرفوع إلى نابليون نفسه من مجموعة ضباط استكشاف سبقت جيشه إلى فلسطين ١٨٠٠ (منهم ١٣٥ في مدينة القدس) وهؤلاء ليس في مقدورهم - مهما فَعلوا - لا أن ينصروه ولا أن يخذلوه (١).

من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين(٢).

(١) الأسطورة الإمبراطورية والدولة اليهودية - محمد حسنين هيكل.
(٢) رجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية. ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز.

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذين لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومى، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط.

انهضوا إذاً بسرور ايها المبعدون. إن حربا لم يشهد لها التاريخ مثيلا، تخوضها أمة دفاعا عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التي توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغى أن تقسم بينهم حسب أهوائهم. وبجرة قلم من مجلس الوزراء تقوم للثأر وللعار الذى لحق بها وبالأمم الأخرى البعيدة. ولقد نسى ذلك العار تحت قيادة العبودية والخزى الذى أصابكم منذ ألفى عام. ولئن كان الوقت والظروف غير ملائمة للتصريح بمطالبكم أو التعبير عنها، بل وإرغامكم على التخلى عنها، فإن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل فى هذا الوقت بالذات، وعلى عكس جميع التوقعات.

إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية به والذى يقوده العدل ويواكبه النصر جعل القدس مقرا لقيادتى، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التى لم تعد ترهب مدينة داوود.

يا ورثة فلسطين الشرعيين

إن الأمة الفرنسية لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب (٤ : ٦ يوئيل Joel) تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم، بل لإخذ ما تم فتحه والاحتفاظ به بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفا لإسبرطة وروما (١٢ : ١٥ Macc)، وإن معاملة العبودية التى دامت ألفى عام لم تفلح فى إخمادها.

سارعوا ! إن هذه هى اللحظة المناسبة ـ التى قد لا تتكرر لآلاف السنين ـ للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التى سلبت منكم لآلاف السنين وهى وجودكم السياسى كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعى المطلق فى عبادة يهوه، طبقا لعقيدتكم، علنا وإلى الأبد. (٤ : ٢٠ يوئيل Joel).

قلة فقط هم الذين لا يجهلون الآن حقيقة أن نابليون بونابرت كان أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية فى فلسطين قبل وعد بلفور بـ ١١٨ سنة، بل إن وايزمان وصف نابليون بأنه « أول الصهيونيين المحدثين غير اليهود ».

لقد اختار نابليون الوقت الذى كان فيه سورية ضمن حملته الكبرى على الشرق للاعتراف بحقوق اليهود. وفى ربيع عام ١٧٩٩ أصدر بيانا طلب فيه من يهود إفريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء مملكة القدس القديمة. وقد اتضح أن البيان الذى أدعى انه صدر عن « قيادة نابليون فى القدس» لم يكن أكبر من زهو حربى لأن نابليون لم يقترب بفرقته قط من المدينة بل تقهقر من فلسطين إلى مصر بحرا بعد هزيمته فى عكا فى شهر أيار/ مايو عام ١٧٩٩، ولم يكن هناك أى أمل فى أن يفى بوعده الذى قطعه فى بيانه.

لكن هذا لا يعنى أن البيان كان « التفاتة خلوا من المعنى » ومن الجدير بالذكر أن شائعات غير رسمية عن نوايا نابليون الصهيونية راجت عشية حملته للشرق وهيأت الأرضية لهذا البيان. وكانت رسالة غفلا من التوقيع قد انتشرت بين اليهود الإيطاليين (الذين اعتبروا نابليون محررهم العظيم) تتضمن خططا منفصلة عن بعث اليهود كأمة، وقد ظهرت الرسالة مطبوعة فى فرنسا وإنجلترا حيث كان « دعاة النهضة » الإنجليز يرقبون حملة نابليون والغيرة تملأ قلوبهم ويلقون بالتبعة على الساسة الإنجليز لإضاعة الفرصة من أيديهم. وفى أبريل عام ١٧٩٨ نشرت صحيفة La Decade Philosophique Litteraire of Polirtque الرسالة التى عبرت عن قناعتها بأن اليهود سيدعمون فرنسا فى فلسطين بالرجال والأموال، «سيتدفقون جماعات لا من أجل جعل الصناعة مزدهرة فحسب، بل لتحمل نفقات الثورة فى سورية ومصر».

ومن الأهمية بمكان أن مقدمة البيان تخاطب اليهود بشكل مباشر على أنهم « الورثة الشرعيون لفلسطين » وتعيد للأذهان نبوءات إشعياء Isaiah ويوئيل Joel التوراتية عن عودة اليهود إلى صهيون. والأهم من ذلك أن الرسالة التى لم تكن تحمل توقيعا تحدثت عن حدود دولة إسرائيل المقترحة بعبارات تجارية أكثر منها توراتية:

إن الدولة التى تنوى إقامتها ستشمل (بالاتفاق مع فرنسا) مصر السفلى بالإضافة إلى منطقة يحدها خط يمتد من عكا إلى البحر الميت.. وهذا الموقع الذى يعد أكثر المواقع فائدة فى العالم سيجعلنا، عن طريق السيطرة على ملاحة البحر الأحمر، سادة تجارة الهند والجزيرة العربية وجنوب وشرق إفريقيا والحبشة وأثيوبيا..

ويشير المؤرخ اليهودى المعروف سالو بارون Salo Baron إلى أن اقتران الصيغ التجارية والتوراتية أمر له دلالته، وهو يرى أن للبيان أهمية رمزية كبرى، على الرغم من عدم وجود نتائج آنية له:

... بيان نابليون الشهير للشعب اليهودى خلال الحملة المصرية عام ١٧٩٩، وإن كانت نتائجه الآنية ضئيلة، يرمز إلى اعتراف أوروبا بحقوق اليهود فى فلسطين. لم يكن نابليون يسعى لحل القضية اليهودية بدافع من حبه للآخرين. إن اعترافه الذكى بمصلحة اليهود الذين حاول أن يضمهم لجيشه، ودعمه للأمل الذى حصل عليه اليهود من الكتاب الإنجليز والفرنسيين مؤشر على مدى شحن الجو الأوروبى بالتوقعات المتعلقة بالمسيح المنتظر.

راقت الفكرة الصهيونية لنابليون، حيث إنها كانت تنسجم مع مفهومه الرومنتيكى عن القومية، واهتمامه السياسى الشخصى باستغلال اليهود فى خططه الاستعمارية. وجاء فى مذكراته التى كتبها حين كان فى سانت هيلانة:

كان « التكتل » وهو تجميع الشعب الذى توحده الجغرافيا وتفرقه الثورات والعمل السياسى أحد مثلى العليا، ففى أوروبا ٣٠ مليون فرنسى و١٥ مليون إسبانى و١٥ مليون إيطالى و٣٠ مليون ألمانى. لقد كان فى نيتى أن أجمع كلا من هذه الشعوب فى دولة قومية مستقلة.

على هذا فقد كان بيان نابليون بمثابة اعتراف دولى بوجود قومى يهودى، واعتقاد ببعث أمة يهودية فى فلسطين، فملايين اليهود المشتتين فى أوروبا يجب أن يجمعوا فى نهاية المطاف فى دولة يهودية فى فلسطين تخدم المصالح الاستعمارية الفرنسية عن رضا وإخلاص.

الفصل الرابع

- علاقة بريطانيا بفلسطين ومعاهدة سايكس بيكو
- وعد بلفور والمؤامرات البريطانية الصهيونية
- اللجنة الملكية ومشروع التقسيم الأول ١٩٣٧
- المؤتمر العربى فى بلودان
- تدفق الهجرة اليهودية واستئناف الثورة ١٩٣٦
- مؤتمر لندن والكتاب الأبيض ١٩٣٩

تدفق الهجرة والثورة العربية عام ١٩٣٦

كانت سنة ١٩٣٣ هى بدء قيام الثورات الكبرى فى فلسطين، ففى هذا العام تولى هتلر الحكم فى المانيا وابتدأ فى ابتكار الأساليب لتعذيب اليهود. فكان لا بد لهم من الهجرة من ألمانيا والبلاد الموالية لها، والى أين يتجهون؟ طبعًا الى فلسطين أرض الميعاد ودولتهم المستقبلة. ففى أعوام ١٩٣٣، ٣٤، ٣٥ هاجر إلى فلسطين ما يقرب من مائة وخمسين ألفا من اليهود وكان ذلك مدعاة لنفاد صبر العرب، وقد ابتدأت حالة الغليان منذ عام ١٩٣٣ حينما انعقد المؤتمر العربى بيافا فى ٢٦ مارس سنة ١٩٣٣، وفيه أعلن جميع الزعماء عدم التعاون مع الحكومة البريطانية ومقاطعة البضائع الإنجليزية واليهودية، وقرروا تأليف لجنة لهذا الغرض كما قرر المؤتمر الدعوة إلى اضطرابات دورية فى جميع مدن فلسطين، ورغم ما كان يتعرض له الشباب العربى من القتل بالمئات، فقد نظموا الإضرابات فى جميع البلاد وكونوا من أنفسهم حرسا على شواطىء فلسطين، كما ألفوا جمعيات إرهابية سرية، ولكن البوليس البريطانى كان يداهمهم فى أكثر الأحيان فيقتل منهم بالعشرات. ولم يأت عام ١٩٣٦ حتى جاءت الثورة العربية الكبرى فى فلسطين.

ابتدأت ثورة سنة ١٩٣٦ فى منتصف أبريل ببعض الحوادث الفردية، وما لبثت نارها أن اندلعت فى جميع أنحاء البلاد فوقعت حوادث كثيرة واعتداءات بين العرب واليهود. ولما كان العرب فى مدة تسعة عشر سنة قد يئسوا من جميع المحاولات والمحادثات فقد اجتمع زعماؤهم وقرروا الإضراب العام. وقد وجهوا نداءً إلى الأمة العربية، جاء فيه: «لقد رأينا أن نغير أساليب كفاحنا قبل أن نطلب إلى الانجليز تغيير سياستهم ووسائلنا معهم كانت بيانات واحتجاجات. ووسيلتنا الآن كفاح عملى شريف، هم الأصل فى قضيتنا واليهود الفرع.. إننا لا نهدد قوات الإنجليز الهائلة، لكننا مع ذلك أقسمنا أن تظل فلسطين لنا أو نطوى شهداء..».

وقد ظهرت فى ذلك الوقت شدة الحاجة للتضامن بين الأحزاب فاجتمع الزعماء الفلسطينيون وقرروا تأليف (اللجنة العربية العليا) برئاسة أمين الحسينى، وعقب تأليف اللجنة أصدرت قرارا بالاستمرار فى الإضراب إلى أن تبدل الحكومة سياستها المتبعة فى فلسطين.

وفى مايو سنة ١٩٣٦ عقد مؤتمر عربى عام برئاسة أمين الحسينى، وقرر الاتصال بالعالم العربى والإسلامى واستنجاده لنصرة فلسطين، كما قرر المؤتمر الامتناع عن دفع الضرائب إذا لم تغير الحكومة سياستها تغيرا أساسيا.

وقررت الحكومة البريطانية كعادتها إرسال لجنة لتحقيق أسباب القلق وشكاوى العرب واليهود ـ كما يقولون ـ وكانت الثورة قد انتشرت على نطاق واسع، واتخذت أشكالا كثيرة كانت فى مجموعها عنيفة شديدة، وقد تعرض العرب للإنجليز واليهود على السواء، وحارب الانجليز واليهود كصديقين متحالفين أعداءهم العرب، واعتدوا على نسائهم وأطفالهم، وكان الجيش ينسف البيوت العربية بالديناميت فنسف الإنجليز مدينة يافا وهدموا حوالى مائتين وخمسين بيتا من بيوت العرب. واستمر العرب فى ثورتهم المتأججة النيران، ولم يفلح الجيش فى إخمادها، وفى شهر أغسطس وصل البطل العربى فوزى القاوقجى على رأس قوة كبيرة من المتطوعين (عراقيين وسوريين)، وتسلم زمام الثورة ونظمها تنظيما حربيا دقيقا أقلقت الانجليز واليهود على السواء، وطاف القاوقجى ببلدان فلسطين وألهب الشعور العربى بخطبه الحماسية حتى اضطرت بريطانيا ـ إزاء ذلك ـ إلى مضاعفة قواتها فى فلسطين.

وجاءت لجنة التحقيق ووضعت تقريرها، وقد جاء فيه:

(... إن السبب الحقيقى للتذمر الحاضر هو أن الشعب العربى بكامل طبقاته وطوائفه يشعر شعورا عميقا بأنه مظلوم، وبأنه لم يلتفت فى الماضى الالتفات الكافى إلى شكاويه المشروعة رغم ما أجراه فيها من تحقيقات محققون رسميون نزيهون من أصحاب الخبرة فـ « أقروا بصحتها إلى حد كبير .. ونتج عن ذلك أن تولدت فى العرب حالة أشبه باليأس وليست حالة قلق الحاضر فى الواقع سوى تعبير عن ذلك اليأس).

(... ولسنا نتردد فى القول بأن إيقاف الهجرة هو الحل الوحيد العادل الشريف للخروج من هذا المأزق...).

وقد استمرت حالة الإضراب ستة أشهر كاملة، ووعدت بريطانيا بأن ترسل لجنة تحقيق أخرى، وقالت إنها لا تستطيع أن تؤدى عملها وسط الاضطرابات فتوسط ملوك ورؤساء الدول العربية إلى اللجنة العربية العليا لإنهاء الاضراب ووقف أعمال الثورة، أملا فى أن تنال البلاد حقوقها على يد اللجنة الملكية التى وصلت فلسطين فى أوائل نوفمبر سنة ١٩٣٦.

وكانت الدول العربية جميعها قد تدخلت فى المشكلة الفلسطينية بصورة جدية، فقد تطوع كثير من شبابها للقتال، وقام رجال السياسة فيها بمساع كثيرة لدى الحكومة البريطانية.

وقد رأوا أن ينتظروا بفضل اللجنة التى أرسلتها بريطانيا حلا كبيرا للمشكلة، فأرسل الملك عبد العزيز بن سعود والملك غازى والامير عبد الله نداءً إلى اللجنة العربية العليا جاء فيه:

(لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة فى فلسطين فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاد إلى السكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا أننا سنواصل السعى فى سبيل مساعدتكم).

وعلى أثر وصول هذا النداء، أذاعت اللجنة العربية العليا على الأمة البلاغ الآتى:

قررت اللجنة العربية العليا بالإجماع وبعد استشارة مندوبى اللجان القومية والحصول على موافقتهم باتفاق الآراء، أن تلبى نداء أصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الأمير بالبيان المنشور أعلاه، وأن تدعو الأمة العربية الكريمة فى فلسطين للإخلاد إلى السكينة وإنهاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من صباح الاثنين ٢٦ رجب ١٣٥٥ الموافق ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٦، وأن يبكر افراد الأمة الكريمة فى صباح ذلك اليوم إلى معابدهم لإقامة الصلاة على أرواح الشهداء، ورفع الشكر لله تعالى على ما ألهمهم من صبر وجلد. ثم يخرجون من المعابد لفتح مخازنهم وحوانيتهم ومزوالة أعمالهم المعتادة والله ولى التوفيق».

وقد أذعنت الأمة لإرادة اللجنة العربية، وأوقفت أعمال الثورة بعد أن استشهد فيها ما يقرب من ألف عربى. وسافر القاوقجى إلى العراق بعد فقد الكثيرين من محاربيه.

علاقة بريطانيا بفلسطين ومعاهدة سايكس ـ بيكو

قبيل الحرب العالمية الأولى فكر بعض ساسة الانجليز فى الاستفادة من نفوذ البلاد العربية التى كانت فى ذلك الوقت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية. وخافت بريطانيا على مركزها فى مصر وشمال افريقيا والهند إذا ما دخلت تركيا الحرب ضد الحلفاء. فقامت حركة إنجليزية بزعامة اللورد كتشنر أدت إلى قيام محادثات بين شريف مكة (الملك حسين على) والسير هنرى ماكماهون المعتمد البريطانى فى مصر، وكان غرض هذه المحادثات أن تقوم بريطانيا بمساعدة العرب إذا قاموا بثورة على الأتراك، وقد تبادل الفريقان مكاتبات ورسائل عديدة، منها تعهد بريطانيا باستقلال البلاد العربية إذا ما قاموا بمساعدة الحلفاء ضد تركيا، وقد اختلف الفريقان على تفسير بعض نصوص هذه الرسائل، منها أن بريطانيا كانت تستثنى (الأقسام الشرقية وسواحلها) باعتبارها كما تقول (بلاد غير عربية صرفة) ومن هنا بررت بريطانيا حقها فى إصدار وعد بلفور.

وفى الوقت نفسه كانت الاتصالات قد بدأت بين الصهيونيين والإنجليز. وكان أشهرها مقابلة وايزمان الزعيم الصهيونى للورد بلفور وزير الخارجية البريطانية فى ديسمبر ١٩١٤. وكان قد سبقها محادثات بين السير هربرت صمويل الصهيونى فى الوزارة البريطانية بلورد جراى وزير الخارجية السابق، وكان ما وجهه إليه (قد تخلق الحرب قريباً مناسبات عديدة لتحقيق مطالب اليهود فى إقامة دولة يهودية فى فلسطين، فإن حققت هذه المطالب على يد بريطانيا كسبنا عطف الملايين من اليهود المنتشرين فى جميع أقطار العالم، وأوجدنا على مقربة من مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لنا) وقد تعددت الاتصالات بين الزعماء الصهاينة والإنجليز حتى نهاية عام ١٩١٦.

وبينما كان العرب فى تلك الفترة يحاربون الأتراك فى صفوف الحلفاء، كانت المفاوضات تدور سرا بين إنجلترا وفرنسا لتقسيم الدول العربية إلى منطقتى نفوذ بريطانية وفرنسية.

وقد بدأت هذه المفاوضات بين مارك سايكس ممثل الحكومة البريطانية وجورج بيكو ممثل الحكومة الفرنسية، وتم التوقيع على هذه المعاهدة (السرية) والتى عرفت بمعاهدة (سايكس ـ بيكو) فى ١٦ مايو ١٩١٦. وفيها تم الاتفاق على إعطاء سواحل سوريا ولبنان إلى فرنسا، والقسم الأكبر من العراق إلى بريطانيا، وتخضع فلسطين لحكم دولى بعد

استشارة الحلفاء. أما شرق الأردن والمناطق الداخلية والجزيزة وغربى العراق فتؤلف دولة عربية تحميها فرنسا وإنجلترا ـ وتنقسم أيضاً الى منطقتين: المنطقة الشرقية أى العراق تكون للنفوذ البريطانى، والمنطقة الغربية السورية وتكون للنفوذ الفرنسى.

وبموجب هذه المعاهدة سقط العراق تحت السيطرة البريطانية، وسقطت فلسطين تحت الانتداب البريطانى توطئة لتسليمها الى الصهاينة فى الوقت المناسب، وسقطت سوريا ولبنان تحت السيطرة الفرنسية، ولقد دامت هذه السيطرة المزدوجة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، أما فلسطين فاننا مصيبتنا فيها حتى اليوم... وفى هذا الصدد يدون وايزمان فى مذكراته قائلاً:

« وأخيراً وفى ١٧ فبراير ١٩١٧ عقدنا أول مؤتمر رسمى لبحث مسألة فلسطين مع مندوب الحكومة البريطانية، وكان فى ذلك الوقت السير مارك سايكس، أما نحن ممثلو اليهود فقد كنا الدكتور جالفتر، اللورد روتشيلد، هربرت صمويل، جيمس روتشيد، سوكولوف، جوزيف كوهين، هربر نينويتش، هرس، ساكر وأنا..

(والغريب أننا حين اجتمعنا مع السير مارك سايكس قال لنا إنه يجتمع بنا بصفته الشخصية، لا الرسمية، وأغرب من هذا أنه ذكر لنا هذا ولم يذكر لنا إنه قبل أن يجتمع بنا كان قد اتفق مع فرنسا على شئون سوريا وفلسطين، ذلك الاتفاق الذى عرف فيما بعد باسم معاهدة (سايكس بيكو) وأنا حين أسجل هذا لست أتهم بذلك مارك سايكس، فلقد كان الرجل مخلصاً للصهيونية، وأدى لها أكبر الخدمات، وكان اتفاقه السرى مع فرنسا مفيداً لنا ،لان سايكس كانت له براعة سياسية يتغلب بها على مصاعب كنا نعجز عن تخطيطها..).

وهكذا قسمت بريطانيا وفرنسا بلاد المشرق العربى بينهما بعد تعهد البريطانيين باستقلال البلاد العربية كما سبق القول!!؟.

أما جعل فلسطين فى هذا الوضع فلا شك أنه تنفيذ لرغائب الصهيونيين تماما!!.

ففى ابريل ١٩١٧ ارسلت الحكومة البريطانية مذكرة سرية الى يهود أمريكا، جاء فيها:

(إن الحكومة البريطانية تعترف بجعل فلسطين موطنا قوميا لليهود، وعلى منح يهود فلسطين جميع الحقوق القومية والسياسية والمدنية، وعلى إطلاق الهجرة اليهودية الى فلسطين من كل قيد، وعلى تكوين شركة يهودية يكون لها حق امتلاك الأراضى.. إلخ) وفى التاريخ نفسه، القى الزعيم الصهيونى وايزمان محاضرة جاء فيها (إن الكثيرين يتطلعون أن تشاد الدولة اليهودية فى الحال ولكن تنفيذ هذا المشروع متعسر فى الوقت الحاضر، وإن كان هدفنا هو الدولة اليهودية، إلا أنها لا تأتى دفعة واحدة بل تأت على مراحل متعددة، وأولى هذه المراحل أن توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا مثلا، تسهل لنا الهجرة والسكنى وتمكننا من تحضير الجهاز الإدارى اللازم لبلوغ هدفنا، وأستطيع أن أصرح بأن الحكومة البريطانية موافقة على هذه الخطة ومستعدة لتسهيل تنفيذها).

ولعل هذا دليل قاطع على ما كان بين الإنجليز والصهاينة من اتفاق تام على مستقبل الحركة الصهيونية على أرض فلسطين..!!

وعد بلفور والمؤامرات البريطانية الصهيونية

وهنا كان مسعى الصهاينة:

١ ـ أخذ تعهد رسمى من الحكومة البريطانية بتسهيل إنشاء وطن قومى لها فى فلسطين.

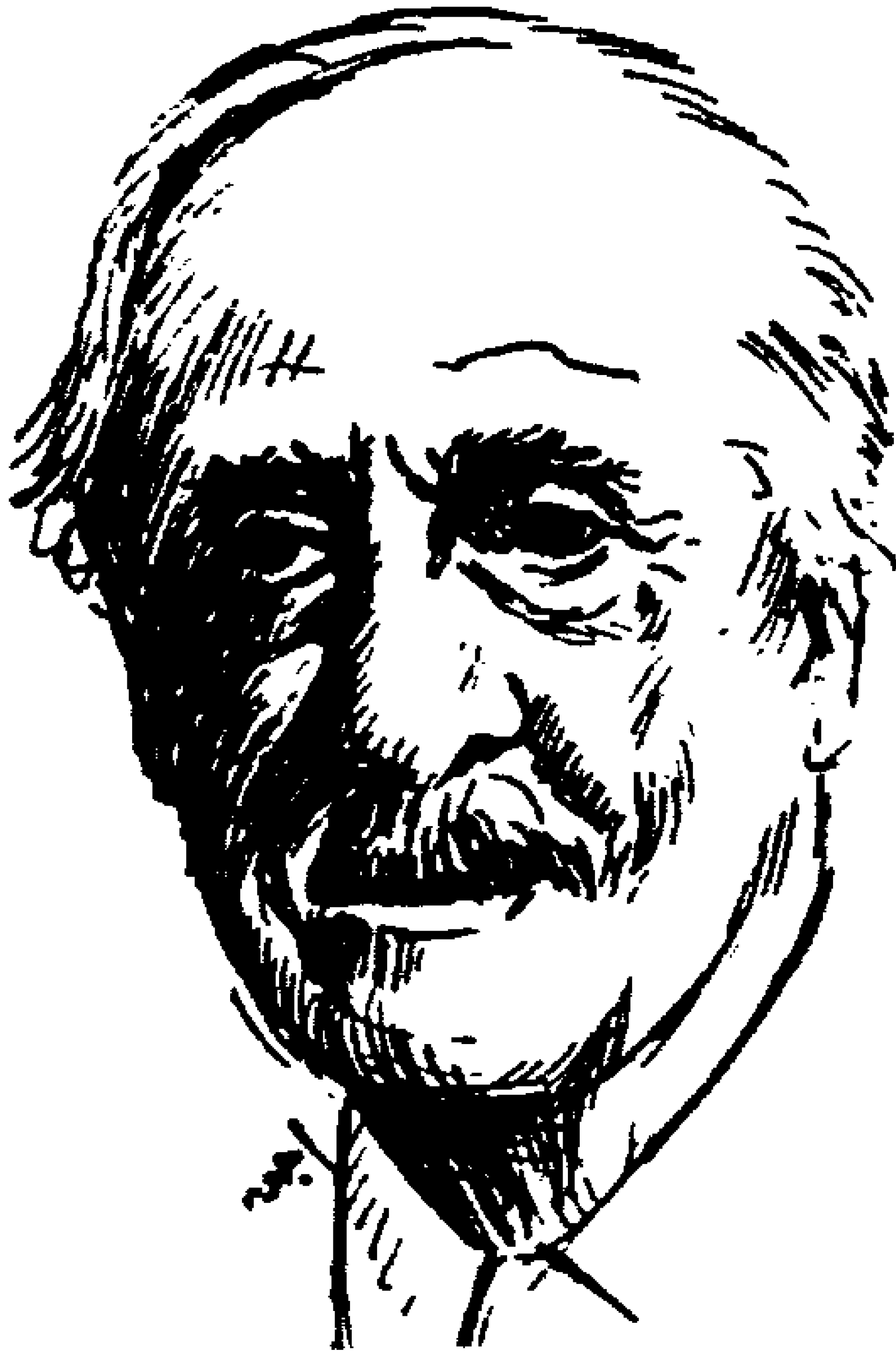
٢ ـ السعى لدى زعماء الحلفاء فى عصبة الأمم، والتى تكونت فيما بعد لوضع فلسطين تحت انتداب بريطانيا.

أما المطلب الأول فكان حصولهم على ذلك التصريح، وقد سبق إصداره اتصالات بين الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية حتى نهاية عام ١٩١٦.. ثم تطورت هذه الاتصالات وأخذت الصفة السياسية العلنية وشبه الرسمية، تمخضت جميعها عن هذا المولود غير الشرعى.

المؤامرات الصهيونية ووعد بلفور

ففى ٢ نوفمبر ١٩١٧ صدر هذا التصريح، وهو خطاب موجه من اللورد روتشيلد الزعيم الصهيونى ونصه الرسمى، كما أذاعته وزارة الخارجية البريطانية كما يلى: «الثانى من نوفمبر ١٩١٧».

عزيزى اللورد روتشيلد



لورد بلفور
صاحب التصريح البريطانى، بجعل فلسطين وطنا قومياً لليهود

يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود الصهيونيين، وقد عرض على الوزارة وأقرته :

« إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية. على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولاالحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به فى البلدان الأخرى وسأكون ممتنا اذا ما أحطتم الاتحاد الصهيونى علماً بهذا التصريح ».

الإمضاء: آرثر جيمس بلفور

هذا هو نص وعد بلفور، والذى قال عنه المؤرخ البريطانى الشهير ارنولد توينبى :

« وبالنسبة لتصريح بلفور أحب أن اقرر بلا لبس ولا ابهام إننى أعلم إنه كان مفهوما بصورة واضحة للمنظمة الصهيونية عند صدور التصريح، وقد قبلت المنظمة التصريح على هذا الأساس.

وسلمت عصبة الأمم الانتداب على فلسطين لبريطانيا فى نطاق هذا المفهوم وهذه الشروط.. وإنى أعتقد أن بريطانيا قد أساءت التصرف بصورة بالغة فى ممارستها سلطات الانتداب. بل أعتقد أننا تولينا أمراً ليس فى مقدور دولة أن تتولاه. ورغم ذلك فلا محل للقول بأن اليهود قد اخطئوا فى ذلك الحين فهم التصريح، وأنه يتضمن الوعد بإنشاء دولة يهودية !!؟.

واذا كانت عصبة الأمم قد خولت بريطانيا حق الانتداب على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، فإن هذا الانتداب، مع بطلانه قانوناً، لا يخول لبريطانيا حق بيع أى جزء من فلسطين أو التنازل عنه أو هبته، وبالتالى فإن وعد بلفور باطل تماماً من النواحى القانونية والإنسانية

والأخلاقية، وكل ما ترتب على هذا الوعد من هجرة يهودية ومن تقسيم ومن استيلاء على فلسطين بالباطل ومخالفة للقوانين الدولية ولحقوق الإنسان ـ وهو حق تاريخي ثابت لا يمحوه كل ما طرأ بسببه من أحداث ومن تغييرات جغرافية أو سياسية على أرض فلسطين.

والسؤال عن القيمة القانونية لوعد بلفور؟

والجواب عنه واضح جلي، فمن بديهات القانون أن فاقد الشيء لا يمنحه لغيره وفي هذا المجال يقول الاستاذ بادفان الأستاذ القانوني الدولي في جامعة السربون ورئيس محكمة العدل الدولية الأسبق: « لا يمكن لأية دولة أن تمارس اختصاصاتها لتلحق الضرر بدول أو شعوب أخرى. إن القانون الدولي ليعترف لبريطانيا بحقها في ممارسة اختصاصاتها داخل حدود بلادها وعلى مواطنيها، ولكن فلسطين التي يسكنها العرب منذ ١٣ قرناً لم تكن قط أرض بريطانية »!!.

وبذلك فإن « وعد بلفور » الذى منحته بريطانيا للصهيونية كقاعدة مكنتها من أن تبنى عليه أسس الدولة اليهودية في فلسطين يعتبر لا قيمة له، ولا يلزم الشعب الفلسطيني بأى حال لأن الدولة التي منحته لم يكن لها حق السيادة على فلسطين، ولأن بريطانيا اتخذته على أرض فلسطين..

وقد أراد الانجليز أن يفسروا كلمة وطن قومي، التي جاء نصها في التصريح National Home أنه ليس المراد به فلسطين كلها، أما اليهود ففسروه بمعنى أن تشمل فلسطين بأكملها كبيت أو كوطن لليهود، ففى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس سنة ١٩١٩ وجه وزير الخارجية الأمريكية إلى المؤتمرين السؤال الآتي:

ما المقصود بالوطن القومى لليهود؟ فكان جواب وايزمان: المقصود بهذه اللفظة أن تصبح فلسطين يهودية كما أن إنجلترا إنجليزية وأمريكا أمريكية !! وكثرت تخرصات اليهود حول هذه الأحاديث، فأصدرت بريطانيا ـ تخديرا لأعصاب العرب ـ بيانا رسميا في يونيو ١٩٢٢ على لسان الاستعمارى العتيق تشرشل، جاء فيه:

« نشرت بيانات غير رسمية بأن الغاية المنشودة هى جعل فلسطين يهودية برمتها كما أن إنجلترا إنجليزية!!.. فحكومة جلالة الملك تعتبر هذه الآمال غير قابلة للتحقيق، وتعلن بأنها لم تفكر في إخضاع السكان العرب أو محوهم أو القضاء على لغتهم وآرائهم في فلسطين ».

وسأرجع قليلا الى ما دار بين الرجال الرسميين البريطانيين حول إصدار هذا التصريح:

فقد اجتمع مجلس الحزب الوزارى في سبتمبر ١٩١٧ ـ أى قبل صدور هذا التصريح بشهرين ـ وتحدث فيه آرثر ج. بلفور ولويد جورج ولورد كيزرون وسمطس وهربرت صمويل:

قال بلفور إن عبارة الوطن القومي معناها فرض حماية بريطانية أو امريكية تعطى فى ظلها كل ما يسهل لهم تأسيس مركز للثقافة القومية.

وقال لويد جورج: إن الفكرة التى استوحيناها واتفقنا عليها هو أنه لا تفضى معاهدة الصلح بخلق دولة يهودية فى فلسطين فى الحال، دون أخذ رأى أغلبية السكان، غير أننا رأينا أن يفسح المجال لجعل فلسطين دولة يهودية فى المستقبل، إذا استطاع اليهود أن يستفيدوا من التسهيلات التى أعطيناها لهم وحازوا أغلبية عددية فى فلسطين.

وقال سمطس: ستشهدون قريباً سيلاً متدفقاً من المهاجرين اليهود يغادرون البلاد التى يضطهدون فيها من المسيحين، وستشهدون فى الأجيال المقبلة دولة يهودية تنشأ من جديد فى فلسطين.

وقال هربرت صمويل: إن السياسة المقترحة تقوم على تسهيل هجرة اليهود وإسكانهم فى فلسطين على النحو الذى تسمح به حالة البلاد ومنح السلطات اليهودية حق تنفيذ المشروعات الكبرى واتخاذ التدابير لإنشاء إدارة محلية مستقلة استقلالا ذاتيا، تمكن البلاد من أن تصبح فى أقرب وقت دولة مستقلة تحت إشراف أكثرية عددية من اليهود.

إذاً فالاصرار على انشاء دولة يهودية فى فلسطين أمر مفروغ منه ومتفق عليه بين السياسة الاستعمارية وغلاة الصهاينة من اليهود قبل صدور هذا الوعد، بل هو تحقيق لأهداف الصهيونية منذ مؤتمر بال عام ١٨٩٧ وكل ما كان من مفاوضات ومؤتمرات ولجان تحقيق، إنما هو من قبيل السياسة البريطانية الاستعمارية ذات الوجهين، أو الوجوه الكثيرة، بل هى سياسة مرسومة لإفساح المجال لليهود للعمل على زيادة عددهم وتمكين منشآتهم فى فلسطين.

ولا شك فى أن جميع الأنظمة والشعوب التى عاشت فى فلسطين منذ سنة ١٣٥ بعد الميلاد قد سمحت لليهود بالعيش فى فلسطين، واعترفت لهم بحقوقهم، وقد كان يعيش فى

القدس دائما جماعة من أتقياء اليهود ويدرسون الشريعة، وكان النظام التركى يسمح بهذا ـ وقت السيادة العثمانية على بلاد المشرق العربى حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، ولعل الدولة الوحيدة التى أنكرت على اليهود هذا الحق هى دولة الصليبيين (١).

وفكرة الوطن القومى هى توسيع لهذا الوضع، لقيام ٥٠٠٠٠ يهودى بدراسة الشريعة فى القدس، و ١٢٠٠٠ يهودى يعملون فى المزارع، كما كان الحال سنة ١٩١٧، كانت هذه هى الصبغة القديمة للوطن القومى اليهودى..

وقد استهدفت الحركة الصهيونية، التى كان يرأسها (وايزمان) والحكومة البريطانية التى كان يرأسها (بلفور) توسيع قاعدة هذا الوطن اليهودى القومى، وإسباغ مظهر حديث عليه، وذلك بالسماح بهجرة أوسع وأن يخول اليهود الحق وتيسر لهم السبل للاستقرار، فى أعداد محدودة فى فلسطين، أعداد محدودة بالنظر لالتزام بريطانيا بعدم الإضرار بمصالح سكان فلسطين إذ ذاك، كما سبق القول.

والآن ماذا عن هذا المطلب اليهودى؟ بل هذا الحق المزعوم فى إنشاء دولتهم على أرض فلسطين!؟ هناك شىء فى القانون بل فى كل أشكال القانون، يقول بسقوط الحق نتيجة التقادم، فإذا أخذنا مثلا عام ١٣٥ الميلادى باعتباره التاريخ الذى قام فيه الرومان بطرد الجانب الأكبر من سكان فلسطين اليهود ـ فإذا أخذنا هذا التاريخ وقلنا إن سقوط الحق لاينطبق حتى على هؤلاء الذين غادروا البلاد فى ذلك التاريخ؛ ماذا يحدث لمدينة كبرى كمونتريال؟ لقد كان هنود الالجو يسكنونها من ثلثمائة أو أربعمائة عام على الأكثر فهل يقال كذلك بضروة عودة مونتريال إليهم؟.

وهل يقال كذلك بعودة إنجلترا لأهل ويلز؟! إذاً فعلينا أن نرسل سبعين مليوناً من الانجليز ونجعل منهم لاجئين؟ والأمر كذلك بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ويسكنها ما يقرب من مائتى مليون أن ترحيل هؤلاء كلاجئين أيضاً لإخلاء البلاد لأصحابها الأصليين من الهنود الحمر!؟

وعلى كل حال فتصريح بلفور يتصل اتصالا وثيقا بموضوع الحق المدعى لليهود فى فلسطين..

(١) أرنولد توينبى .

والفقرة الأولى فى التصريح تنص على أن بريطانيا تتعهد بتأييد أو إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين.

أما الفقرة الثانية فتنص على أنه لا يتخذ أى إجراء من شأنه المساس بمصالح سكان البلد الذين كان العرب يؤلفون منهم اذ ذاك؛ أى وقت صدور التصريح فى عام ١٩١٧ « ٩٠ فى المائة!! »

لقد وضح غاية الوضوح وبصورة قبلها الدكتور وايزمان إذ ذاك أن وطناً لا تعنى دولة، ولو كان وطن يعنى دولة لكانت الفقرة الأولى من تصريح بلفور تناقض الفقرة الثانية منه، وهذه الفقرة الثانية التزام لا يقل إيجاباً وحجية بالنسبة للحكومة البريطانية، التى أصدرت التصريح وهو يفرض عليه «أن لا يقع أى حيف بحقوق ومصالح السكان الحاليين فى البلاد ـ أى التسعين فى المائة من سكان البلاد»!!.

اللجنة الملكية ومشروع التقسيم الأول [1]

وصلت اللجنة الملكية أو لجنة بيل إلى فلسطين، وبدأت أعمالها فى منتصف نوفمبر سنة ١٩٣٦ ولم تكن هذه اللجنة أفضل من اللجنتين اللتين سبقتاها، فقد أصدرت تقريرها فى ٧ يوليو ١٩٣٧، وخرجت بأهم توصياتها المعقدة، وهو تقسيم فلسطين، وقد توصلت إلى هذا الحل عندما أيقنت أنه من المحال التوفيق بين العرب واليهود، العرب يرون أنفسهم أصحاب البلاد واليهود دخلاء عليهم، واليهود يريدون التوسع بإباحة الهجرة على حساب العرب، والإنجليز لهم مطامع خاصة وحائرون بين هؤلاء وهؤلاء، فرأت اللجنة أن تفصل بين هؤلاء جميعا بتقسيم البلاد على الوجه الآتى:

١) المنطقة اليهودية:

وهى تضم أخصب أراضى فلسطين وتمتد على الساحل من حدود لبنان إلى جنوب يافا وترتبط هذه الدولة بمعاهدة تحالف مع بريطانيا.

٢) المنطقة البريطانية:

وتشمل القدس والمدن المحيطة بها وبحيرة طبريا وعكا، وتكون بصفة دائمة تحت الانتداب البريطانى.

(١) القضية الفلسطينية، المؤلف.

٣) المنطقة العربية :

وأخيرا المنطقة الباقية وتكون للعرب وهى تنحصر فى الجبال والأراضى الصحراوية وتضم الى إمارة شرق الاردن، أى إنها لن تخرج أيضا عن حوزة بريطانيا.

هذا هو المشروع العجيب للجنة التحقيق الملكية، ولعله كان مقرراً قبل أن ترى اللجنة البلاد الفلسطينية، وقد علقت الحكومة البريطانية عليه بأنها ترى:

(أن مشروعا للتقسيم مبنى على الاسس العامة التى أوصت بها اللجنة يعتبر أحسن وأنجح حل للخروج من هذا المأزق).

كان طبيعيا أن يقابل العرب مقترحات اللجنة بالاستياء والاستنكار، فأرسلت اللجنة العربية العليا مذكرة وافية إلى لجنة الانتدابات الدائمة بعصبة الأمم عددت فيها مساوئ التقسيم وأعلنت رفضه رفضاً باتًّا واجتمعت لجنة الانتدابات فى ٣٠ يوليه سنة ١٩٣٧ وحضرها مندوباً مصر والعراق الذين حملا على المشروع حمله عنيفة وكان ما حدث من مناورات فى عصبة الأمم سنة ١٩٣٧ شبيهاً بما حدث بالأمس القريب فى هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧، ومن أعجب أن رفض اليهود هذا المشروع لأنه مجاف لحقوقهم.

ولما كان ذلك التقرير اعتداءً صريحاً على كيان العرب، فكان لا بد من استئناف الثورة من جديد.

المؤتمر العربى فى بلودان واستئناف الثورة[1]

شعر زعماء الدول العربية جميعها بالخطر الداهم، فقرروا عقد مؤتمر بلودان فى ٨، ٩، ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٧، واشترك فيه حوالى الخمسمائة عضو من جميع بلاد المشرق العربى. وقد أصدر المؤتمر قرراته مجمعة على رفض مشروع التقسيم رفضا باتا، وأهم ما جاء فى قرراته السياسية ما يأتى:

(١) فلسطين جزء لا يتجزأ من الأقطار العربية.

(٢) رفض ومقاومة تقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها.

---

(١) المصدر السابق.

(٣) الإصرار على إلغاء الانتداب ووعد بلفور وإبدالهما بعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربى فى فلسطين استقلاله وسيادته، وتأليف حكومة دستورية يكون للأقليات فيها ما للاكثرية من الحقوق والواجبات، وفقاً للمبادىء الدستورية العامة.

(٤) تأييد طلب وقف الهجرة عاجلاً وإصدار تشريع بمنع انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود.

يعلن المؤتمر أن استمرار الصداقة بين الشعبين العربى والبريطانى يتوقف على تحقيق المطالب السابقة، وأن إصرار انجلترا على سياستها فى فلسطين يرغم العرب جميعا على اتخاذ اتجاهات جديدة، كما أن الائتلاف بين العرب واليهود لا يتم إلا على هذه الأسس.

ولما كان هذا هو رأى العرب فى مشروع التقسيم، ولما كانت إنجلترا كعادتها لا تعير تلك المطالب أى اهتمام، فكان لا بد من اشتداد الثورة وقيامها على نطاق واسع، ولم تكتف بريطانيا بهذه المراوغة بل تعمدت الاعتداء على مكتب اللجنة العربية العليا ـ وهو مركز الحركة الوطنية ـ فى ١٧ يولية ١٩٣٧، وأخذت أوراقه وقبضت على بعض أعضائه، ولم تضعف كل هذه الأحداث من عزائم العرب القوية، ولم تنل من نفوسهم الكبيرة الأبية فساروا قدماً فى طريق جهادهم الشاق الطويل موجهين أنفسهم بأنفسهم وغايتهم واحدة، وهى أن يموتوا جميعا ميتة شريفة.

واستمرت الثورة تأكل الأخضر واليابس حتى سنة ١٩٣٩ ولم تستطع بريطانيا ولم يستطع اليهود ولم تستطع عصبة الأمم أن تخطو خطوة واحدة لتنفيذ مشروع التقسيم، حتى أن لجنة التحقيق صاحبة المشروع قد ناقضت نفسها وحكمت على عملها بقولها (إن مشروع التقسيم غير عملى، وأنه لا يؤدى إلا إلى أسوأ العواقب بل لا يمكن تنفيذه بحال).

مؤتمر لندن والكتاب الأبيض عام ١٩٣٩

وقررت الحكومة البريطانية عقد مؤتمر لندن بين العرب واليهود، وافتتح المؤتمر فى ٧ فبراير سنة ١٩٣٩ بين الإنجليز والعرب وقد رفض العرب الاجتماع باليهود لأنهم ليسوا طرفاً مفاوضاً فكان الإنجليز يجتمعون بالعرب، فى الصباح وباليهود بعد الظهر، وقد قدمت الحكومة البريطانية إلى كل من الوفدين العربى واليهودى مقترحات لتكون أساساً للمناقشة فكان نصيبها الرفض، واستحال التوفيق بين وجهات النظر العربية واليهودية، وانفض المؤتمر

فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٩ بعد فشله، وأصدرت بريطانيا عقب ذلك الكتاب الأبيض أو الخطة السياسية الجديدة كما سيجىء بعد وكله مقترحات ملتوية، وقد رفضه اليهود قبل إذاعته رسميا لتوقعهم أنه سيكون فى صالح العرب.

أما العرب فقد انتظروا الخير فيه للقضية الفلسطينية، وما كاد يذاع حتى عم الاستياء الأوساط العربية وأعلنت اللجنة العربية العليا رفضه رفضا باتا.

أما ما جاء فى هذا الكتاب من الغموض والالتواء، فيفسره النص الرسمى لترجمة هذه الخطة ضمن ملاحق الكتاب.



حاييم وايزمان
الذى اتفق مع الحكومة البريطانية
على تسليم فلسطين لليهود خالية
من سكانها ؟



وفى شهر مارس ١٩٤٢ خطب
الزعيم الصهيونى بن جوريون فى
تل أبيب قائلاً: «إن الصهيونية قد
انتهت من وضع خطتها النهائية،
وهى أن تصبح فلسطين دولة يهودية
وأن اليهود لايستغنون عن أى قسم
من فلسطين، حتى قمم الجبال
وأعماق البحار ؟!!

الفصل الخامس

الولايات المتحدة تضع ثقلها إلى جانب الصهيونية

الولايات المتحدة تضع ثقلها
إلى جانب الصهيونية



الملك عبدالعزيز آل سعود
الذى رفض ٢٠ مليون جنيه ذهباً

ـ قرار التقسيم الثانى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧:[١]

رأينا كيف ألقت الولايات المتحدة هذه الدولة « العظيمة »... بكل ثقلها فى المعركة التى كان يخوضها حق العرب وباطل الصهاينة على مسرح الأمم المتحدة التى أنشئت لكى « تحافظ على الحقوق الأساسية للإنسان.. ومنها كرامة الإنسان والمساواة بين الرجال والنساء والدول الكبيرة والصغيرة ».. ورأينا كيف سخرت الولايات المتحدة كل ثقلها السياسى والاقتصادى وكيف مارست أنواع الضغوط لكى يظفر الصهاينة «بصك التقسيم» مقابل أن يضع هؤلاء ذهبهم بين أيدى المستر هارى ترومان لكى يظفر هو الآخر برئاسة الولايات المتحدة.



الرئيس روزفلت
الذى توسط لليهود بمخاطبة الملك عبدالعزيز لتهويد جزء من الحجاز بمقابل ٢٠ مليون جنيه ذهباً

وسوف نلقى مزيداً من الضوء على تلك الأجواء المشحونة بالفضائح، التى اتخذت فيها الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة قرارها الجائر بتقسيم فلسطين ظلماً بالعرب وعدواناً على حقوقهم.. وتجاوزاً لسلطاتها التى حددها لها ميثاقها.. وسوف نستشهد بآراء كبار الأخصائيين فى القانون الدولى لكى نثبت عدم شرعية هذا القرار وبطلانه.. وعدم شرعية وجود الكيان الصهيونى تمهيداً لإثبات الصفة الاصطناعية لدولة الصهاينة التى لا ترتكز على أية مقومات طبيعية

---

(١) حسين التريكى «هذه فلسطين».

كما هو الحال بالنسبة لكل دول العالم.. وسوف نتوسع فى شرح الصفة الاصطناعية لدولة إسرائيل فى الصفحات المقبلة.

فلسطين هى الدولة الوحيدةالتى تحطمها هيئة الأمم[1]

يسهل على من تتبع الفصول السابقة أن يتصور فلسطين قطراً عربيًّا، منذ أن عرف التاريخ الوجود وبدأ يؤرخ لحياة الشعوب إلى أن أوصلت المؤامرات والمناورات الصهيونية البريطانية الأمريكية قضية هذا القطر العربى إلى منبر هيئة الأمم المتحدة.. ولا بأس أن نذكر بعض الأرقام لكى يتصور القارىء الظلم الصارخ الذى سلط على العرب ويلمسه بكلتا قبضتيه.

كان يسكن فلسطين ٥٦٠٠٠ يهودى فى سنة ١٩١٩ بهجرات شرعية وغير شرعية؛ أى ليلة تعيين بريطانيا وصية على فلسطين من قبل عصبة الأمم سنة ١٩٢٠ وكان هؤلاء الـ ٥٦٠٠٠ يهودى يملكون ٦٥٠٠٠٠ دونم [2] من الأراضى فى فلسطين.

ورغم كل ما بذله الصهاينة من نشاط ودعاية وضغوط ورغم كل ما بذلوه من أموال.. رغم كل المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التى أقامها الصهاينة.. ورغم كل ما مارسوه من ضغوط ومن عمليات الترغيب والترهيب البشرى فى ظل الانتداب البريطانى. وبحماية سلاحه، فقد كانت الأرقام عندما عرضت القضية الفلسطينية على هيئة الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ كانت هكذا:

عدد اليهود ٦٠٨٠٠٠ يهودى يمتلكون ١,٨٥٠,٠٠٠ دونم. وذلك رغم «القناطير المقنطرة» من الذهب التى طرحوها فى سوق المزايدة لينتزعوا ببريقه أرض فلسطين من أصحابها.

وكان يقابل ذلك ١,٢٣٧٠٠٠ عربى أى ضعف عدد اليهود.. وكان هؤلاء العرب يمتلكون ١٣,٦٧٣,٠٣٢ دونم أى أكثر من سبعة أضعاف ما يمتلكه اليهود من أراضى فلسطين.

ورغم هذا الحق العربى الساطع المقام على المعطيات التاريخية وعلى معطيات واقع سكان فلسطين وأملاكهم.. اتخذت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى اجتماعها الثامن

(١) حسين التريكى «هذه فلسطين».

(٢) الدونم يساوى ١٠٠٠ متر مربع.

والعشرين بعد المائة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قراراً بتقسيم فلسطين إلى دولتين: دولة عربية ودولة يهودية، حددت مساحة كل منهما بالحدود الموضحة فى خريطة التقسيم التى أقرتها الأمم المتحدة.



هارى ترومان
الرئيس الأمريكى السابق الذى تهالك فى مساعدة الصهيونية وهو أول من اعترف باسرائيل فور صدور قرار التقسيم

وقد أحرز قرار التقسيم هذا تأييد ٣٤ دولة هى: أستراليا وبلجيكا وبوليفيا والبرازيل والولايات المتحدة وروسيا وروسيا البيضاء وكندا وكوستاريكا وفرنسا وغواتيمالا وهايتى وأيسلاندا. وليبيريا ولكسانبورغ وهولاندا ونيوزيلاندا ونيكارغوا وباراغواى وبنما وبيرو والفيلبين وبولونيا والسويد وأوكرانيا واتحاد جنوب إفريقيا وأروغواى وفنزويلا.

وأمسكت عن التصويت ١٠ دول، هى: الأرجنتين وشيلى والصين وكولومبيا والحبشة وبريطانيا (إمعاناً فى الدهاء) وسلفادور وهندوراس والمكسيك ويوغسلافيا، وتغيبت دولة واحدة عن التصويت.

وهكذا تورطت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة وشاركت فى هذا الظلم الذى سلط على شعب فلسطين، حيث خولت بقرار تقسيمها لفلسطين، الحق للصهاينة بأن يقيموا دولة لهم على مساحة تعادل ٥٦ بالمائة من أراضى فلسطين العربية رغم أنهم لا يمثلون حينذاك ــ رغم الهجرة الجماعية ــ إلا ثلث السكان، وحيث إنها لم تترك للعرب أصحاب البلاد الشرعيين، والذين كانوا يشكلون ثلثى السكان ــ دون هجرة ــ .. لم تترك لهم إلا ٤٣ بالمائة من مساحة بلادهم ووطن أجدادهم.. وأما الواحد فى المائة الباقى فيشتمل على مدينة القدس وضواحيها، التى تقرر أن تكون منطقة دولية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة.

وهكذا كانت فلسطين الدولة الوحيدة التى شاركت هيئة الأمم المتحدة فى تحطيمها لتقيم الصهيونية العالمية على أنقاضها « دولة مسخ » فريدة من نوعها فى المجتمع الإنسانى كله تعرض السلم العالمى للخطر كل يوم..

العرب يرفضون القرار الجائر

وقد رفض العرب ــ دولا وشعوبا ــ قرار التقسيم.. وما كان للعرب أن يقبلوا راضين قرارا

تغتصب بموجبه أراضيهم منهم.. ولو كان هذا القرار صادراً من هيئة الأمم المتحدة.. إذ لا يجوز أن يقبل إنسان بمحض رضاه قراراً ينتزع منه حقه في الحياة فى ظل العزة والكرامة الوطنية والمبادىء الأساسية، التي أنشئت هيئة الأمم المتحدة نفسها لأجل إقرارها والدفاع عنها..

رفض العرب قرار التقسيم باعتباره يتنافى مع حقوقهم المشروعة ومع روح العدالة ومبادىء حق الشعوب في تقرير مصيرها.. ولأنه يتعارض مع نص وروح ميثاق الأمم المتحدة التي اتخذته.. رفضوه لأنهم يعتبرون أن هيئة الأمم المتحدة ليس لها حق اتخاذ مثل هذا القرار، إذ إنها لا تعدو أن تكون منظمة دولية تكونت من عدة دول لها أهداف حددها ميثاقها.. وبالتالى فإنها لا تملك حق السيادة على فلسطين، وهي مجردة من كل صفة شرعية تخول لها تقسيم دولة من الدول، أو تمنح جزءا منها إلى أقلية غريبة عنها لتنشئ فيها دولة أخرى.. كما أنها ليست لها أى حق في أن تمنح لمهاجرين أجانب أتوها من كل صوب وحدب، حقوقاً ترابية وسياسية مختلفة أو مستقلة عن أغلبية سكان البلاد وضد إرداتهم.. ومن بديهات القانون: أن من لا يملك شيئا ليس له الحق في أن يمنحه لغيره.

هيئة الأمم المتحدة لا تملك أى حق للسيادة على فلسطين:

وأول سوال يتبادر للذهن إزاء هذا الوضع التعسفى هو: هل تملك هيئة الأمم المتحدة صلاحيات تخول لها تقسيم دولة وجدت منذ فجر التاريخ؟.. وهل من حقها أن تمنح جزءاً من دولة ضد إرادة سكانها لأجانب زحفوا عليها من أقطار أخرى، حيث عاشوا مواطنين في أوطانهم التي ولدوا فيها وترعرعوا وتثقفوا بثقافتها؟..

وبما أننا بإزاء هيئة دولية ميثاقها الذى حدد أهدافها وحدد صلاحيتها.. وبما أن هذا الميثاق أعده رجال القانون فسوف نستفتي أهل الذكر من رجال القانون العالميين في مثل هذه الأسئلة التي تفرض نفسها بديهيا على كل من يهتم بهذه القضية.. التي أصبحت بحكم أهميتها قضية القضايا العالمية التي تشغل هيئة الأمم المتحدة والرأى العام العالمي منذ ٥٠ سنة.

يقول الدكتور محمد حافظ غانم (١) فى دراسته «المنظمات الدولية» (ص ٨٥ - ٨٦) عن الطبيعة القانونية للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة وهى صاحبة قرار التقسيم:

(١) استاذ في القانون الدولي.

قرار التقسيم:

«إذا أخذنا الميثاق ككل، نجد أنه لا يسبغ على الأمم المتحدة أية صفة من الصفات التى تجعل منها دولة عليا فوق الدول، فقد اعترف الميثاق فى أكثر من مادة بسيادة الدول الأعضاء، فالأمم المتحدة بمثابة نظام تعاضدى اختيارى اشتركت فيه الدول بمحض إرادتها.. وان العلاقات بين أعضاء هذه الهيئة يجب أن تقوم على احترام مبدأ المساواة فى السيادة».

يقول الدكتور حامد سلطان فى دراسته عن «القانون الدولى فى وقت السلم» (ص ٩٠٨-١٠٨٨).

«والجمعية العامة باعتبارها إحدى الهيئات الرئيسية للأمم المتحدة، لا تعتبر هيئة ذات سيادة فوق إرادات الدول الأعضاء لأن ما تصدره - فيما عدا الاستثناءات الضئيلة - لا يزيد عن كونه توصيات، فهى (أى الجمعية العامة) تعد بمثابة هيئة نقاش وتداول وتوجيه، وهى بطبيعتها محدودة السلطة، فليس من سلطاتها أن تقوم بعمل ما (Action) لأن ذلك من اختصاصات مجلس الأمن وفقاً للميثاق»...

ومن المعلوم أنه تفاديا لما انتهت إليه عصبة الأمم من فشل، فقد حدد ميثاق هيئة الأمم المتحدة صلاحيات الجمعية العامة ومجلس الأمن. فالجمعية العامة توصى ولا تتخذ قرارات لها صفة الإلزام إلا فيما يتعلق بالنواحى الإدارية والمالية والتنظيمية للهيئة كتعيين الأمين العام وطرد الأعضاء ودراسة الميزانية وتحديد نسبة إسهام كل دولة... والقرارات ذات الأثر القانونى وذات الصبغة الشرعية إلى غير ذلك مما يتصل اتصالا مباشرا بإدارة أجهزة الهيئة وتنظيم سير نشاطها..

وأما القضايا التى يكون من الضرورى عرضها على مجلس الأمن، قبل أو بعد بحثها، فلايمكن للجمعية العامة أن تصدر بشأنها قرارات إذ ينفرد مجلس الأمن بالقول الفصل فيها. كما أن المادة ١٢ من الميثاق تقضى بأنه ليس للجمعية أن تقدم حتى مجرد التوصية فى شأن نزاع أو موقف دولى يهدد السلام، يباشر مجلس الأمن بحثها، إلا بطلب من المجلس.

وبذلك تكون الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قد تجاوزت صلاحيتها، وبذلك يصبح قرار التقسيم باطلاً كما سنرى.

يقول الأستاذ هنرى قطان (١):

(١) الأستاذ هنرى قطان أستاذ فى القانون، متخرج من جامعات باريس ولندن، مؤلف لعدة كتب سياسية وقانونية.

إن أول عوامل بطلان القرار الذى اتخذته هيئة الأمم المتحدة يكمن فى عدم صلاحية جمعيتها العامة فى إصدار قرار أو حتى مجرد التوصية بتقسيم فلسطين، ذلك ان هيئة الأمم المتحدة هى منظمة كونتها مجموعة من الدول لها أهداف حددها ميثاقها، ولم تملك هذه المنظمة قط حق السيادة أو أى حق آخر على أراضى فلسطين. لذلك فليست لها أية صفة قانونية، تخول لها تقسيم فلسطين أو منح جزء منها إلى أقلية دينية ليقيموا عليها دولة، كما ليس لها أى حق فى الإضرار بمصالح سكانها الأصليين، أو فى منح حقوق أرضية بمصالح سكانها الأصليين، أو فى منح حقوق أرضية أو سياسية مخالفة أو مستقلة عن حقوق أغلبية سكانها.. والأمر لا يقتصر على خلو هيئة الأمم المتحدة من أى حق فى السيادة على فلسطين فحسب، ولكنها لا تملك حتى حق الإدارة فيها، كما كان الحال بالنسبة لعصبة الأمم التى مارست الإشراف على إدارة الوصاية ».

الأمم المتحدة لا تملك حق السيادة على فلسسطين :

ويقول الأستاذ دونكان هول فى هذا الصدد : Duncan Hull

«أما بخصوص الوصايات فإن عصبة الأمم ماتت ولم تترك وصاية.. لم يكن هنالك تحويل سيادة إلى هيئة الأمم المتحدة».

« وجاء فى تقرير اللجنة الفرعية الثانية للجنة المختصة Ad Hoc المكلفة بقضية فلسطين (١) « ينبغى التأكيد بأن هيئة الأمم المتحدة، لم ترث لا أعمال عصبة الأمم ولاالسلطاتها الدستورية ولا السياسية، وبالتالى لا يمكن اعتبارها بأية حال خليفة لعصبة الأمم فيما يخص إدارة الوصايات ».

ويضيف التقرير نفسه (ص ٢٧٦ - ٢٧٨) : « إن دراسة موضوعية للفصل الثانى عشر لميثاق هيئة الأمم المتحدة تؤكد بصورة واضحة أنه لا جمعيتها العامة ولا أي جهاز آخر من أجهزتها يملك الصلاحيات القانونية التى تخول له بأن يوصى باتخاذ أى حل خاص بأرض تحت الوصاية فضلاً عن أنه يفرض هذا الحل.. وأن إقامة حكومة مقبلة فى فلسطين يشكل أمرا يهم الشعب الفلسطينى دون سواه..

(١) ١ وثيقة ١٤ - ٣٢ بتاريخ ١١ / ١١ / ١٩٤٧ ص ٢٧٦.

وبالإضافة إلى ذلك فإن التقسيم يتضمن الإخلال بالحقوق القومية وهدما لوحدة تراب الدولة الفلسطينية ولا يمكن لهيئة الأمم المتحدة أن تتصرف فى الحقوق الترابية ولا أن تحرم أغلبية السكان من أراضيها ولا أن تعطيها للاستعمال الاحتكارى لأقلية ما ».

الحق فى جانب العرب من الناحية القانونية :

ويقول بيتمان بوتر (١) Pitman B. Potter

« لا تملك هيئة الأمم المتحدة الحق فى فرض حل لقضية فلسطين، اللهم إلا إذا وجدنا قاعدة ترتكز عليها مثل هذه السلطة، ولكن إلى الآن لم تعثر على هذه القاعدة، يمكن الزعم بأن السيادة التركية على فلسطين أحيلت إلى عصبة الأمم وإن هيئة الأمم هى الوارثة لهذه العصبة، ولكن العرب ينفون أنه بقى للوصاية قوة ملزمة، كما ينفون أنها كانت لها قوة فى الماضى ولايعترفون بشرعية عهد بلفور الذى ارتكزت عليه الوصاية، وعلى الأرجح فإن الحق فى جانبهم من الناحية القانونية ».

ويقول كينسى رايت Quincy Wright فى كتابه «أزمة الشرق الأوسط» (Middle East Crisis) (ص ١٢) :

« إن شرعية التوصية التى أصدرتها الجمعية العامة بخصوص تقسيم فلسطين مشتبه فيها » كما يقول برونلى (٢) : J.Brownilie

« من المشكوك فيه أن هيئة الأمم المتحدة تملك سلطة تحويل العقود لأسباب عدة : منها أن هذه الهيئة لا يمكن لها أن تلعب دور مالك الأرض الشرعى لذلك فإن القرار الذى اتخذته سنه ١٩٤٧ خاصا بتقسيم فلسطين يشكل على الأرجح تجاوزا فى السلطة » .

قرار التقسيم ـ كعهد بلفور ـ باطل من أساسه.

يمكن أن نستخلص من هذه الأراء التى أدلى بها مشاهير أساتذة القانون الدولى بأن القرار الذى اتخذته هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية ومنطقة دولية

(١) المجلة الأمريكية للقانون الدولى ١٩٤٨ الجزء ٤٢ ص ٨٦٠.

(٢) مبادئ القانون الدولى العام ص ١٦١ ـ ١٦٢

يجسم تجاوزاً من طرف هذه الهيئة الأممية فى ممارسة سلطاتها.. وبأنه اعتداء صارخ على حق السيادة على أراضى فلسطين، هذا الحق الذى يرجع لسكانها دون غيرهم، باعتبار أن الدولة المنتدبة من طرف عصبة الأمم لم تجرد سكان فلسطين من حق السيادة فى بلادهم، بل أكدتها المادة ٢٢ من صك الانتداب التى اعترفت بحقهم فى الرفاهية والازدهار، حيث نصت:

«إن المستعمرات والبلاد التى زالت عنها صلة التبعية للدول التى كانت تحكمها سابقا، نتيجة للحرب الأخيرة (الحرب العالمية الأولى) تعد وديعة مقدسة فى عنق المدنية وإن الضمانات للقيام بما تتطلبه هذه الوديعة يجب أن يشتمل عليها هذا العهد.. وإن أحسن وسيلة لتنفيذ هذا المبدأ تكمن فى الواجب الملقى على الدولة التى يعهد لها بالوصاية على هذه الشعوب بأن تأخذ على عاتقها هذه المسؤولية على أحسن وجه وتتقبلها ويجب عليها أن تمارس هذه الوصاية بوصفها دولة منتدبة بالنيابة عن عصبة الأمم».

لقد التزمت بريطانيا حينئذ بما تضمنه نص وروح هذه المادة ٢٢ من صك الانتداب من المحافظة على شعب فلسطين العربى الذى «زالت عنه صلة التبعية «لتركيا» نتيجة للحرب «العالمية الأولى»..

وتعهدت بريطانيا بقبولها المادة، هذه «المسؤولية» والتزمت بأن تقوم بها على أحسن وجه.

ولا يتسنى للمرء أن يتساءل: أين كانت بريطانيا يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧.. يوم اتخذت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قرارها بتمزيق فلسطين العربية والقضاء على سيادة شعبها.. وبالتالى القضاء على وجود هذا الشعب، فضلاً عن القضاء على «رفاهيته وتقدمه»؟..

أين كان المندوب البريطانى يوم كانت الجمعية العامة تحطم ظلما وتعسفا وتجاوزا لصلاحيتها شعب فلسطين العربى الذى زالت عنه صلة التبعية لتركيا نتيجة الحرب الأولى، ولما تزل (يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) تمارس سلطاتها كدولة منتدبة بموجب صك الانتداب الذى يفرض عليها «تطبيق المبدأ القائل بأن رفاهية «هذا الشعب»» وتقدمه يعد وديعة مقدسة فى عنق المدنية».. التى قبلت بريطانيا أن تسهر عليها نيابة عن هذه المدنية الغربية؟..

أو يكفي بريطانيا عذراً إزاء مسؤولياتها التاريخية أن تتعذر بأنها أعطت تعليماتها لمندوبها لدى الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة بأن يمتنع عن التصويت ـ كما فعل ـ حين يعرض مشروع قرار التقسيم على اقتراح الجمعية؟..

يصلى بحرارة لأجل تحقيق أمانى الصهيونية العظيمة



ونستون تشرشل
الذى يعتبر نفسه صهيونياً أصيلاً
ويصلى بحرارة لأجل تحقيق أمانى
الصهيونية

وقد ساعده فى خططه المندوب السامى البريطانى على فلسطين، السير هربرت صموئيل، وهو يهودى. وفى الوقت نفسه كان يشغل وظيفة السكرتير القضائى فى حكومة الانتداب (وفى يده سلطة التشريع وسن القوانين) يهودى آخر هو نورمان بنتويش.

«إن هربرت صموئيل، المندوب السامى (اليهودى) البريطانى على فلسطين، هو الذى وضع مشروع الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢، وأن الحكومة البريطانية عرضته على اللجنة الصهيونية قبل إصداره للإطلاع عليه وإبداء وجهات النظر التى يراها اليهود. وقد وافق عليه زعماء اليهود».

ولن يتسنى لبريطانيا أن تفلت من مسؤولياتها فى إقامة دولة إسرائيل.. هذا السرطان الذى زرعته فى جسم الأمة العربية.. ولن تبرأ ذمتها إلا إذا عملت على إصلاح ما أفسدته بالتحمس نفسه والإرادة والعزم الذى مارسته فى خلق المشكل العالمى منذ فجر القرن كما يشهد وايزمان فى مذكراته حين يسجل:

« إن الإنجليز كانوا منذ البداية متحمسين لليهود ولفكرة بناء وطن قومى لهم فى فلسطين ».

وهكذا فإن قرار التقسيم الذى رفضه الشعب الفلسطينى صاحب الحق الأول، رفضا باتا، كما سبق له أن رفض وعد بلفور، لايلزم هذا الشعب بأية صورة من الصور، وسوف يبقى مجرداً من أية صفة قانونية كانت أو أخلاقية أو إنسانية.

وهكذا يتضح للضمير العالمى أن قرار التقسيم الذى اتخذته الجمعية العامة هو قرار صارخ من الوجهتين القانونية والإنسانية. وأن الجمعية العامة لهيئة الأمم لم تكن تملك أى حق شرعى

يخول لها اتخاذ قرار يتنافى مع المبدأ الوارد فى ميثاق الهيئة والخاص بحق الشعوب فى تقرير مصيرها.

وبعد:

فهل يمكن أن يقال بأن القرار الذى اتخذته الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة، والذى كان الأساس الذى أقام عليه الصهاينة أسس دولتهم.. هل يمكن أن يقال أنه قرار اتخذ على ضوء كل هذه المبادئ التى نص عليها ميثاق الهيئة نفسها؛ أو أنه قرار يتمشى ويتفق مع نص وروح صك الانتداب الذى أصدرته عصبة الأمم!!؟ وأنه اتخذ على أساس احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها؟ وحق احترام وصيانة الحقوق الإنسانية للإنسان، وهى الحقوق التى أنشئت هيئة الأمم المتحدة لصيانتها والذود عنها؟!..

هيئة الأمم المتحدة تحطم دولة.. لتنشئ على أنقاضها دولة أخرى.. عنصرية!

ولا يفوتنا فى هذا المقام ونحن نتحدث عن إسرائيل وعلاقتها مع هيئة الأمم المتحدة أن نشير إلى:

ـ أن إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى انشأتها هيئة الأمم المتحدة على أنقاض فلسطين.. العربية منذ فجر التاريخ(١).

ـ وأن فلسطين هى الدولة الوحيدة التى هدمتها هيئة الأمم المتحدة لتنشئ على أنقاضها الكيان الصهيونى العنصرى.

وأن هذا الكيان الصهيونى الذى ولد فى أروقة مبنى الأمم المتحدة ومكاتبها وقاعتها الكبرى هى الدولة الوحيدة التى استهترت بهيئة الأمم المتحدة، وتستهتر اليوم وغدا بكل ما أصدرته وستصدره جمعيتها العامة ومجلسها للأمن من قرارات، ضربت وستضرب بها عرض الحائط..

وأن هذه الظاهرة الفريدة من نوعها بين جميع اعضاء الهيئة إنما تنبع من الصلف الصهيونى الذى امتازت به هذه الحركة العالمية منذ نشأتها، والتى ترتكز على مبدأ الأمر الواقع المستخلص من حديث حاييم وايزمان القائل:

(١) حسين التريكى ـ هذه فلسطين.

« لنفسح المجال لليهود ليأخذوا فلسطين وبعد ذلك يستطيعون أن يحصلوا على ما يريدون ».

ونحن نرى ويرى العالم معنا أنه منذ أن أفسح المجال لليهود ـ الصهاينة ـ في فلسطين ليقيموا على أديمها الكيان الصهيوني، رفضت إسرائيل ان تحترم مالا يقل عن ثلاثين قراراً اصدرتها الجمعية العامة.. ولا توجد دولة واحدة في العالم أخذت من هيئة الأمم المتحدة موقف التحدى كدولة اسرائيل..

ـ إنها لم تحترم ما ورد بقرار التقسيم رقم ١٨١ الصادر يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ عندما تجاهلت الحدود الجغرافية التي وردت في هذا القرار. ومن الغريب أن إسرائيل بنت وجودها الدولي على هذا القرار الذي لم تحترم نصوصه.. ولا تزال تتحداها...

ـ ولم تحترم القرار رقم ١٩٤ الصادر في ٧ ديسمبر ١٩٤٨ الخاص بعودة اللاجئين.. وقد عززت الجمعية العامة قرارها هذا الخاص بعودة اللاجئين بثمانية عشر قراراً آخراً ضربت إسرائيل بجميعها عرض الحائط.. ولا تزال...

ـ ولم تحترم القرار ٣٠٣ الصادر يوم ٩ ديسمبر ١٩٤٩ الخاص بتدويل القدس وادارتها بواسطة الأمم المتحدة.. ولا تزال تتحدى كل الدول وتعتبر القدس عاصمة الكيان الصهيوني.

ـ ولم تحترم القرار الصادر يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٠ الذي طالب إسرائيل بإعادة السكان العرب الذين طردتهم قواتها المسلحة من المناطق المجردة من السلاح في سوريا.. ولا تزال متحدية.. بل واحتلت مرتفعات الجولان...

ـ ولم تحترم القرار ٩٩٧ الصادر بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٥٦، الذي دعت فيه الجمعية العامة اسرائيل بالانسحاب من الأراضي المصرية التي احتلتها بعد العدوان الثلاثي...

.. واضطرت الجمعية العامة لإصدار عدة قرارات بهذا الشأن.. القرارات رقم ١٠٠٢ بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ورقم ١١٢٠ بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ ورقم ١١٢٣ بتاريخ ١٩ يناير ١٩٥٧ ورقم ١١٢٤ بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥٧.

.. ولم تنسحب الا بعد أربعة أشهر، وبعد أن اقترن انسحابها بوعد امريكى غربى بحماية حق إسرائيل فى الملاحة فى المياه الإقليمية العربية، وبذلك تسربت إسرائيل إلى خليج العقبة. وقد تسبب هذا الوعد الامريكى الغربى وما تبعه من تسرب وتحد إسرائيلى مسلح فى تلك المنطقة فى إشعال شرارة «حرب الستة ايام» فى ٥ يونية ١٩٦٧.

ـ ولم تحترم بل وتحدت ولا تزال تتحدى القرار الصادر عن مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ الذى:

« يؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الاراضى عن طريق الحرب والحاجة إلى سلام دائم تستطيع ان تعيش فيه كل دولة فى المنطقة.. وانسحاب القوات الإسرائيلية من الاراضى التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧. »

الفصل السادس

- الانتداب البريطانى على فلسطين
- والتآمر البريطانى الصهيونى على تمكين اليهود من الأرض الفلسطينية

الانتداب البريطانى على فلسطين
بقرار عصبة الأمم

الانتداب البريطانى على فلسطين[1]

عرفنا كيف نال الصهيونيون مطلبهم الأول، وهو الحصول على تعهد رسمى من الحكومة البريطانية، بقى أن نعرف كيف حصلوا على مطلبهم الثانى، وهو جعل بريطانيا هى الدولة المنتدبة على فلسطين ليستطيعوا فى ظلها إنشاء هذا الوطن ومقدمات إنشائه بتسهيل الهجرة وتحضير الجهاز الإدارى كما يقول وايزمان.

وقد ذكرت أن بريطانيا سبق لها أن تعهدت بالاعتراف باستقلال الدول العربية إذا هم قاموا بثورة ضد تركيا، وقد كان العرب فى حاجة للتخلص من نير الترك وعسفهم، وفعلاً انضمت الجيوش العربية إلى صفوف الحلفاء فى الشام، وقد كان للخطة التى وضعها الجيش العربى أثر كبير فى نصر الحلفاء وهزيمة الأتراك وحلفائهم الألمان حتى حدود آسيا الصغرى.

وبينما كان العرب واثقين بالإنجليز، كان الانجليز والفرنسيون يتفقون فيما بينهم على معاهدة سايكس بيكو التى ذكرتها آنفا من ناحية، ثم الإنجليز والصهاينة من ناحية أخرى على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين.

ولما كان الصهيونيون قد نالوا ذلك التعهد الرسمى بما أسموه تصريح بلفور، فقد بقى أن يفكروا فى الأمنية الثانية وهى وضع فلسطين تحت انتداب دولة صديقة (أى بريطانيا طبعاً).

وكلمة الانتداب فى أساسها بدعة استعمارية، ابتدعتها الدول الكبرى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، وهو نوع من أنواع تقسيم الأسلاب بين المنتصرين، يخفونه تحت ما يسمونه (وضع سعادة الشعوب وتقدمها وديعة فى يد العالم المتمدين).

---

(١) القضية الفلسطينية - المؤلف.

وقد فصل البند الثانى والعشرين من ميثاق عصبة الأمم أغراض الانتداب بما يلى :

(إن المستعمرات والبلدان التى قضت نتائج الحرب الأخيرة - الحرب العالمية الأولى - بخروجها عن سلطة الدول التى كانت تسيطر عليها فى الماضى والتى تسكنها شعوب لا تزال إلى الآن غير قادرة على الوقوف منعزلة فى معترك الحياة الجديدة، يجب أن يطبق عليها المبدأ القاضى بوضع سعادة شعوبها وتقدمها وديعة مقدسة فى يد العالم المتمدين، ويجب أن تدرج فى هذا العهد الضمانات على حسن القيام بهذه الوديعة - والطريقة المثلى بطبيعة هذا المبدأ عمليا هو أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب الى الدول الراقية، التى تمكنها مواردها المالية أو اختباراتها أو موقعها الجغرافى من القيام بهذه المسئولية - وتتحقق هذه الوصاية من جامعة الأمم بطريق الانتداب، وباختلاف درجات هذه الشعوب فى التقدم، وفى موضع البلاد الجغرافى وأحوالها العمرانية وما أشبه من الظروف) .

وحيث إن بعض الشعوب الصغيرة التى كانت ضمن السلطنة العثمانية وصلت إلى درجة من الرقى يمكن الاعتراف بها مبدئيا كشعوب مستقلة . على أن تقدم لها المشورة أو المساعدة الادارية من جانب إحدى الدول المنتدبة ريثما يصبح فى استطاعتها الوقوف منفردة بنفسها . ويجب مراعاة رغائب هذه الشعوب فى اختيار الدولة المنتدبة . . ويجب فى جميع الأحوال على كل دولة من الدول المنتدبة أن تقدم تقريرا سنويا إلى مجلس جامعة الأمم عن حالة البلاد الموضوعة فى عهدتها .

والواقع أن وضع نظام الانتداب لم يكن إلا مؤامرة إنجليزية فرنسية للتخلص من تعهدات بريطانيا للدول العربية، ولتحقيق معاهدة سايكس - بيكو، ثم لتحقيق إنشاء الوطن القومى لليهود، بل والإعداد لقيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين.

ولما كان الانتداب قرين إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين أو هو سبيله ووسيلته، فقد نص فى المادة الرابعة من صك الانتداب على ما يأتى :

(يعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة صالحة مادامت الدولة المنتدبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض، ويترتب على الوصاية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلاله البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود، الذين يبغون المساعدة فى إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين) .

رفض العرب للانتداب ووعد بلفور

هذا وقد رفض الملك حسين بن على التوقيع على صك الانتداب، وأرسل الملك فيصل ابن الحسين احتجاجا مطولا إلى عصبة الأمم فى ٢٧ فبراير جاء فيه:

(... وقد أمرنى والدى بتقديم احتجاج رسمي، ورجائى أن لا توافق جامعة الأمم على هذه الانتدابات قبل أن تستشيره، فهو الذى قاد فى أثناء الحرب وشد أزر الحلفاء، وأن لا تنشر صكوك الانتداب رسميا قبل أن نقف على رغائب أهل الولايات التى تشملها المادة ٢٢ من ميثاق الجامعة).

وفى مؤتمر الشرق الذى عقد فى لندن فى مارس ١٩٢١ ألقى مندوب الملك فيصل ابن الحسين بيانا مطولا اعترض فيه على نظام الانتداب أشد الاعتراض.

وقد بذل الملك فيصل جهوداً كبيرة عندما ذهب لتمثيل والده فى مؤتمر الصلح فى السعى لدى المؤتمر فى ضرورة إرسال لجنة دولية الى بلاد الشام لاستفتاء أهلها، وذلك عندما أيقن هو ووالده أن الإنجليز ـ وقد نالوا النصر ـ لن يفوا بتعهداتهم للعرب، وقد نال فى هذه الجهود تأييد الرئيس ويلسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية، الذى حمل أعضاء المؤتمر على إصدار قرار وقع عليه مندوبو الدول الكبرى فى يناير ١٩١٩، وهو يقضى بفصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية وباستفتاء أهلها فى تقرير مصيرهم.

اللجنة الأمريكية

وفى شهر مارس ١٩١٩ عين الرئيس ويلسون اللجنة الأمريكية، وطالب بريطانيا وفرنسا بتعيين لجنتيهما لتسافر اللجان الثلاث الى الشام لاستفتاء سكان البلاد ـ وقد أيقنت فرنسا أنها بإرسال اللجنة ستفقد بذلك سيطرتها على سوريا التى كانت فى ذلك الوقت تحتل سواحلها، وتبعتها بريطانيا التى كانت أيضا تحتل فلسطين احتلالا عسكريا عقب النصر على الأتراك، ورغم ذلك أمر الرئيس ويلسون بسفر اللجنة الأمريكية منفردة إلى الشام غير مقيدة ببريطانيا أو فرنسا، وفعلاً قامت اللجنة ووصلت فى منتصف يونيو ١٩١٩ إلى يافا، وأصدرت بياناً عقب وصولها الى الشعب العربى، قالت فيه: (إن الشعب الأمريكي ليس له مطامع سياسية فى أوروبا أو الشرق الأدنى، وهو يفضل على قدر الإمكان تجنب كل ماله

علاقة بالمشاكل الأوروبية والآسيوية والإفريقية، ويرغب بإخلاص فى أن يسود السلام الدائم وانه بهذه الروح يدنو من مشكلات الشرق الأدنى... لقد عين مؤتمر الصلح لجنة دولية لدرس الحالة فى المملكة التركية وعلاقتها بالوصاية، فغاية اللجنة الأمريكية الآن هو الوقوف قدر المستطاع على أحوال السكان والطبقات وعلاقاتهم؛ ليكون الرئيس ويلسون والشعب الأمريكى على بينة من الحقائق فى كل سياسة يدعى اليها فيما يتعلق بالشرق الأدنى سواء كان ذلك فى مؤتمر الصلح أو فى جامعة الأمم).

المؤتمر السورى

فى ذلك الوقت كان المؤتمر السورى مجتمعاً فى دمشق فرفض العرب فى فلسطين الادلاء بأى بيان، وطلبوا من اللجنة الرجوع إلى مؤتمر دمشق الذى يمثلهم جميعا. وفعلاً ذهبت اللجنة إلى دمشق وحصلت على قرارات المؤتمر، وقدجاء فيها:

(إننا نحن الموقعين أدناه إمضاءاتنا وأسمائنا أعضاء المؤتمر السورى المنعقد فى دمشق والمؤلف من المناطق الثلاث الجنوبية (فلسطين) والشرقية (سوريا الداخلية) والغربية (ساحل سوريا) الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا، قد قررنا فى جلستنا المنعقدة فى ٢ يوليو ١٩١٩ وضع هذه اللائحة مبينة رغائب سكان البلاد الذين انتدبونا ورفعها إلى الوفد الأمريكى المحترم من اللجنة الدولية، وهى:

١ ـ أننا نطلب الاستقلال السياسى التام الناجز للبلاد السورية التى تحدها شمالا جبال طوروس وجنوبا رفح فالخط المار من جنوبى الجوف الى جنوبى العقبة الشامية والعقبة الحجازية وشرقا نهر الفرات فالخابور، والخط الممتد شرقى الجوف، وغربا البحر الأبيض المتوسط بدون حماية ولا وصاية.

٢ ـ أننا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية مدنية نيابية تدار مقاطعتها على طريقة اللامركزية الواسعة وتحفظ فيها حقوق الأقليات، على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل، الذى جاهد فى سبيل تحرير هذه الأمة جهاداً استحق به أن نضع تمام الثقة فى شخصه، وأن نجاهر بالاعتماد التام على سموه.

٣ ـ وحيث إن الشعب العربى الساكن فى البلاد السورية شعب لا يقل رقيا من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية، وليس هو فى حالة أحط من حالات شعوب البلقان والصرب

واليونان ورومانيا في مبدأ استقلالها. فإننا نحتج على المادة ٢٢ الواردة في عهد جامعة الأمم والقاضية بإدخال بلادنا في عداد الأمم المتوسطة التي تحتاج إلى دولة منتدبة.

٤ ـ أننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية، أي فلسطين وطنا قوميا لليهود ونرفض هجرتهم إلى أي قسم من بلادنا، لأنهم ليس لهم فيها أدنى حق ولأنهم خطر شديد على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي. أما سكان البلاد الأصليون من إخواننا الموسويين فلهم مالنا وعليهم ما علينا.

توصيات اللجنة الأمريكية

وقد وضعت اللجنة بناء على هذه القرارات تقريرها، الذي لم ينشر إلا بعد سنوات وأهم ما جاء فيه:

ـ (أن الوطن القومي اليهودي يلحق اضراراً جسيمة بحقوق العرب المدنية والدينية... لقد اتضح للجنة بعد سماعها للبيانات الصهيونية أن الحركة الصهيونية ترمي إلى سلب العرب عن طريق شراء أراضيهم بشتى الأشكال.

ـ أن السوريين يشاركون الفلسطينيين في مقاومتهم للصهيونية.

ـ أن تطبيق البرنامج الصهيوني لا يكون إلا بالقوة والعنف. وأن يكون اللجوء إلى القوة ضروريًا في بعض الاحيان فلا يجوز على كل حال أن يستخدم لنصرة الباطل على الحق.

ـ توصي اللجنة بتعديل البرنامج الصهيوني من أساسه في مؤتمر السلام).

وقد كان هذا التقرير بلا شك في صالح العرب، إلا أن ضغط الصهيونيين والصهيونيين الإنجليز على السياسة الدولية جعلته خاليا من أي تأثير على مجرى الحوادث العالمية. حتى السياسة الأمريكية صاحبة مبدأ حق تقرير المصير لم تعره التفاتاً. وإنما آثرت الأخذ بآراء لجنة دائرة المخابرات الأمريكية، التي ناصرت اليهود في توصياتها، وأهم ما جاء في توصيات هذه اللجنة الأخيرة ما يأتي:

(نوصى بأن تنشأ فى فلسطين دولة منفصلة عن الدول المجاورة، وتوضع هذه الدولة تحت الانتداب البريطانى).

(يدعى اليهود الى العودة إلى فلسطين وإلى الإقامة فيها، وأن يضمن لهم مؤتمر السلام تقديم المساعدات اللازمة للنجاح فى مساعيهم على أن لا تضار الحقوق الشخصية والملكية التى يتمتع بها السكان غير اليهود، ونوصى بأن يضمن مؤتمر السلام لليهود أنه مستعد للاعتراف بالدولة اليهودية حالما تشكل هذه الدولة بالفعل. فمن العدل والإنصاف أن تصبح فلسطين دولة يهودية إذا تمكن اليهود بفضل التسهيلات المقدمة لهم لتحقيق هذه الغاية من أن يحولوها إلى دولة يهودية. ففلسطين كانت مهد العنصر اليهودى ومحل سكناه، والعنصر اليهودى ساهم مساهمة جليلة فى تطور الفكر البشرى، وفلسطين هى الأرض الوحيدة التى يمكن لليهود أن يجدوا فيها موطنا خاصا بهم).

(نوصى بأن توضع الأماكن المقدسة والحقوق الدينية التى تتمتع بها سائر الطوائف تحت حماية عصبة الأمم والدولة المنتدبة).

ورغم ما قام به الملك حسين ولأمير فيصل من الاحتاجاجات القوية، وما أبداه سكان البلاد فعلا من المطالب السابق ذكرها. ورغم القرار الموقع عليه من مندوبى الدول العظمى باستفتاء أهل البلاد. ورغم تقرير لجنة التحقيق المقدم إلى مجلس الحلفاء. كل ذلك لم يمنع الحلفاء من استصفاء الأقطار العربية وتقسيمها إلى منطقتى النفوذ والبريطانية السابق الإشارة اليها.

ولما كانت أمريكا قد انسحبت من مؤتمر الصلح فى أوائل سنة ١٩٢٠ فى الوقت الذى كان الرئيس ويلسون يعطف على القضية العربية، فقد اجتمع مجلس الحلفاء المكون من مندوبى فرنسا وبريطانيا وإيطاليا واليابان فى يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ وأصدر قراره بتقسيم بلاد الشام والعراق بين فرنسا وإنجلترا فنالت الأولى المنطقة التى تشمل سوريا ولبنان الآن، ونالت بريطانيا العراق وشرق الأردن وفلسطين، وذلك تحت ما سموه الانتداب.

وهكذا صار الانتداب حقيقة واقعة، رغم مناقضته للمبادئ السياسية والاجتماعية.

أما كيف أبلغ ذلك الى العرب فى فلسطين فقد عقد السير بولز الحاكم البريطانى فى القدس اجتماعاً للزعماء الفلسطينيين وألقى عليهم البيان الآتى:

(قرر المجلس الأعلى للحلفاء انتداب دولة لفلسطين، وأن يدمج وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود فى معاهدة الصلح مع تركيا. وقد عرض هذا الانتداب على بريطانيا فقبلته وهى تحكم البلاد لخير سكانها وأتلو عليكم وعد بلفور، وأقول لكم إن إدماجه فى صك الانتداب يعنى عدم التعرض للعادات الدينية والاماكن المقدسة وعدم تقييد شيء من الحرية الدينية بشرط المحافظة على النظام والأمن العام. ويسمح للمهاجرين بدخول البلاد على قدر حاجتها إلى النمو والارتقاء، وتسيطر حكومة بريطانيا على المهاجرة. ولا يخرج أصحاب الأملاك الحاليون عن أملاكهم ولا تنزع منهم. ولا تمنح امتيازات اقتصادية لأفراد أو جماعات إذا كان فى منحها ضرر لغيرهم. فالحكم سيكون للحكومة البريطانية، ولا يسمح بحال من الأحوال لأقلية أن تسيطر على الأكثرية من السكان. ومتى حان الوقت لإنشاء شكل من أشكال الحكم النيابى ففى هذه الحالة تعقد الآمال العظيمة على زيادة اليسر لجميع السكان. وقد صدر هذا القرار بعد طول انتظار فيجب إنهاء الخلافات السياسية والاضطرابات وعلى جميع الفلسطينيين الحقيقيين أن يبادروا لخدمة فلسطين وخير الأجيال المقبلة).

وقد احتج الفلسطينيون على قرار مجلس الحلفاء، وطالبوا أن يمنحوا استقلالهم فلم يجدوا أذنا صاغية، واجتمع مجلس عصبة الامم فى ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٢ وأقر انتداب بريطانيا على فلسطين.

الجهاد العربى

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الجهاد العربى المرير. ولكنه كان مقصورا تقريبا على عرب فلسطين فقط الذين تعرضوا لاعتداء الصهيونيين. وإذا سألنا عن الصهيونيين الذين دخلوا فلسطين فى تلك السنين فسنجد خليطا عجيبا من المتشردين اللصوص، وقطاع الطرق، وشذاذ الآفاق، وسماسرة الشيوعية، وتجار الرقيق الابيض، وباعة المخدرات، أتى بهم الانجليز من جميع الانحاء، وأرادوا أن يكونوا منهم شعبا ودولة.

والواقع أن بريطانيا لم تفعل ذلك حبا فى اليهود، وانما لتستطيع بواسطتهم أن ترسخ قدام الاستعمار فى تلك المنطقة المهمة من الشرق الاوسط، وأن تجعل من الدولة اليهودية شوكة فى ظهر العالم العربى.

وقد أصبح العرب أمام عدوين لدودين : مستعمر محتل،. ودخيل ثقيل يشاركهم فى حياتهم ويسلبهم أرضهم.

ولم يكن لدى العرب فى ذلك الوقت وسيلة ناجعة لنيل حقوقهم ولا لإسماع صوتهم للعالم الخارجى ـ وكانت الصحف فى أوروبا وأمريكا تنشر المقالات والآراء الموالية للصهيونية فى الوقت الذى أصبحت فيه فلسطين كأنها فى عزلة عن العالم. على أن العرب لم يكفوا عن الكفاح لحظة واحدة. ولكنه كان داخليا بحتا. فقد عقدت مؤتمرات عربية وأرسلت احتجاجات كثيرة تنادى ببطلان وعد بلفور وتطالب بالاستقلال.

وقد شعر العرب بحاجتهم الى التكاتف والاتحاد فألفوا جمعيات كثيرة عربية فلسطينية، واسلامية مسيحية فى جميع انحاء البلاد.

وعلى الرغم من ذلك الظلم البين، وعلى الرغم من الجهود التى كان يبذلها العرب، كان اليهود من ناحيتهم يسعون لدى فرنسا ولدى عصبة الامم لتوسيع الحدود الفلسطينية، وأخذ جزء من سوريا ولبنان لضمه إلى الدولة الفلسطينية، لإمكان استيعاب اليهود المنتشرين فى جميع انحاء العالم، ولكن خاب مسعاهم فقد تمسكت فرنسا بنصوص معاهدة سايكس بيكو المبين بها حدود المنطقتين.

ولم يستطيع الشعب العربى أمام تلك الظروف أن يقف مكتوف الايدى مكتفيا بكفاحه الداخلى، فقد اجتمع المؤتمر العربى الفلسطينى على أثر الاضطرابات التى وقعت فى يافا فى مايو سنة ١٩٢١، وقرر إرسال وفد عربى إلى لندن للتفاوض مع البريطانيين، وسافر الوفد برياسة موسى كاظم الحسينى وانضم إلى الاتحاد السورى بجنيف وكونوا المؤتمر العربى الفلسطينى فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٢، وقد أرسل المؤتمر كتاباً إلى المستر تشرشل وزير المستعمرات حدد فيه العرب مطالبهم بحزم وشدة ووضوح، وقد جاء فيه:

(مادام وضع فلسطين على ما هو عليه اليوم من استئثار الحكومة البريطانية بالسلطة بالاعتماد على قواها المحتلة. واستعمالها تلك السلطة فى إرغام أهل البلاد على قبول هجرة واسعة النطاق من اليهود الغرباء الذين ينتمى أكثرهم إلى عناصر بلشفية ثورية فلن يقبل أهل فلسطين أقل من دستور يمكنهم من الإشراف على شئونهم الخاصة إشرافا تاما.

ولو أعادت الحكومة البريطانية النظر فى سياستها الحاضرة فى فلسطين ووضعت حدا لنظام الحكم الذى تسيطر عليه الصهيونية وأوقفت هجرة الغرباء إلى فلسطين تماما. ومنحت سلطات تنفيذية وتشريعية إلى أهاليها الذين بحكم الحق والخبرة خير من يميز بين ما هو خير

وما هو شر لبلادهم. لكان فى الإمكان البحث فى نصوص الدستور فى جو آخر. فان العرب لو وافقوا اليوم على دستور يقصر عن منحهم حق إدارة شئونهم الخاصة بصورة مستكملة. لكانوا بفعلهم هذا يوافقون على صك قد يتخذ ـ بل يرجح أنه سيتخذ ـ كأداة لخنق كيانهم القومى تحت سيل جارف من الهجرة الأجنبية).

الاصطدام بين العرب واليهود

ولما رأى العرب أن الدبلوماسية قد فشلت فى إعطائهم حقوقهم، فقد ابتدأوا من جديد يحلون قضيتهم داخل البلاد. وكان لا بد من قيام الاضطرابات بينهم وبين اليهود. وكان أول صدام قام بين اليهود والعرب فى شهر ابريل سنة ١٩٢٠ حينما قام العرب بمظاهرة كبيرة فى القدس، وأخذوا يهتفون بالوحدة السورية وسقوط الانتداب والصهيونية، وقد سار الزعماء الفلسطينيون فى مقدمة المتظاهرين، وألقوا بينهم الخطب الحماسية التى كانت تلهب شعور العرب جميعا. وقد قامت مظاهرة يهودية وتصددت لهم فاشتبك الفريقان وجرح كثير من اليهود، ولولا تدخل جيش الاحتلال لأفنى العرب عدداً كبيراً منهم.

وقد ألف الانجليز لجنة للتحقيق فى هذا الحادث برياسة الجنرال بالن عرفت بلجنة بالن. وقد حكمت هذه اللجنة بالسجن على كثير من العرب منهم الحاج أمين الحسينى والسيد عارف وقد حكم عليهما بالسجن عشر سنوات. ولكنهما استطاعا الفرار إلى شرق الأردن. وقد حكم أيضا بالسجن على زعيم جمعية الهجاناه الإرهابية خمسة عشر سنة. ولكن ما لبث أن جاءه العفو من الحكومة البريطانية رأسا من لندن.

وعقب هذا الحادث عينت الحكومة البريطانية السير هربرت صموئيل الصهيونى البريطانى حاكما عاما ليضمنوا بذلك سلامة اليهود وقد كان أول عمل له هو العفو عن جميع المحكوم عليهم فى حوادث القدس.

وقد قدمت لجنة بالن المشار اليها تقريرا مفصلا عن رأيها ولكنه بقى سرا. إلا أن رأى السير بولز الحاكم السابق يبدو فى مذكرة أرسلها إلى رئاسة الجيش البريطانى، شرح فيها المطامع الصهيونية وضررها على العرب واليهود أنفسهم. وقد كانت سببا فى عزله عن منصبه. وتعيين زعيم الصهيونيين ونصيرهم (صموئيل) مكانه. وقد ختم السير بولز مذكرته بقوله:

(لذلك فإني أوصى فى سبيل السلام وسبيل التقدم وسبيل الصهيونيين أنفسهم أن تلغى اللجنة الصهيونية فى فلسطين).

وقد كان حادث القدس بادئة الاضطرابات الداخلية المستمرة فى فلسطين خصوصا وأن اليهود كانوا يدخلون فلسطين كالسيل الجارف.

أما فى سوريا فقد عاد الأمير فيصل من رحلته إلى أوروبا فى يناير سنة ١٩٢٠ بعد أن فشل فى الاتفاق مع الانجليز والفرنسيين على حل القضية العربية، وقد عقد فى دمشق المؤتمر العربى فى مارس ١٩٢٠، وفيه نادى الزعماء بالأمير فيصل ملكا على البلاد السورية ونادى باستقلال البلاد العربية (سوريا ولبنان وفلسطين) وأرسل قراراته إلى الحلفاء. وطالب الملك فيصل إنجلترا وفرنسا بالجلاء عن بلاده، ولكنهما أجابتاه بعدم الاعتراف بهذه القرارات وطلبا منه أن يفاوضهما من جديد.

الدستور الفلسطينى

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ وضعت الحكومة البريطانية الدستور الفلسطينى وهو لايختلف فى شىء عن طريقة حكم المستعمرات. وقد رفضه العرب من أساسه. وعقد لذلك المؤتمر العربى الفلسطينى فى أول سبتمبر سنة ١٩٢٢ وقرر مقاطعة انتخابات المجلس الاستشارى، وقد أصدر المؤتمر العربى البيان الآتى:

(قرر المؤتمر العربى الفلسطينى المنعقد فى ٣ سبتمبر ١٩٢٢ رفض الدستور الجديد الفلسطينى بمقاطعة الانتخابات المقبلة للمجلس التشريعي، لأنه وجد بعد البحث الدقيق أن الاشتراك فى تلك الانتخابات إنما هو قبول بالانتداب وبتصريح بلفور الذى يقضى بجعل البلاد المقدسة وطنا قوميا لليهود. وقد رفض الوفد العربى الفلسطينى فى لندن بلسان الأمة ذلك الدستور لأنه وجد فيه مخالفة أساسية لمطالب الأمة وأمانيها وفيه غبن فاحش لها ولمصالحها).

وقد اضطرت الحكومة البريطانيى إلى تعيين أعضاء المجلس وبعضهم من العرب، إلا أن العرب انسحبوا من أول جلسة عقدها، وبذلك انحل المجلس وانهار مشروع الدستور من أساسه.

الحكم البريطانى والإدارة المدنية

وسارت فلسطين بعد ذلك محكومة حكما بريطانيا مباشرا، وفى يد حاكم عام بريطانى يتصرف كما يشاء.

وقد قام العرب بجهاد طويل حتى سنة ١٩٢٩، ولكنهم فشلوا فى جميع مفاوضاتهم مع الإنجليز. وقد اتسعت شقة الخلاف بين العرب والبريطانيين حينما أصدر تشرشل كتابه الأبيض وفيه بين (أنه يؤسس فى فلسطين وطن قومى لليهود أولا، وتراعى مصالح السكان غير اليهود ثانيا) وقد حاولت الحكومة البريطانية من جانبها حمل العرب على الاعتراف بوعد بلفور ولكن جهودهم ذهبت سدى. فقد تمسكوا بحقهم كاملا، وأبوا إلا الجهاد الطويل فى سبيل تحقيقه.

ولما كان العرب لا دخل لهم فى إدارة فلسطين. فقد استطاع الزعيم الفلسطينى أمين الحسينى أن يؤلف المجلس الإسلامى الأعلى فى سنة ١٩٢١ وغرض هذا المجلس الرسمى هو إدارة الأوقاف الإسلامية. ولكن أمين الحسينى بفضل ذكائه وشخصيته وجهاده الطويل فى سبيل تحقيق أهداف البلاد العالية، استطاع أن يجعل من هذا المجلس أداة قوية لمحاربة الصهيونية من جانب والاستعمار من جانب آخر. وقد التف حوله جميع الفلسطينيين صغيرهم وكبيرهم وكونوا جبهة قوية غرضها الأول هو القضاء على العدوين اللدوين.

بدء الثورات على نطاق واسع

لم تأت سنة ١٩٢٩ حتى ابتدأت الاضطرابات على نطاق واسع فى جميع مدن فلسطين، وقد ضاق العرب ذرعا باستمرار الانجليز فى تطبيق البرنامج الصهيونى على أوسع نطاق. فهجرة شرعية وغير شرعية وامتلاك للأراضى واعتداء ظالم على نفوس العرب الأبرياء إذا ما أرادوا الدفاع عن حقوقهم.

وقد رأت الحكومة البريطانية أن خير وسيلة لتخدير أعصاب العرب للمرواغة والتسويف هو إرسال لجنة تحقيق كلما قامت ثائرة العرب ضد المغتصبين.

ولو أردنا إحصاء الثورات التى قام بها العرب لاستخلاص حقوقهم لما وجدنا شعبا ناضل وكافح كالشعب الفلسطينى وما وجدنا أسرة إلا وفقدت عائلا لها أو عزيزا عليها. ولو

بحثنا عما نال الاهالى من الخسائر المادية لم نجد أسرة إلا وفقدت أرضا أو بيتا أو ملكا لها. وربما سأل سائل كيف استطاع اليهود امتلاك الأراضى وهى ملك للعرب..؟ والجواب على ذلك صريح.

فقد نصت المادة الثانية من صك الانتداب على ما يأتى:

(تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومى لليهود).

فكان على الإنجليز طبعاً لتنفيذ هذا النص أن يضعوا العرب فى أسوأ الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية. فكانت تهيئ الذرائع المختلفة لإجلاء العرب عن أراضيهم وإسكان اليهود مكانهم. كما حصل فى بعض القرى مثل وادى الحوارث وقرية شطه وغيرهما. من اعتداء الإنجليز ببنادقهم وحرابهم على الأهالى وتشتيتهم وإسكان اليهود فى تلك القرى، وقد خرج الأهالى فعلا وتفرقوا فى البلاد بلا مأوى بعد أن قتل كثير منهم. ومنها إثقال الحكومة كاهل الفلاحين بالضرائب الفادحة ثم مساعدة اليهود المجاورين للعرب للاعتداء على حقوقهم وإجبارهم على بيع الأراضى لهم. وهناك أسباب كثيرة منها ما نص عليه الانتداب من وضع الأهالى فى حالة اقتصادية تسمح بإنشاء الوطن القومى. فكان لا بد أن تكون هذه الحالة الاقتصادية هى أسوأ حالة تكره الفلاحين على الخروج عن أراضيهم.

المؤتمر الإسلامى العام

لم يأت عام ١٩٣١ حتى كانت الحكومة البريطانية قد أرسلت خمساً من لجان التحقيق إلى فلسطين وقد وضعت كلها تقارير أغلبها كان فى صالح العرب، وكان لا بد من إهمال كل تقرير طبعاً. والوعد بإرسال لجنة أخرى لتضع تقريراً جديداً ـ وهكذا، وكانت آخر لجنة أرسلتها الحكومة البريطانية فى ذلك العام هى (لجنة فرنش)، وكانت هذه اللجنة تقوم بوضع دراسات وإحصائيات فى صالح العرب، ورأت الحكومة أن فى ذلك صرفا لنشاط السكان إلا أن الزعماء وفى مقدمتهم أمين الحسينى كانوا يعدون العدة لعقد مؤتمر إسلامى عام فى القدس. وقد دعى إلى هذا المؤتمر جميع الشعوب العربية والإسلامية وفى مقدمتها الدول العربية والهند والصين وروسيا والقوقاز وتركيا ويوغسلافيا وإيران، وقد افتتح المؤتمر أولى

جلساته بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء الموافق ٧ ديسمبر سنة ١٩٣١ وقد أصدر بعد عقد حوالى العشرين جلسة قراراته المهمة وهى تؤيد مطالبهم الأولى، وجاء ضمن القرارات:

١ ـ مقاطعة جميع البضائع اليهودية فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.

٢ ـ تأسيس شركة زراعية كبرى فى فلسطين يشترك فيها العالم الإسلامى، تكون مهمتها إنقاذ أراضى العرب فى فلسطين، والحيلولة دون خروجهم من حوزتهم.

٣ ـ دعوة العالم الإسلامى لشراء الأراضى المعرضة للضياع من أيدى العرب.

وقام الى جانب المؤتمر الإسلامى مؤتمر الشباب العربى، الذى عقد فى ديسمبر سنة ١٩٣٢، وأصدر ميثاقاً جاء فيه:

١ ـ إن البلاد العربية وحدة تامة الأجزاء وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة فإن الأمة لاتقره ولا تعترف به.

٢ ـ توجيه الجهود فى كل قطر من الأقطار العربية إلى وجهة واحدة هى استقلالها التام كاملة موحدة، ومقاومة كل فكرة ترمى إلى الاقتصار على العمل للسياسة المحلية الأقليمية.

لما كان الإستعمار بجميع أشكاله وصيغه يتنافى كل التنافى مع كرامة الأمة العربية وغايتها العظمى، فإن الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها).

وقد نشأت فى ذلك الوقت حركات كثيرة للاحزاب المختلفة، ولكن هدفها كان واحداً.



الملك عبدالله بن الحسين قائد الجيوش العربية لتحرير فلسطين (١٩٤٨) خان قضية العرب مرتين:
الأولى: عندما سلم مدينتى اللد والرملة وغيرهما من الأراضى الفلسطينية إلى اليهود دون حرب.
الثانية: عندما أعلن نفسه ملكاً على ماتبقى من الأراضى الفلسطينية..

الفصل السابع

الإرهاب الصهيونى في ظل الانتداب البريطانى

الإرهاب الصهيونى فى ظل الانتداب البريطانى

مجازر الإرهاب ترتكب فى ظل الانتداب البريطانى :

وقبل أن نسترسل فى الحديث على قرار التقسيم وبصورة خاصة على تاريخ أول أغسطس، وهو التاريخ الذى حددته بريطانيا لانسحابها من فلسطين لتجسم عملية الغدر البريطانى بالعرب وبحقوقهم.. لابد من إزاحة الستار على أرض فلسطين لنرى ما كان يرتكبه الصهاينة من جرائم بشعة تحت ظل الانتداب البريطانى وحماية سلطانه وبأسلحته لكى تتجسم لنا الصورة على حقيقتها.

وسوف نكتفى ببعض عينات مما سجلته « الوكالة اليهودية » فى يومياتها تحت عنوان «الصحيفة السوداء». جاء فى هذه « الصحيفة السوداء » حقًّا...

« كانت أول بادرة تدل على أن أحداثاً جساماً على وشك أن تقع من جانب القيادة الصهيونية العليا، هو ذلك الإعلان الذى ظهر فى صحافة لندن يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ مفاده أن الوزارة البريطانية قررت فى ذلك اليوم ترك فلسطين أو التخلى عن الانتداب فى وقت مبكر ما لم تقدم هيئة الأمم المتحدة مشروعاً معتمداً يكون مقبولاً لدى كل من اليهود والعرب.. وفى « ليك ساكسييس » بدأت الوفود المختلفة تقوى جهودها من وراء الستار، وفى فلسطين يجمع الإرهاب اليهودى عزيمته ».

« وفى ٢٦ سبتمبر ١٩٤٧ اعترضت عصابة من الأرهابيين اليهود عربة مدرعة عند مبنى بركليز بنك فى تل ابيب وقتلت أربعة من رجال البوليس البريطانيين، وهربت بمبلغ ١٨٠,٠٠٠ دولار ».

« وفى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ نادت عصابة من اليهود تتنكر فى ملابس عسكرية بريطانية بالقرب من الرنانا على الشيخ أحمد سلامة تويكى وأربعة شبان من أقاربه بدعوى تفتيشهم وعندما خرجوا إليهم استجابة لما كانوا يظنونه مهمة عسكرية بريطانية رسمية، تم اغتيال الرجال الخمسة فجأة ».

دير ياسين يتحول إلى « حمام دم » فى أفظع عملية إرهابية : (١)

ولعل أفظع عينة لهذا الإرهاب الذى كانت تمارسه المؤسسات الإرهابية الصهيونية تحت ظل سلطة الانتداب البريطانى وفى حماية سلاحه، هى مذبحة دير ياسين التى اقترفها الصهاينة.. تلك المجزرة التى ذهب ضحيتها أكثر من ٢٥٠ عربيًا بين شيوخ وأطفال ونساء ذبحوا وبقرت بطون الحبالى منهم بالسلاح الأبيض، ثم ألقوا بهم فى بئر وبعد ذلك شحن وطيف بمن بقى من سكان القرية فى شوارع القدس فى مظاهرة إرهابية تهدف لخلق جو من الإرهاب يبعث الفزع والذعر فى أنفس السكان العرب الآمنين.. لحملهم على التشرد.

شهادات الصهاينة أنفسهم.

ولنترك القلم للصهاينة أنفسهم يحدثوننا عن هذه الجريمة البشعة.. يقول جون كيمش Jon Kimche الكاتب والصحفى البريطانى الصهيونى الذى كان يغطى نشاط وكالة رويتر للأنباء فى فلسطين حينذاك والذى كتب مقالات عديدة عن عمليات اغتصاب فلسطين من قبل الصهاينة بحد السلاح فى جريدتى Evening Standard, Sunday Obsever وألف كتاباً بعنوان « الأعمدة السبعة التى تنهار » Les Sept qui tombent سجل فيه أحاديث لزعماء الإجرام الصهيونى مثل مناحم بيجين.. يقول هذا الصحفى:

« انقضت قوات مكونة من جنود « الأرغون » و « الشترن » صبيحة يوم الجمعة ٩ أبريل ١٩٤٨ على قرية دير ياسين، ومن البديهى أنه لم يكن هنالك ما يوجب هذه العملية الوحشية، والدليل على ذلك أن الروايات والتفسيرات المتناقضة التى أفضى بها الإرهابيون بعد وقوعها لم تقنع أحداً ولا تفسر وجوب اغتيال ٢٥٠ عربيا من بينهم أكثر من ١٠٠ امرأة وطفل.. وأبشع من هذه العملية كانت تلك المظاهرات الإشهارية التى قامت بها « أرغون » عندما كدست بعض الأسرى العرب المساكين فى عربات شحن، وطافت بهم فى شوارع القدس ».

(١) هذه فلسطين - حسين التريكى.

ويضيف هذا الصحفى اليهودى

«وسوف تبقى مجزرة دير ياسين صفحة سوداء فى تاريخ حرب اليهود، وإن كانت ذات أهمية من الوجهة التاريخية، حيث إنها تشكل بداية المرحلة التى أراد الإهابيون أن يخدموا بها قضيتهم ويبرروا بها عملياتهم، فكما أنهم يرجعون سبب إجلاء القوات البريطانية عن فلسطين إلى هجماتهم الأرهابية فإنهم يعتبرون أن مجزرة دير ياسين كانت العامل الحاسم الذى نشر الفزع والذعر والإرهاب بين السكان العرب، وعجل بتشريد ما بقى منهم فى القطاع الخاص بدولة إسرائيل... ولم يعرف إلا مؤخرا أن الهدف من هذه العملية كان إرهاب العرب. لقد كانت عملية إرهابية، ومناورة إشهارية تشمئز منها النفوس، فضلا عن أنها لم تكن ضرورية.. وهكذا فقد كانت هذه المجزرة التى أحدثت حركة التشريد الإرادى بين السكان العرب للسهول الساحلية».

ويقول الكاتب اليهودى أرثر كوستلر Arthur Koestler الذى عاش فى فلسطين، ودوّن أحاديث دارت بينه وبين مناحم بيجين زعيم عصابة «أرغون».. يقول فى الصفحة ١٦٠ من كتابه «الوعد والتنفيذ»:

«لقد كان «حمام دم» دير ياسين أفظع عملية قام بها الإرهابيون على الإطلاق.. وحادثا جانبيا للحرب بين العرب واليهود، إلا أنه كانت له مضاعفات خارقة للعادة مما حمل الوكالة اليهودية إلي إصدار بلاغ أعربت فيه عن اشمئزازها من فظاعة هذه المناورة البربرية التى نفدت بها العملية».

وهل يبقى بعد الشهادات الواردة على ألسنة الصهاينة.. والتى سجلتها أقلامهم.. هل تبقى بعد ذلك أية قيمة للإدعاءات التى روجتها أبواق الدعاية الصهيونية ببريق من ذهبها فى كافة أنحاء الدنيا من أن «عرب فلسطين تركوا ديارهم استجابة للنداءات التى كان يوجهها لهم زعماء العرب وساستهم من الخارج؟..

وهذه شهادات أخرى:

هارى لفين Harry Levin وهو يهودى صهيونى من جنوب إفريقيا كان مراسلا لجريدة الديلى هيرالد Daily Herald، ثم أصبح مذيعا لمحطة «الهاجاناه» السرية: وانتهى به المطاف إلى أن أصبح موظفا سلميا فى وزارة خارجية إسرائيل.. دون هارى ليفين هذا، فى الصفحة ٥٧ - ٦٠ من كتابه «القدس فى حالة حرب» ما يلى:

« ٩ أبريل : احتل البارحة اتزل Etzel قرية دير ياسين، تسرى روايات مفزعة عن اغتيال رجال وأطفال دون تميز. كانت دير ياسين ضمن القرى القلائل المجاورة للقدس التى كان يسودها الهدوء وفوق هذه الفظاعة فى التقتيل عمدوا إلى عرض «الأسرى فى شوارع القدس». لقد رأيت بعنيي رأسي ثلاث سيارات نقل تسير فى بطء ذهابا وإيابا على الساعة ١٤ فى شارع الملك جورج بالقدس، كان الرجال والنساء والأطفال فوقها رافعين أيديهم فوق رؤوسهم يحوطهم الجنود اليهود شاهرين رشاشاتهم وبنادقهم.. كان شيخ القرية يركب إحدى هذه السيارات ومعه جمع من النساء يتقدمهم طفل رافعا كلتا يديه كأنهما جمدتا. وجوههم مرهقة ونظراتهم مفزعة تضيع فى الفضاء».

« ١٠ أبريل كان دير ياسين موضوع اليوم قابلت رينيى Reynier ممثل الصليب الأحمر الذى ذهب لزيارة المكان لم يرد على أسئلتى إلا بكلمات « فظاعة ».. تحدثت مع «I» و «H» اللذان ينتميان للهاجانه فأما (I) فلم يرد على أسئلتى وأما (H) فقال لى رأيت كومة من الجثث تملأ البئر.. كانت أجسامهم محروقة ورأيت كومة أخرى من أجسام مشوهة لأطفال لا يتجاوزن ١٦ سنة وفى إحدى البيوت رأيت جثة أمرأة وطفلة ملقاة على الأرض ».

ويضيف إن : «داوود» قائد الهاجاناة لم يجرأ علي إذاعة الخبر.. نظر إلى بعينيه الزرقاوين وهو يضغط على شفتيه وقال: « لا تذع ولو كلمة واحدة » وعندما كنا نذيع تدخل صوت على موجتنا قائلا: « وماذا حدث فى دير ياسين أيها المجرمون ».

ـ ومناحم بيجين رئيس « أرغون » ورئيس حزب « الكاهال » المتطرف للصهيونية حاليا قال:.. لقد بدأ العرب يهربون من كل ناحية وهم مفزوعون إن ما وقع فى دير ياسين وما روى عن فظاعة ما وقع فى دير ياسين مهد السبيل لانتصاراتنا العسكرية ».

لقد وقعت كل هذه المذابح فى صورة « عمليات عسكرية » والتى وصفها الصهاينة أنفسهم بأنها كانت مجازر بربرية فظيعة تشمئز منها الأنفس، وقعت فى وقت لا تزال السلطات البريطانية تمارس فيه مسؤولياتها بموجب صك الانتداب الممنوح إياها من طرف عصبة الأمم فى سنة ١٩٢٠. ولكن هذه السلطات التى كانت مسؤولة على أمن سكان فلسطين كانت تنفذ تعليمات من أطفأ بريق الذهب الصهيونى كل إشعاع فى ضمائرهم.. ولايهمهم إلا الوفاء بما تعهدوا به للصهاينة.. وسوف نرى بعد قليل كيف نفذت هذه السلطات البريطانية آخر عمليات الغدر بالعرب..

الولايات المتحدة تطالب بإلغاء قرار التقسيم والذى وقفت إلى جانبه !!

كانت التقارير التى ترسل بها «لجنة فلسطين» الخماسية التى عينتها الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة وعهدت إليها بمهمة السهر على قرار التقسيم.. كانت تقارير هذه اللجنة تصور حالة الاضطراب التى أصبحت عليها فلسطين من جراء اتخاذ هذا القرار، ولقد أصبح من الواضح أن انسحاب القوات المسلحة البريطانية سوف يدخل البلاد فى حرب تهدد السلم فى المنطقة، وأصبح مجلس الأمن مجتمعا بصورة تكاد تكون مستمرة لمتابعة تطور الأحداث.. وفى فترة من تلك الفترات التى يستيقظ فيها الضمير الإنسانى كيفما طمسه بريق الذهب الصهيونى، تقدمت الولايات المتحدة (مشكورة) بمشروع قرار فى ١٩ مارس ١٩٤٨ هذا نصه:

« إنه طالما بدا واضحاً أن قرار الجمعية العمومية للتقسيم الصادرة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ لا يمكن تنفيذه فإن المجلس يوصى:

أولا: بفرض وصاية مؤقتة على فلسطين تحت وصاية المجلس.

ثانيا: يطلب المجلس عقد جلسة خاصة للجمعية العامة.

ثالثا: وإلى أن تعقد الجلسة يجب أن تصدر تعليمات إلى لجنة فلسطين لتوقف جهودها لتنفيذ مشروع التقسيم.

رابعا: دعوة العرب واليهود إلى إجراء هدنة فى فلسطين.

خامسا: مناشدة بريطانيا البقاء كدولة منتدبة تحت إشراف الأمم المتحدة إلى حين التوصل إلى حل نهائى لقضية فلسطين » (١).

وقد وافق مجلس الأمن بالإجماع على هذا المشروع، الذى أصبح قرارا رسميا اتخذه المجلس وأبلغه للأمين العام لهيئة الأمم المتحدة لتنفيذه، ولكن الصهيونية.. تلك القوة الرهيبة كان فى يدها الذهب.. وتحركت تشكيلاتها المختلفة على المستوى العالمى لتعطل هذا القرار الذى اتخذه مجلس الأمن وتلغيه..

---

(١) من الغريب أن نص هذا القرار لا وجود له فى نشرات هيئة الأمم المتحدة رغم ثبوته؟!..

نفوذ الوكالة اليهودية أقوى من نفوذ مجلس الأمن ..

وفى ٢٤ مارس أى خمسة أيام بعد أن اتخذ مجلس الأمن هذا القرار الذى يلغى قرار التقسيم، على الأقل مؤقتا ـ تقدمت الوكالة اليهودية بقرارها هى.. وقرار هذه « الوكالة اليهودية » كان له فاعلية أكثر من القرار الذى اتخذه الأمن بطم طميمه.. وهو أعلى هيئة دولية في العالم.. وهذا نص قرار « الوكالة اليهودية»:

« إن الوكالة اليهودية تعلن عن رفضها أى اقتراح من شأنه تأجيل أو منع إقامة الدولة اليهودية. ولذلك فإنها تعترض على نظام الوصاية وتطلب أن يعترف بها كحكومة لإسرائيل بحيث ينتهى الانتداب في موعده المحدد ١٥ مايو (والموعد المحدد لم يكن ١٥ مايو.. بل كان أول أغسطس ١٩٤٨) وتتعاون المنظمة الدولية معها على هذا الأساس ».

لابد من وقفة تأمل فى نص هذا القرار الصهيونى ولهجته التى تشبه لهجات الإنذار وفرض الرأى.. ثم إن هذا القرار الذى اتخذته الوكالة اليهودية لا يقتصر على رفض القرار الذى اتخذه مجلس الأمن بإلغاء قرار التقسيم فحسب، بل إنه يفرض أن يتنهى الانتداب فى ١٥ مايو، فى الوقت الذى أعلنت فيه بريطانيا فى مذكرتها لهيئة الأمم المتحدة» إنها تنوى الجلاء عن فلسطين قبل أغسطس، كما هو منوه فى قرار التقسيم نفسه.

وقال هربرت صمويل: إن السياسة المقترحة تقوم على تسهيل هجرة اليهود وإسكانهم فى فلسطين على النحو الذى تسمح به حالة البلاد ومنح السلطات اليهودية حق تنفيذ المشروعات الكبرى، واتخاذ التدابير لإنشاء إدارة محلية مستقلة استقلالا ذاتيا تمكن البلاد من أن تصبح فى أقرب وقت دولة مستقلة تحت إشراف أكثرية عددية من اليهود.

إذاً فالإصرار على انشاء دولة يهودية فى فلسطين أمر مفروغ ومتفق عليه بين السياسة الاستعمارية وغلاة الصهاينة من اليهود قبل صدور هذا الوعد، بل هو تحقيق لأهداف الصهيونية منذ مؤتمر بال عام ١٨٩٧ وكل ما كان من مفاوضات ومؤتمرات ولجان تحقيق، إنما هو من قبيل السياسة البريطانية الاستعمارية ذات الوجهين، أو الوجوه الكثيرة، بل هى سياسة مرسومة لإفساح المجال لليهود للعمل على زيادة عددهم وتمكين منشأتهم فى فلسطين.

الفصل الثامن

- النزوح العربى والإرهاب الصهيونى
- مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وكيف بدأت

الإرهاب الصهيونى
النزوح العربى ومأساة اللاجئين(١)

كان تصريح بلفور الذى مر بنا ذكره مع نتائجه مفتاح هذه المأساة التى تعتبر أكبر مأساة إنسانية فى القرن العشرين. فقد استغل اليهود هذا التصريح وساندتهم السلطة المنتدبة فأنشأوا الوكالة اليهودية فى الأراضى المقدسة، ووجهت هذه الوكالة جهودها إلى تحقيق أمرين اثنين: أولهما الاستيلاء على الأرض بأى ثمن، ثانيهما تكثيف الهجرة اليهودية من أرجاء العالم فى هذه المنطقة المأهولة بأهلها من آلاف السنين.

وكان أول حدث لهذه المأساة امتلاك اليهود مرج ابن عامر، الذى يملكه شخص من عائلة سرسق اللبنانية وتقدر مساحة هذا المرج بأكثر من مائتى ألف دونم فيه اثنتان وعشرون قرية، تزرعها تسعمائة أسرة عربية فلما تمت صفقة البيع، أجبرت هذه الأسر على هجر قراها فكان هذا النزوح أول منحدر إلى اللجوء فانتشر هؤلاء الفلاحون الذين لايحسنون غير الزراعة فى المدن والقرى، وعلى المرء أن يتصور حالة ابن القرية الذى فقد أرضه وجاء إلى المدينة ماذا يصنع؟

وبخروج هؤلاء المنكوبين أقيمت حالاً فى المرج المستعمرات الصهيونية.

كذلك أعطت حكومة الانتداب امتياز استخراج أملاح البحر الميت ومعادنه لليهود ومنحتهم أرضاً واسعة كما أجرت للشركة أربعة وستين ألف دونم ووضعت ضرائب على الفلاحين فاضطر بعض الملاكين لبيع قسم من أراضيهم من أجل العيش وسداد الديوان ومع

---

(١) انظر فى هذا الفصل فظائع الصهيونيين فيما يأتى:
(1) Arther Koeater Promise and Fallfilment; Paleatin 1917 - 1949 New York 1951.
(2) Davis, John, H. the Evasive Peace, A study of Zionist - Arab Problem London 1968.

ذلك فلم يستطع اليهود استملاك أراضٍ واسعة عن طريق الشراء. ونشطت الوكالة اليهودية ببناء المستعمرات وتكاثرت الجاليات اليهودية المستوردة من الخارج، فأنشأت منظمات وكونت جمعيات سرية، وكثر التصادم بين العرب واليهود، وارتفع نزوح العرب الإجبارى وبلغ ذروته فى عام ١٩٤٨ عندما أعلنت بريطانيا أنها تتهيأ لإخلاء البلاد، وأنها سوف تنهى الانتداب فى ١٥ آيار (مايو ١٩٤٨) فتهيأ جيش الهاجاناه لتنفيذ مخططه المرسوم الذى دل عليه تنفيذه. وتعمل تحت إمرة هذه الجيش عصابات أشدها شراسة وقسوة عصابة «الأرغون زفاى ليؤمى» وقد ثبت أن الهجمات الصهيونية التى حدثت بين عامى ١٩٤٥، ١٩٤٧ كانت وفقاً لاتفاق سرى بين الهاجاناه والأرغون.

وعودة إلى مأساة دير ياسين، ففى ٩ أبريل ١٩٤٨ زحف جيش الهاجاناه على قرية دير ياسين واستولى عليها وسلمها إلى عصابة الأرغون بقيادة مناحيم بيغن فدمرها وقام فيها بمجزرة بشرية مروعة كان لها تأثير نفسى عميق ومخرب. يقول السيد جاك رينيه مندوب الصليب الأحمر: لقد زرت خرائب قرية دير ياسين فاكتشفت ٢٥٠ جثة من الرجال والنساء والأطفال مكدسة فى بئر، وكانت هذه المذبحة بمثابة إنذار وإدخال الرعب على قلوب الجماعات العربية لأجل أن يتركوا القرى والمدن، وقد استغلها اليهود وتبجح بها بيغن لما أحدثته من التأثير النفسى الهائل على نفوس العرب، فهجروا قراهم واستمر اليهود باتخاذ هذه الطريقة ونفذوها فى قبيه وقلقيليه وخان يونس وغزة. وقبل أن تبدأ الجيوش البريطانية بالجلاء زحفت العصابات العاملة تحت أوامر الهاجاناه على القرى، واستعملت وسائل إجرامية مرعبة منها تلك القنبلة التى صنع الصهيونيون لمدفع الهاون دافيدكانت تحمل ١٦ رطلاً من المواد المتفجرة فكانوا يلقونها دون هدف فتحدث تدميراً نفسياً ومادياً. ومنها أيضاً قنبلة على هيئة براميل مملوءة بخليط من المتفجرات والبترول تركب على عجلتين من المطاط يحتويان جهاز التفجير، ويجرى دحرجة هذه البراميل من الأعالى فى الطرقات المنحدرة إلى أحياء المدن والقرى فتصطدم بالجدران والأبواب فيحدث عنها انفجارات مرعبة ولهيب محرق يأتى على كل شىء يلتقى به.

وكانت تصاحب هذه الانفجارات أصوات الرعب المسجلة بصورة خاصة ترتفع من مكبرات صوت تحملها سيارات جيب، وهذه الأصوات مكونة من عويل وأنين المكروبات للنساء العربيات ورنين أجراس سيارات الإطفاء ويصحب تلك الأصوات صوت من أعماق القبور ينادى: «ياجميع المؤمنين انقذوا أرواحكم اهربوا وانجوا بحياتكم، اليهود يستعملون

الغاز والأسلحة الذرية اسرعوا فى الفرار ناجين بأنفسكم على اسم الله» هذه الأصوات تدعى (أبواق أريحا).

وأبواق أريحا هذه هى الأبواق التى أرشد إليها «يهوه» إله اليهود القبلى، الذى أرشد يشوع بن نون ليستعملها عند غزوه لمدينة أريحا حيث أمره قائلاً ليشوع:

«أدخل أريحا وأنا أمامك، واقتل بحد السيف كل ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى الحمير والغنم والبقر وقبل أن تدخلها يحمل سبع من الكهنة «الأبواق» ويدرون بالمدينة سبع مرات ينفخون بالأبواق السبعة فإذا سمع صوت قرن الهتاف هتف الشعب فتسقط المدينة(١)».

فى ٢١ نيسان (أبريل ١٩٤٨) شرع القائد البريطانى فى سحب قواته وأخبر القيادة المشتركة من الهاجاناه والأرغون عن عزمه على الانسحاب، وكانت هذه العصابات تتحفز للانقضاض على العرب، ولم يخبر زعماء العرب بما عزم عليه، وقد بدأ الهجوم الصهيونى على الأحياء العربية مستخدمين الإذاعة ومكبرات الصوت التى تحذر السكان العرب بالابتعاد عن ثكنات المرتزقة (وهم المتطوعون العرب) وأنذرتهم بترحيل نسائهم وأولادهم قبل وصول فرق جديدة من العراقيين، وتعهدت بتسهيل المرور فى أمان والمرافقة إلى المناطق العربية وحذرت من العواقب المؤلمة.

وعند غروب الشمس أخذت قنابل الهاون (دافيدكا) تتساقط على الأحياء العربية من مرتفعات الكرمل، وتدحرجت «براميل» المتفجرات فى الطرق والممرات واختلطت الانفجارات بأزيز رصاص البنادق والرشاشات وأصوات أبواق أريحا، والعرب يرون بأعينهم انسحاب العسكر البريطانى.

وعندما أرخت الظلمة سدولها ملأ الرعب قلوب العائلات العربية فاندفعوا بالهروب من هذا الجحيم، دون أن يلتفتوا إلى أى شىء له ثمن، طالبين النجاة من مذابح اليهود وتعذيبهم ويقول مناحيم بيغن متبجحاً إن العرب خرجوا وهم يصرخون: «دير ياسين» «دير ياسين».

وقد وصفت صحيفة (الجيروساليم بوست) الحالة فى اليوم التالى بقولها: «إن الهجوم الصهيونى كان يرغم العرب على الفرار فى طريق واحد مفتوح إلى البحر، وكانت الممرات

(١) (يشوع - ٦) وهى أحد أكاذيب اليهود.

الضيقة مزدحمة بالشيوخ والأطفال والنساء الذين مات كثير منهم اختناقاً تحت الأقدام أو غرقاً عند نزولهم فى الزوارق المحملة فوق طاقاتها، وكثير منهم مات بالرصاص الذى كان يتساقط على رءوسهم بتوجيه صهيونى».

وفى ١٥ أبريل ١٩٤٨ هاجم الصهيونيون يافا بوحدات الأرغون، وهى العصابات التى تولت مذبحة دير ياسين قبل أسبوعين من هذا التاريخ.

ويافا المفروض فيها أنها من المدن التى تقع ضمن الدولة العربية فى مشروع التقسيم، فبدأ قصفها بمدافع الهاون، وهى مدافع يزعم الصهيونيون أنهم استولوا عليها من معسكر بريطانى بعد شن غارة عليه، واندفع اليهود إلى المدينة ينهبون كل شىء تقع أيديهم عليه ويحطمون كل شىء مما يتعذر حمله، واستخدمت عصابة الأرغون خطة أبواق أريحا وقنابل «البراميل» واستعراض الأسرى العرب أمام اليهود كما فعلوا بعد حادث دير ياسين، وانضم بعد ذلك إلى الأرغون قوات الهاجاناه والبالماخ واندفعوا للنهب والسلب والتخريب الوحشى، وقد صمدت الحامية العربية فى يافا مدة ثلاثة أسابيع، وسلمت المدينة فى ١٢ آيار (مايو ١٩٤٨) أى مع وجود السلطة البريطانية المنتدبة المسئولة، كما هو مفروض عن تكوين دولة فلسطينية قادرة على إدارة نفسها !!.

واتجه اليهود إلى عكا التى كان من المفروض أن تقع ضمن الدولة العربية فى مشروع التقسيم وقد ازدحم فيها السكان بإضافة للاجئى حيفا وبدأ القصف بمدافع الهاون على المدنيين المكدسين فيها وطلب القائد استلام المدينة.

وفى ١٧ مايو ١٩٤٨ احتل الصهيونيون مدينة عكا وبدأ إفراغها من السكان العرب فلم يبق من عدد ٨٠,٠٠٠ نسمة إلا ٢٠٠٠ نسمة وانفرد الصهيونيون فى إفراغ القرى والمدن ففى الجليل الشرقى استولوا على طبريا وأخلوها من السكان بخطة بوق أريحا ومدافع الهاون وبراميل المتفجرات، وعندما سحبت القوات البريطانية وحداتها فى ٢٨ أبريل ١٩٤٨ من صفد، انطلقت عصابات البالماخ من طبريا فاستولت على كل القرى العربية الواقعة فى طريقها منفذة سياسة الأرض المحروقة؛ أى إنها تخربها كى لايعود أهلها المهجرين إليها مرة ثانية، أو كما وضعت الصهيونية اسم الشفرة لها «المكنسة» Matater ثم هوجمت صفد بمدافع الهاون والبراميل المتفجرة مصحوبة بخطة بوق أريحا.

وفى ١١ يوليو ١٩٤٨ قاد موشي ديان كتيبة من الكوماندوس بسيارات الجيب إلى مدينة اللد والرملة، وأخذ أفراد هذه الكتيبة مع قائدهم يطلقون نيران بنادقهم ومدافع الرشاشات فى الشوارع وعلى الأحياء دون تمييز فتكدست فى الطرقات جثث الرجال والنساء والأطفال دون رحمة، وفى اليوم التالى قاموا بجمع كل الرجال العرب القادرين على حمل السلاح وحبسوهم فى حظائر خاصة وأخذت السيارات تطوف الشوارع وتعلن مكبرات الصوت أنه لن يتم تزويد الطعام ولا الماء، وأمام العرب ٤٨ ساعة للخروج إلى شرق الأردن وشرعت عساكر اليهود فى نهب المدينتين وسلبهما.

وفى ١٣ يوليو ١٩٤٨ أوضحت المكبرات أن طريق اللد يكون فوق جسر هنداس وطريق أهل الرملة فوق جسر كوباح، وكان سكان المدينتين ٦٥,٠٠٠ أضيفوا إلى اللاجئين.

وفى طرق الكيد يقول إيجال آلون قائد البالماخ لقد رأينا أن نطهر الجليل حيث لم يبق لدينا غير خمسة أيام عن ١٥ آيار (مايو ١٩٤٨) لنوجد أرضاً يهودية فيها، ويتبين لى أن هذه الحرب الطويلة قد أضعفت قواتنا وأمامنا واجبات كبيرة لوقف الهجوم العربى المنتظر فعلينا أن نتخذ وسيلة أخرى للخلاص من الجاليات العربية الموجودة فى الجليل فجمعت مختارى اليهود الذين لهم اتصال شخصي بمختلف القرى العربية، وطلبت منهم أن يهمسوا فى آذان العرب أن القوات الإسرائيلية الكبيرة قادمة، وأنها قررت أن تحرق القرى جميعها فى الحولة وأوصيتهم بأن يتظاهروا للعرب أنهم أصدقاؤهم وأن لهم متسعاً من الوقت للهروب، وقد وصلت هذه الحيلة إلى هدفها تماماً ووقع بأيدينا مركز الشرطة فى حلسا دون أن تطلق رصاصة، وهكذا أجلينا العرب من هذه المنطقة الواسعة.

ومن وسائل الكيد التى استعملها اليهود فى الأراضى العربية أنهم بثوا أفراد عصابة تابعة للهاجاناه تلبس الملابس العربية، وتنطق اللغة بلهجة أهل البلاد، مهمتها بث الإشاعات والذعر والتقاط المعلومات التى يمكن استغلالها للإرهاب والتهجير. وبعد كل هذا يزعم اليهود أن العرب تركوا البلاد مختارين يقول الجنرال جلوب باشا لو أن المهجرين كانوا مختارين فى ترك البلاد لما خرجوا بملابسهم فقط لقد خرجوا فى حالة من الذعر والفوضى المملوءة بالرعب بحيث لم يستطع الزوج أن يجد زوجته ولا الآباء أبناءهم ويشبه وصفه وصف يوم الحشر الذى وصفه القرآن الكريم «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه».

وتقول صحيفة الإيكونوميست اللندنية فى ٢١ أغسطس ١٩٤٨ لقد جرى تجريد النازحين العرب بصورة منتظمة من كافة أمتعتهم وممتلكاتهم.

وحين بدأت الأرتال الطويلة فى مسيرتها، أخذت القوات الإسرائيلية تطلق النار عليهم أو كما يقول الميجور أو بالانس «لقد فتحت نيران المدافع فوق رءوسهم لمساعدتهم فالحرارة بلغت مائة درجة فى الظل» ولم يملك العرب الطعام والماء طيلة ثلاثة أيام والذين بقى معهم شيء أخذ منهم عند عبور الجسر، ثم حلقت الطائرات الإسرائيلية الصغيرة لتنشر أزيزها فوق الصفوف الطويلة من النازحين المطرودين وهم يجتازون التلال مجهدين، ومات أطفال لايحصى عددهم بسبب العطش وحده لكى يصل معظم النازحين فى نهاية المسيرة إلى التلال اليهودية وإلى وادى الأردن أو مرتفعات شرق الأردن، أما فى الفالوجا بعد استسلام القوات المصرية سئل السكان العرب عما يريدون البقاء أم الرحيل فقالوا نريد البقاء عند ذلك نسف اليهود العديد من المنازل بالديناميت، وجرى إنذارهم بأن القوات الآتية سوف تعاملهم أكثر خشونة فغير العرب رأيهم وتم ترحيلهم إلى شرق الأردن. وفى جناح السرعة أقيمت المستوطنات اليهودية وامتلكت البيوت والمزارع العربية.

لقد أنكر الكونت برنادوت هذه الفضائح اللاإنسانية قبل اغتياله بيد الصهيونيين، وصرح أن لهذا الشعب البرىء الذى أخرج من دياره فى ظلال هذا الرعب وقسوة الحرب حق العودة إلى دياره، وأن يؤكد على ذلك وينفذه، وقد اتخذت جمعية الأمم المتحدة قرار ١٩٤ بتخيير اللاجئين فى العودة إلى ديارهم أو التعويض عما فقدوه. وأرسل شرتوك وزير خارجية إسرائيل جواباً إلى برنادوت أنكر فيه حق العرب فى الرجوع، محتجاً بصعوبة عودتهم إلى الوضع الطبيعى الذى يشكل صعوبة لإسرائيل. ولكنه لم يتذكر أنهم يعودون إلى وطنهم وإلى بيوتهم وأملاكهم، وأنه هو يجلب من آفاق العالم اليهود يأويهم فى هذه البيوت، ويبنى لهم المستعمرات فى حقول العرب.

لقد كان العرب المهجرين إجبارياً من بيوتهم وأعمالهم ووظائفهم يملكون ويسكنون حتى نهاية ١٩٤٨ (٨٠٪) من مجموع المساحة الأرضية التى يحتلها الصهيونيين فما هى حجة شرتوك؟ إنها حجة المغتصب.

وبناء على التقرير الذى قدمته لجنة المسح الاقتصادية لهيئة الأمم المتحدة فى الشرق الأوسط أن عدد الفلسطينيين الذين أجبروا على ترك بلادهم أثناء حرب ١٩٤٨ يقدر بحوالى ٧٢٦,٠٠٠ وماعدا هؤلاء يوجد حوالى ٦٥٢,٠٠٠ يحتاجون إلى معونة.

وبدلاً من أن تقوم هيئة الأمم المتحدة بتنفيذ القرار ١٩٤ ، تركت هؤلاء يعيشون على صدقات الأمم، وعينت «لجنة غوث اللاجئين وتشغيلهم» (UNRWA) ونتيجة لحرب ١٩٦٧ عندما احتلت غزة وسيناء والضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية خرج العدد الكثير من الفلسطينيين يفتشون عن ملجأ لهم فى الأردن وسوريا ومصر، ومن هؤلاء عدد كبير من اللاجئين القدامى. وفى اجتماع طارئ لهيئة الأمم المتحدة قررت عودة اللاجئين إلى ديارهم فى الأراضى المحتلة وقدم ٨٥٪ من هؤلاء طلباً للرجوع ولكن الصهيونيين لم يسمحوا لأكثر من ١٥٠٠٠ فى أول يناير ١٩٦٨ ، وصرح أشكول رئيس وزراء إسرائيل فى الكنيست بأن اتجاه إسرائيل الاحتفاظ بغزة والقسم الشرقى من القدس، دون أن يلتفت إلى قرار هيئة الأمم المتحدة ويظهر من تصريحه أن جشع إسرائيل وأطماعها لاتقف عند حد، وصرح موشى ديان فى مقابلة له مع (C.B.S) الأمريكية عندما وجه إليه سؤال هل يمكن لإسرائيل أن تستوعب الشعب العربى فى الأراضى المحتلة فقال : من الوجهة الاقتصادية نعم! ولكن من الوجهة السياسية لا! لأنه إما أن نكون عند ذلك أقلية أو تكون هناك دولة عربية يهودية ولانريدها نحن. إننا نريد دولة يهودية فقط. ولأجل أن نعرف موجزاً عن وضع اللاجئين نقتطف مايلى من تقرير «لجنة غوث اللاجئين وتشغيلهم» لسنة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ .

جاء فى التقرير : أن عدد اللاجئين مستمر بالنمو مما يدعو إلى مزيد من المساعدة، فإنه يوجد الآن أكثر من ١,٤٠٠,٠٠٠ اسم فى قائمة لجنة الغوث الذين يحتاجون إلى المعونة وهذا العدد لا يشمل الذين خرجوا عام ١٩٦٧ فإن عناية هؤلاء تحولت إلى الدول التى يعيشون فيها، ولم تطلب معونة لجنة الغوث إلا من حكومة الأردن، وفى قائمة ١,٤٠٠,٠٠٠ يوجد ١٥٠,٠٠٠ لم يستلموا أية معونة من لجنة الغوث، وقد وضع حرف «N» أمام أسمائهم أو No service هؤلاء نقلوا فى ملفات غير منفذة انتظاراً لأية معونة ترد من لجنة أخرى، وإذا وجدت لجنة الغوث أحد الأسماء قد توفى صاحبه فإنها تضع واحداً من أولئك مكانه.

وليس كل عدد أسماء القائمة يستلم معونة معدة من اللجنة بل إن ثلثى هذه الأسماء أو أقل أى أكثر من ٨٤٠,٠٠٠ يستلمون شهرياً طعاماً مقنناً من طحين وأطعمة مجففة وزيت للطبخ بحيث تكفى ١٥٠٠ سعرة حرارية (كالورى) فى اليوم، وتدفع للشخص نقداً أربع سنتات فى اليوم باستثناء بعض الأشهر التى أعقبت عدوان ١٩٦٧ ، فقد أصدرنا تقنيناً مستعجلاً، والذين جاءوا بأعقاب حرب ١٩٦٧ لم يزيدوا المستوى السابق وقد زاد مايقرب

من ٣٠٠,٠٠٠ طفل هؤلاء أيضاً يستحقون حصصاً.

وبمجرد نظرة إلى وضع اللاجئين نجد أنهم يعيشون فى كفاف تقدمه صدقات الأمم فى القرن العشرين قابعين فى صحراء، وفى خيام مهلهلة تنظر عيونهم إلى أوطانهم ومزارعهم ومدارسهم، وحولهم الدبابات تقبع فى أراضيهم والطائرات اليهودية تملأ الجو.

فهل يوجد أمل لحل هذه المأساة، الحقيقة الواضحة أن قضية اللاجئين لم تفهم فى الغرب. لقد غلفتها دعايات إسرائيل بغلاف كثيف مضلل.

كيف بدأت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

إن ظاهرة خروج العرب من فلسطين قديمة ترجع إلى سنة ١٩٣٦ ، إلا أنها توقفت أثناء الحرب ثم لما اتخذ قرار التقسيم تجددت ظاهرة الخروج على نطاق أوسع. وبتلك المناسبة أوصت جامعة الدول العربية بحسن استقبال اللاجئين، بينما كانت أوامر الوكالة اليهودية هي البقاء بأى ثمن وكان الأغنياء والطبقة المتوسطة هم أسرع الناس إلى مغادرة البلاد، كذلك أعطى المسئولون مثلاً سيئاً فى كثير من المدن والقرى كما حدث فى حيفا. ويتخذ الكتاب اليهود من ذلك دليلاً على التقليل من مسئوليتهم فيذكرون مثلاً أنه حينما قرر حاكم الناصرة عدم الخروج بقيت معه الغالبية العظمى من السكان، ولايستطيع أحد أن ينكر مسئولية اليهود فى إرهاب العرب خلال شهرى أبريل ومايو واضطرارهم إلى مغادرة البلاد، فقد تعمدوا تدمير القرى لمنع سكانها من العودة، ولسنا بحاجة إلى أن نذكر بحادث دير ياسين الذى أثار الرعب والفزع فى نفوس السكان، فتلاحقت وفود اللاجئين خلال شهرى أبريل ومايو ١٩٤٨.

وفى أثناء الحرب كان السكان العرب يفرون عادة أمام الجيوش الإسرائيلية بمجرد أن تقترب من قراهم أو مدنهم - ويقدر سكان المنطقة العربية التى احتلت بعد ١٥ مايو بنحو ٨٠٠ ألف لم يبق منهم فى إسرائيل سوى ١٦٠ ، وغادر الباقون على دفعات أولاً بعد هزائم يوليو، ثم فى أعقاب اعتداءات أكتوبر، وقد كان من المستحيل قيام إسرائيل لو تشبث العرب بأوطانهم حتى قال بن جوريون أن المشكلة حلت بطريقة أفضل مما كنا نتوقع، وذكر وايزمان «لو دبرنا لهذا الأمر جميع إمكانياتنا ما استطعنا الوصول إلى هذه النتيجة».

وهذه التصريحات إن دلت على شيء فهى تؤكد أنه كان من المستحيل تعايش السكان مع الجنسيتين فى فلسطين، وأن العودة تبقى أمراً نظرياً طالما أن الدولة الدخيلة قائمة.

(١) قضية فلسطين د. صلاح العقاد.

ويلاحظ أن معظم العرب الذين فضلوا البقاء كانوا يشكلون فئات خاصة كالأقليات المذهبية، فقد بقي جميع الدروز وهم يبلغون نحو ١٥ ألف، وذهب بعضهم إلى حد التعاون مع الإسرائيليين، ثانياً البدو الذين ليس لديهم من الوعى مايجعلهم يشعرون شعوراً قوياً بتغير نظام الحكم.

وقد اتخذ العرب من مشكلة اللاجئين فى بداية الأمر وسيلة لإحراج إسرائيل أمام الرأى العام الدولى بمعنى أنه إذ ألحوا فى عودة اللاجئين طبقاً لقرار الأمم المتحدة، فإن إسرائيل سترفض بالتأكيد وتظهر المعالم بأنها معادية للمبادئ الإنسانية ولقرارات المنظمة الدولية.

وعندنا أن قضية اللاجئين ليست إلا فرعاً من أصل وإصرار العرب على مبدأ العودة فى ظل الوجود الإسرائيلى هو نوع من السياسة غير الواقعية؛ إذ إنه من الأرجح أن ترفض الغالبية العظمى العودة حتى لاتتحول إلى أقلية مضطهدة تخضع لحكم أجنبى.

وقد أشار إلى ذلك صراحة مندوب باكستان أثناء مناقشات الجمعية العامة فى الدورة الثالثة، واقترح بدلاً من العودة تبادل السكان.

وربما بنى هذه الفكرة وجود احتمال قوى خلال سنة ١٩٤٩ بإمكان تعديل الحدود لصالح العرب، سواء بالعودة إلى نظام التقسيم أو حتى اقتطاع جزء من القسم اليهودى..

وكان ذلك محور الجدال فى الجلسة الثالثة خلال شهرى نوفمبر وديسمبر ٤٨، ولكن بعد توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة صار من العسير التحدث عن تعديلات إقليمية.

لجنة الوساطة الدولية

اتخذت لجنة الوساطة الدولية من منطقة القدس المحايدة مقراً لها، وأمضت وقتاً فى استطلاع رأى الحكومات.

وبدأت المرحلة الأولى من أعمالها باستطلاع رأى الحكومات العربية، إذ دعت ممثليها إلى الاجتماع فى بيروت من ٢١ مارس إلى ٥ أبريل. وكان من المفروض أن تبحث اللجنة مسألة القدس واللاجئين، ومايترتب على ذلك من إعادة النظر فى تخطيط الحدود. ومنذ البداية لقيت اللجنة رفضاً باتاً من جانب إسرائيل فى بحث تدويل القدس، وإنما أبدت استعداداً فقط

للتباحث حول تأمين وصول الحجاج إلى الأماكن المقدسة ـ والعرب منقسمون إزاء هذه القضية. وهؤلاء الذين قبلوا التدويل يشترطون أن تتعهد الأمم المتحدة مقدماً بتنفيذه يفضلون على كل حال إعطاء أولوية البحث لمسألة اللاجئين.

وعندما انتقلت اللجنة إلى إسرائيل أكد لها بن جوريون أن بلاده لاتقبل فصل موضوع اللاجئين عن قضية فلسطين العامة، أى أنها تربطها بموضوع الصلح له أو الأقل تعديل الحدود لصالح إسرائيل كما سنرى. ورفعت اللجنة تقريريها الأول والثانى إلى الأمين العام عن هذه المحادثات الاستطلاعية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى لوزان؛ حيث دارت أهم مرحلة من المحادثات(١). وفى لوزان حدثت ظاهرة فريدة لم تتكرر بعد ذلك فى نوع العلاقات بين العرب وإسرائيل وهو أن العرب قبلوا التباحث مع إسرائيل حول شئون سياسية.

ولو أن المحادثات لم تتم بصورة مباشرة بل عن طريق لجنة الوساطة مما جعل الرأى العام العالمى يعتقد بإمكان التوصل إلى تسوية، وقيل فى ذاك الحين أن مشكلة اللاجئين هى التى عرقلت الوصول إلى هذه التسوية، وكان ذلك فهماً غير دقيق لطبيعة قضية فلسطين، ويروى Berger : إن الملك عبدالله لم يكن الوحيد من بين الوفود العربية التى أرادت أن تتصل سراً بإسرائيل فى لوزان، بل سعت كل دولة إلى أن تحصل على حدة على مكاسب خاصة تظهر بها تفوقها على الدول العربية الأخرى(٢).

وفى أثناء هذه المحادثات وافق العرب للمرة الأولى على مبدأ التقسيم، وهذا تراجع خطير تم نتيجة عقد اتفاقيات الهدنة التى منحت إسرائيل أقاليم أوسع مما خصص لها، كذلك يعد قبول العرب التباحث مع وفد إسرائيل فى مسائل سياسية ولو عن طريق الوسيط تراجعاً.

وقد برزت قضية اللاجئين باعتبارها المسألة العاجلة التى تحتاج إلى الحل، والتى يهتم لها الرأى العالمى فكانت نظرية العرب هى عودة اللاجئين الفورية إلى المنطقة المخصصة للعرب، وبذا لايتعرضون لأن يعيشوا كأقلية، وردت إسرائيل بأنه لايمكن بحث قضية اللاجئين منفصلة عن الصلح فإنه حسب القرار رقم ١٩٤ لابد وأن يعيش اللاجئون مع جيرانهم فى سلام، ولن يتحقق هذا السلام إلا بتوقيع صلح مع العرب. كذلك اشترطت إسرائيل مقدماً الحصول على بيان دقيق بعدد اللاجئين وبحث موضوع القدس والتعاون الاقتصادى.

(١) انظر ملخص هذه التقارير فى : U, N. Yeer Book 48 - 1949 p. 107 S. 9

(٢) Berger p. 45.

وفي أثناء المحادثات عرضت إسرائيل حلاً آخر وهو ترك قطاع غزة في مقابل التكفل باللاجئين، فهي إذاً لاتقنع بحدود الهدنة الدائمة وإنما تريد توسعاً إقليمياً جديداً مقابل حل جزئي لقضية اللاجئين.

وهي تحقق هدفاً استراتيجياً آخر من وراء المطالبة بغزة، وهو إبعاد الجيش المصرى عن البلاد والتخلص من حكومة عموم فلسطين، على أن الوفود العربية كانت ترى أن حل قضية اللاجئين يعنى العودة على الأقل إلى حدود التقسيم، وللمرة الأولى صاروا يطالبون بتنفيذ قراراً الأمم المتحدة الذى احتجوا عليه أشد الاحتجاج فى سنة ١٩٤٧، ويعد هذا الأمر فى حد ذاته تراجعاً خطيراً من العرب، وفى أثناء المحادثات حاولت الولايات المتحدة أن تستخدم نفوذها لدى إسرائيل بحل قضية اللاجئين حلاً جزئياً، فبعثت بمذكرة بتاريخ ٢٩ مايو تدعو إلى إعادة ٢٥٠ ألف لاجىء والتخلى عن القسم الجنوبى من النقب، وإلا أعادت الولايات المتحدة النظر فى سياستها إزاء إسرائيل. ويفسر أحد الباحثين الصهاينة(١) هذا الموقف الفريد من الولايات المتحدة بأنها كانت تحاول أن تساعد الحكام العرب الموالين للغرب فى ذلك الوقت على البقاء، خشية أن يسقطوا تحت وطأة تيارات وطنية قوية يمكن أن تزداد قوة بتعقد مشكلة فلسطين. ويضيف أن الأمريكيين لابد أن يكونوا قد فكروا فى مصير شان كاى تشك حليفهم فى الصين.

وقد يكون لهذا التفسير وزنه لو أن الولايات المتحدة تابعت هذا الإنذار بالتنفيذ، ولكنها لم تفعل شيئاً من هذا القبيل، وبعد أن توقفت المباحثات عدة أيام خلال شهر يوليو استأنفت من جديد من ١٨ يوليو حتى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٩، ودخلت الوفود فى تفاصيل دقيقة تتعلق بموضوع اللاجئين(٢).

فعرضت إسرائيل إعادة ١٠٠ ألف على أن يكون لها الحرية المطلقة فى اختيار الأماكن التى تنزلهم فيها لأنها لابد وأن تراعى متطلبات الأمن والإمكانيات الاقتصادية. وفى إسرائيل الدولة الناشئة التى تأخذ بنظام الاقتصاد الموجه يصعب امتصاص اللاجئين العرب، ولذا نرى أن إسرائيل لم تكن جادة حتى فى هذا العرض، وإنما أرادت أن تجس نبض العرب، وأن تسترضى الأمريكان بعض الوقت معتمدة على أن العرب سيرفضون بطبيعة الحال هذا

(١) gabbay. p. 242.

(١) قضية فلسطين د. صلاح العقاد.

الحل الهزيل. وقد أجاب العرب بمقترحات مختلفة تماماً فطالبوا بعودة جميع الذين ينتمون إلى القسم العربى وتعويض هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى القسم المخصص لليهود، وللمرة الثانية أراد العرب أن يؤكدوا مبدأ التقسيم بهذا الاقتراح، ولا غرو فقد صار التقسيم فى سنة ١٩٤٩ أهون بكثير من خطوط الهدنة التى فرضت على العرب بالقوة العسكرية. وقد مثل العرب الفلسطينيون فى محادثات لوزان، وكانت الهيئة العربية العليا تحاول بقدر الإمكان أن تتخذ موقفاً مماثلاً للوزير المصرى، غير أن ذلك لم يمنع بعض الفلسطينيين الأثرياء من أن ينظروا إلى القضية من زاوية مصالحهم الخاصة، فقالوا إما أن تشن الحرب أو يعقد صلح ليسهل التعويض عن الأملاك ! ! وطالب آخرون بتكوين إسرائيل أكثر من العرب. فقد خصصت معظم ميزانيتها لإدماج اللاجئين فى البلاد المضيفة. ففى العام الأول كرست لهذا الغرض مائة مليون دولار، مقابل ١٨ لأعمال الإغاثة العاجلة. ثم اعتمدت ٢٠٠ مليون دولار لأعمال التوطين، لا الإعادة لمدة ثلاث سنوات. وشجعت الولايات المتحدة هذا الاتجاه بأن عرضت مزيداً من المساعدات للدول العربية التى تقبل الإدماج(١).

وفى ٨ ديسمبر ١٩٤٩ صدر القرار الخاص بإنشاء الوكالة، ولم يعترض عليه أحد، وإنما امتنعت الدول الشيوعية عن التصويت. ويلاحظ أنها لم تسهم على الإطلاق فى التبرعات الخاصة بالوكالة. والظاهر أنها اعتبرت المشروع من أساسه أداة للنفوذ الغربى. وفى أثناء المناقشات حول هذا الموضوع أخذ إيبان، المندوب الدائم لإسرائيل فى الأمم المتحدة، يلمح أن تحول حكومته نحو التصريح باستحالة العودة. فذكر أن عودة العرب تصادف صعوبات اقتصادية فنية، فاقتصاد إسرائيل الموجه يعتمد على عمل الفنيين. كما أن مستوى المعيشة لايسمح بإضافة عدد كبير من غير العاملين الفنيين.

(١) قضية فلسطين د. صلاح العقاد.

وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين

تأسست الوكالة رسمياً فى مايو سنة ١٩٥٠ أى فى التاريخ نفسه الذى صدر فيه التصريح الثلاثى، وكلا الأمرين يعد ظاهرة من ظواهر تجميد القضية. فوجود وكالة دائمة تدرب على التشغيل، هو تسليم بأن اللاجئين لن يعودوا إلى أعمالهم التى ألفوها فى السابق قبل مغادرة أوطانهم.

وفى أول ميزانية للوكالة خصص عشرون مليون دولار للتشغيل و١٣ مليون دولار للإغاثة، وحسب قرار ديسمبر سنة ١٩٤٨ دعيت الدول الأعضاء إلى التبرع الاختيارى، وكانت الولايات المتحدة منذ إقامة الوكالة هى التى تقدم الجزء الأكبر من هذه التبرعات، تليها بريطانيا. وسمح للأمم المتحدة بعقد قروض لمدة معينة لسد العجز فى ميزانية الوكالة. وتأسست لجنة رقابة على أعمال الوكالة من أربع دول، هى: بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وتركيا، مع إمكان إضافة ثلاث دول أخرى من بين الأعضاء الذين يقدمون التبرعات للوكالة.

وتدل المناقشات التى جرت فى الجمعية العامة أثناء بحث إنشاء الوكالة أن معظم الأعضاء توقعوا أن هذا الحل مؤقت، فأعلن مندوبا هولندا والدانيمارك مثلاً أن العالم عطف على قضية اليهود لأنهم شردوا بواسطة النازيين، فلايعقل أن تتسبب إسرائيل فى تشريد شعب آخر. ومن ثم يجب السماح بعودة كل من يرغب فى ذلك، على أن تكون هذه العودة بصورة فردية لاجماعية. واقترحت بريطانيا وبعض الدول الأخرى إدماج اللاجئين الذين لايرغبون فى العودة، وطلبت إلى إسرائيل أن توطن أيضاً العدد الذى يسمح اقتصادها بامتصاصه. وقالت يجب أن توجه أعمال الوكالة لهذا الغرض، وهو إدماج اللاجئين فى اقتصاديات الدول المختلفة فى الشرق الأوسط، واعترض مندوب باكستان(١) بأن هذا الاقتراح يعتبر نقضاً للقرار ١٩٤ الصادر سنة ١٩٤٨.

(١) U. N. General Assembly 5th session Supplement. 8.

وجهت الوكالة نظام التشغيل إلى الأعمال التى تتطلب استخدام المواد الخام، حتى يتم تشغيل أكبر عدد بأقل تكلفة، من ذلك مثلاً شق الطرق أو التوسع فى الرى وهكذا تستطيع الوكالة أن تخصص الجزء الأكبر من ميزانيتها للأجور. وكما قال المندوب الفرنسى فى الجمعية العامة إن هذا النظام يستهدف رفع حالة اللاجئين المعنوية. وفى الدورة السادسة ٥١ / ١٩٥٢، ووجهت الجمعية العامة بتقريرين: الأول من لجنة التوفيق، وهو يشير إلى ازدياد حالة الكراهية بين العرب وإسرائيل، وخاصة فى بيئات اللاجئين، وإذا تأملنا تقرير اللجنة نلاحظ أنه كان متأثراً بوجهة النظر الإسرائيلية. فهى تعلل سحب إسرائيل عرضها السابق بعودة ١٠٠ ألف لاجىء بازدياد حالة الكره ضدها، وبمجئ مزيد من المهاجرين اليهود من البلاد العربية وخاصة اليمن والعراق. وهذا التعليل ينطوى على أمرين: أولاً الظن بأن إسرائيل كانت مستعدة فى وقت ما لإعادة ١٠٠ ألف لاجىء، وهذا غير صحيح. والأمر الثانى هو أن ذكر خروج اليهود من البلاد العربية يعد بمثابة تبرير لما تدعيه إسرائيل من أن رفض عودة اللاجئين، يقابله اضطهاد اليهود فى البلاد العربية واضطرارهم إلى الهجرة.

والتقرير الثانى قدمته الوكالة، وهو يسلم بصعوبة تنفيذ العودة ويتحدث عن إمكان توطين اللاجئين فى مناطق أخرى. واحتجت الدول العربية على هذا التقرير بأنه يتنافى مع العدل ومع القرارات السابقة. وحاولت الجمعية أن تتوصل إلى توصيات على أساس الحل الوسط. فأيدت طلب الوكالة برفع ميزانيتها إلى ٥٠ مليون دولار لأعمال الإغاثة فى العام التالى، وتخصيص ٢٠٠ مليون دولار أخرى لإعادة التوطين على مدى ثلاث سنوات، على ألا يتعارض ذلك مع قرارات الجمعية العامة السابقة.

ودعت التوصية حكومات المنطقة إلى التعاون لحل هذه القضية، ولكنها لم تحدد تاريخاً معيناً لإنهاء أعمال الوكالة، مما يدل على أن المختصين توقعوا استمرار مشكلة اللاجئين دون حل. ورغم ذلك فقد رحبت الصحف العربية بالتوصية لأنها أكدت القرارات السابقة الخاصة بعودة اللاجئين، وربما وافقت الدول العربية على التوصيات الجديدة؛ لأنها ظنت أن الأمم المتحدة تحصر مناقشاتها منذ مدة فى أعمال وكالة الغوث، وهاهى تفتح الباب فى هذه الدورة لطرح قضية فلسطين برمتها التى كادت أن تجمد فى المنظمة الدولية(١).

(١) U. N. official Records adhoc political Commitee. 10/1/52 p. 197.

تعرضت لجنة التوفيق بعد تقديم هذا التقرير لهجوم إسرائيل والاتحاد السوفييتى. أما إسرائيل فطالبت بتصفية اللجنة لأنها فشلت فى حل جميع المشكلات وطالبت بتشكيل لجنة أخرى باسم لجنة المساعى الحميدة تتخذ مقرها فى الأمم المتحدة وتعمل من أجل تسوية عامة. أما قضية اللاجئين فيمكن تسويتها على أساس تبادل السكان، وأضاف المندوب الإسرائيلى مغالطاً بالأرقام أن نحو ٣٠٠ ألف يهودى قد اضطروا إلى مغادرة البلاد العربية، وفى مقابل ذلك أخرج نحو ٥٠٠ ألف عربى من فلسطين.

واتهم الاتحاد السوفييتى لجنة التوفيق بأنها تخدم أغراض الولايات المتحدة، وطالب هو الآخر بحلها قائلاً إنه يجب أن تترك المشكلة لتحلها حكومات الشرق الأوسط فيما بينها(١).

صوتت الجمعية العامة رغم هذه الاعتراضات على مشروع الدول الغربية بأغلبية ساحقة. ومن المدهش أن معظم الدول العربية أيدت المقترحات الخاصة بالتعاون مع الوكالة وإنهاء مشكلة اللاجئين فى أقرب فرصة، مما يدل على أن الدول العربية أرادت أن تفسر القرار على أنه استمرار لقرار ديسمبر سنة ١٩٤٨.

وحقيقة الأمر أن القرار الجديد يحتوى على فقرات أخرى تشير إلى بحث موضوع التوطين. وعلى كل فإن توصية سنة ١٩٥٢ لم تبدل شيئاً من سياسة الحكومات العربية نحو موضوع اللاجئين، وقد اتخذت كل منها موقفاً خاصاً فيما يتعلق بمعاملة اللاجئين ومدى إدماجهم فى الدول المضيفة وتفضيل ذلك:

فى الأردن اكتسب اللاجئون صفة المواطنة بعد قرار ضم الضفة الغربية، لذلك قالت الدوائر الغربية إن الأردن أكثر تعاوناً مع وكالة غوث اللاجئين. أما الدول العربية الأخرى فقد امتنعت عن فتح باب المواطنة أمام اللاجئين بسبب أو بآخر، فلبنان يخشى أن يؤدى ذلك إلى الإخلال بالتوازن الطائفى؛ إذ إن أغلبية اللاجئين من المسلمين السنيين. أما مصر فترفض إدماج اللاجئين لأسباب اقتصادية وسياسية، وأبرزها المحافظة على الكيان الفلسطينى. ومن حيث الوضع القانونى أيد قانون الجنسية الصادر فى الأردن سنة ٥٤ حق كل شخص كان فلسطينياً

(١) U. N. official Rocrds adhoc political Committee. 10/1/52 p. 197.

حتى ١٥ مايو سنة ١٩٤٧ ويقيم بصفة دائمة فى الأردن، فى أن يصبح مواطناً أردنياً. وهذا الإدماج اقتصادى لضعف الإمكانيات.

ففى الضفة الغربية يعيش نحن ٩٧٢ ألف أى ٧١٪ من سكان المملكة، ومن بين هؤلاء ٤٧٠ ألفاً مسجلون كلاجئين، ويعيشون بجانب ٧٣٤ ألفاً فى الضفة الغربية أى فى مساحة لاتتجاوز ٢١٦٥ ميلاً مربعاً معظمها قحل.

وفى لبنان يعامل اللاجئون مثل الأجانب، بل يخضعون لإجراءات أشد فلايجوز لهم تملك العقارات. أما ممارسة الأعمال التجارية فلايجوز إلا بإذن من رئيس الجمهورية. وتفرض على اللاجئين قيود شديدة فى التنقل، ويعاقب المخالفون بمنع الإعانة، كما أن الحصول على بطاقات الإقامة يتم بعد فحص دقيق من الجهات الإدارية. ويمنح اللاجئون تسهيلات للمغادرة، ذلك أن لبنان يعتقد بأن سوريا تستطيع امتصاص عدد أكبر من اللاجئين.

وبالفعل يعامل اللاجئون فى سوريا معاملة أفضل من حيث سهولة الحصول على الجنسية، ولكن ينص القانون على أن الحصول على الجنسية بصورة جماعية يتطلب إصدار تشريع خاص. ويتمتع اللاجئون بحرية ممارسة التجارية والمهن الحرة. وإذاً فإن سوريا مثل مصر ترفض إدماج اللاجئين لأغراض سياسية، هى المحافظة على الكيان الفلسطينى.

وفى مصر سمح لعدد محدود بالإقامة والعمل والتجارة والتوظف، دون الحصول على الجنسية المصرية. ويعيش معظم اللاجئين فى قطاع غزة الخاضع للإدارة العسكرية.

وقبل قيام إسرائيل كان القطاع يضم نحن ٨٥ ألفاً، وصلوا إلى ٢٥٠ ألف بعد احتشاد اللاجئين فيه، ولاتزيد مساحته عن خمسين ميلاً مربعاً. وكان المجال الطبيعى لاقتصاد غزة هو بير سبع والقدس، وقد انقطعت سبل الاتصال بهما، فكان لابد من إيجاد تعويض، وهو إقامة سوق حرة. ولايستطيع اللاجئون مغادرة القطاع بحرية تامة إلا أن القيود ليست مشددة.

يتصل موضوع التعويضات بمشكلة اللاجئين اتصالاً وثيقاً، وكانت إسرائيل تبدى الاستعداد فى بداية قيامها لدفع التعويضات لتكسب التأييد الدولى. واتخذ قرار فى الجمعية العامة بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٥٠ بتكوين لجنة لتسوية هذا الموضوع، وتأسس مكتب اللاجئين فى القدس لتقدير الممتلكات، واستقر هذا المكتب بالقدس. وكانت حجة إسرائيل التى

راوغت بها المكتب هى عدم توفر سجلات منظمة، وبالتالى يصعب تقييم الأملاك، إلا أن الإجراءات التى كانت تتخذ منذ قيام إسرائيل تدل جميعاً على نية الاستيلاء على الأملاك قبل النظر فى التعويض. ففى ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٨ صدر(١) قانون يعلن أن كل أرض متروكة توضع تحت إشراف الدولة، وتمنح الحكومة الأرض للمزارعين الجدد. وقد راعت الحكومة الإسرائيلية أن توطن المهاجرين اليهود فى مختلف الأراضى المتروكة لخدمة أغراض استراتيجية، معطية ذلك الأمر الأولوية على متطلبات الاستغلال الاقتصادى. كما جمدت إسرائيل الأموال العربية المودعة فى بنوك فلسطين، وقدرتها بـ٤ ملايين جنيه، بينما يقدرها العرب بـ٥ ملايين. ويلاحظ أن العرب لم يفكروا فى تخريب ممتلكاتهم قبل مغادرتهم على الأقل؛ لأنهم كانوا يأملون فى العودة بعد انتصار الجيوش العربية. ولهذه النقطة أهميتها، إذ أن إسرائيل عند تقييم المتلكات أرادت أن تراعى الوضع الذى كانت عليه عند مغادرة أصحابها لها، وعلى ذلك فإن الاستيلاء عليها سالمة وإمكان استغلالها بسهولة بعد ذلك، لابد وأن يؤخذ فى الاعتبار إذا أضيفت إليها قيمة جديدة إذ أن الملاك العرب هم الذين وضعوا الأساس فى إقامة معظم البيارات الموجودة الآن فى إسرائيل.

وفى أوائل سنة ١٩٤٩ أعلن موشى شاريت أن حكومته مستعدة لدفع التعويضات شريطة أن تستخدم لتوطين اللاجئين فى أماكن جديدة، ثم أبدت إسرائيل شيئاً من التساهل المؤقت أثناء النظر فى قبول عضويتها فى الأمم المتحدة.

إلا أن الفكرة المسيطرة على الكنيست عند المناقشات التى توالت حول هذا الموضوع، هى ربط قضية التعويضات بمسألة توطين اللاجئين، بل إن الأحزاب المتطرفة مثل حيروت طالبت بحساب تعويضات أخرى، ادعت أنها تستحق على البلاد العربية التى تدخلت عسكرياً فى فلسطين، وسموها تعويضات حرب.

وبالتالى يسقط حق العرب الفلسطينيين فى التعويضات. كما يسقط حقهم فى العودة حسب آراء هؤلاء المتطرفين. وعلى كل حال فإن إسرائيل منذ البداية أعلنت أنه فى حالة دفع التعويضات لابد من مشاركة الأمم المتحدة والدول الكبرى وتحمل العبء الأكبر منها. ورفضت بشدة فكرة تعيين وصى على ممتلكات اللاجئين، ومازال هذا الموضوع يتعثر فى الأمم المتحدة ولايحظى بتأييد أغلبية الثلثين فى الجمعية العامة.

(١) انظر .Gabbay chap

مهما قيل من إمكان إعادة توطين اللاجئين، فإن بقاء المشكلة لايمكن أن تكون لجنة مهمتها رعاية أموال اللاجئين العرب داخل إسرائيل. وبمضى الوقت أخذت إسرائيل تضع العراقيل والقيود أمام مبدأ العودة فهى تارة تحتج بصعوبة الامتصاص الاقتصادى، سيما وأنه يتوافد على إسرائيل مزيد من المهاجرين، وقد دعى ٦٠٠ ألف يهودى إلى استيطان إسرائيل بعد التوسعات التى تمت فى يوليو سنة ١٩٤٨، ثم احتجت إسرائيل بأن أمنها يتعرض للخطر من جراء العودة ما لم يعقد صلح مع العرب.

ثم أثير موضوع الهجرة اليهودية من البلاد العربية وقدرت إسرائيل عدد اليهود الراغبين فى مغادرة البلاد العربية واستيطانها بـ٤٢٠ ألف. وكثيراً ماتشبه إسرائيل نزوح يهود البلاد العربية وخروج العرب من فلسطين بعمليات تبادل السكان وهذه مغالطة كبرى. ومن داخل إسرائيل ارتفعت أصوات المعارضة لمجرد فتح باب العودة، وتتزعم هذه المعارضة حزب حيروت.

كيف كان موقف لجنة الوساطة من هذه الآراء المتعارضة؟

الواقع أن اللجنة لم تستطع أن تتخذ إجراء فعالاً، حتى أنها لم تقدم صيغة اقتراح بحل، بل اكتفت بتحديد بعض النقاط الرئيسية، وطلبت إلى الطرفين أن يبديا رأيهما فيها من هذه النقاط مصير المرحَلين، فهل يصبحون مواطنين إسرائيليين؟ وهل تدعو الدول العربية إلى العودة على هذا الأساس، أم على أساس احتفاظ العرب بصفتهم القومية، ومامدى استعداد إسرائيل لكفالة الحرية وعدم الاضطهاد لهؤلاء العائدين.

وإلى أى مدى تستطيع إسرائيل أن تمتص العائدين اقتصادياً، وهل تتم العودة عن طريق لجنة دولية للتوطين أم يترك لإسرائيل الحرية فى ذلك، وما العدد الذى تقبله إسرائيل وعدد اللاجئين الذين ستمتصهم البلاد العربية.

مغزى قضية اللاجئين

كانت الفكرة السائدة عند العرب هى أن مشكلة اللاجئين أفضل رمز على حيوية القضية، والدليل على ذلك هو أن الدورات المتعاقبة للجمعية العامة أبدت استعداداً لبحث هذه القضية. ومازال القرار ١٩٤ لسنة ١٩٤٨ قائماً من الناحية النظرية، وبوسع العرب أن يتهموا إسرائيل فى أى وقت بامتناعها عن تنفيذ هذا القرار الخاص بحق اللاجئين فى العودة والتعويض عن الذين لايرغبون فيها.

وهذا المنطق سليم لو أنه كان بنية العرب استخدام هذا القضية التى يحرزون فيها كسباً دبلوماسياً للتمهيد لتنفيذ القرار بالقوة، طالما أن الأمم المتحدة عاجزة عن ذلك، أما الاكتفاء بهذا الكسب الدبلوماسى فإنه يهبط بالمشكلة إلى مجرد مناورة سياسية على حساب الجانب الإنسانى، فلاتستحق المناورة أن يظل جزء كبير من الشعب الفلسطينى مشرداً نحو خمسين عاماً، وهذا ماجعل كثيرين من الكتاب والمراقبين السياسيين فى الغرب يصفون الحكام العرب بأنهم يستخدمون قضية فلسطين للاستهلاك المحلى.

وحينما طرحت الوفود العربية قضية اللاجئين للمرة الأولى فى مجلس الأمن كان ذلك بمناسبة تدخل الجيوش العربية، فذكر الممثلون العرب أن هناك نحو ربع مليون من الفلسطينيين شردوا من ديارهم، وأن هدف التدخل العربى هو إعادتهم إلى أوطانهم. وإذاً لم يستهدف العرب فى هذه الحقبة الاستعطاف أو طلب المعونة. غير أنه بعد حرب الأيام العشرة وزيادة عدد اللاجئين، تأكدت الحاجة الملحة للمعونة الدولية، وشغل برنادوت بهذا الموضوع بالدرجة الأولى. واستخدم نفوذه لكى يقنع الحكومة الإسرائيلية بإعادة اللاجئين، ولم يرفض بن جوريون رفضاً باتاً، وإنما وضع شروطاً من شأنها أن تجعل العودة مستحيلة، فقال لابد أن ترتبط العودة بتسوية عامة حتى لايتحول العرب العائدون إلى طابور خامس، واشترط على كل حال ألا يعود أحد فى سن القتال، والغرض من ذلك هو التظاهر بأن مايعنى إسرائيل هو أمنها، والحقيقة أن إسرائيل كانت مصممة على عدم السماح للاجئين بالعودة، إذ أن مغادرة العرب لبلادهم كانت هى الفرصة الذهبية التى أفسحت المجال لـ ٦٠٠ ألف يهودى للهجرة فى أعقاب قيام الدولة الجديدة.

وعلى عجل أبدت هيئات مختلفة استعدادها لتقديم المعونات العينية للاجئين من بينها شركات البترول العاملة فى البلاد العربية، وجمعيات إغاثة الطفولة. وتكفلت الأمم المتحدة بالتنسيق والإدارة. غير أن الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٤٨ شهدت اعتداءات إسرائيلية جديدة، وتدفق أفواج أخرى من اللاجئين على البلدان العربية المجاورة. واقترن ذلك بحلول فصل الشتاء فتجاوز الأمر إمكانيات هذه الهيئات، وتعين على الأمم المتحدة أن تقوم بعمل مباشر وذلك بتخصيص ميزانية محددة، وتعيين هيئة خاصة للإشراف على إغاثة اللاجئين. وجمعت التبرعات من الدول الأعضاء، ولم تسهم الحكومات العربية فى النفقات، لأن نظريتها هى أن العرب كانوا ضحية العدوان، وعلى دول العالم التى سمحت به والدول الكبرى التى تعد مسئولة عنه إلى حد كبير أن تتكفل بهذه النفقات.

وعندما عادت الجمعية العامة إلى الاجتماع فى خريف سنة ١٩٤٩ كانت اتفاقيات الهدنة الدائمة قد عقدت فضعف الأمل فى العودة. لذا أوصت لجنة التوفيق بتكوين لجنة اقتصادية تتوفر على دراسة الموضوع وتقدم مقترحاتها إلى الجمعية العامة فى نفس الدورة.

واعترفت اللجنة فى تقريرها بأن مشكلة اللاجئين يجب أن تحتل مكان الصدارة من قضية فلسطين، وأنه طالما لايوجد حل سياسى فمن المنتظر أن تبقى هذه المشكلة معلقة فترة من الزمن، ولذلك يجب الاعتماد على معونة الأمم المتحدة، إلا أن هذه المعونة لايجب أن تكون على شكل صدقة كما حدث فى السنة الأولى، بل لابد من إفساح مجال العمل أمام اللاجئين، وذلك بوضع برنامج للتشغيل ولاستغلال مياه نهر الأردن بصورة أفضل. وأقرت اللجنة أن الأقطار المضيفة غير قادرة على تحمل نفقات هذه المشروعات، ولذا لابد من أن تتكفل الأمم المتحدة بها. وأن تقدم المعونة مباشرة حتى نهاية سنة ١٩٥٠.

وإذاً فإن اللجنة الاقتصادية هى صاحبة الاقتراح بإنشاء وكالة لغوث اللاجئين وتشغيلهم على أن تكون هذه الوكالة مستقلة إدارياً، وتمارس أعمالها بالتعاون مع الحكومات المضيفة.

وقد وافقت الدول العربية على إنشاء الوكالة متمسكة بهذا المبدأ الرمزى، وهو أنه طالما لايوجد اتفاق سياسى، فإن وجود الوكالة لايسقط حق العرب فى العودة.

وحقيقة الأمر أن فكرة الوكالة انبثقت أولاً عن جيمس ماكدونالد، أول سفير أمريكى فى إسرائيل، والصديق الحميم للصهيونية. وقد رحبت بها الحكومة الإسرائيلية. وإذا تأملنا فى خطط الوكالة نلاحظ أنها خدمت أهداف نتجاهل آثاره السياسية، فمازال اللاجئون يعلمون أبناءهم بأنهم من اللد أو الرملة أو عكا. وإذا مر رجال الأمم المتحدة وسألوا أحد الصغار: من أين أنت؟ أجاب: أنا من هذا البلد أو ذاك، من الأراضى المحتلة.

وخلاصة القول إن اللاجئين يؤيدون بصفة جماعية مبدأ الكيان الفلسطينى، ولكن إذا أتيح لهم كأفراد أن يجدوا عملاً فى أى مكان، فإنهم لايستطيعون أن يرفضوا تلك الفرصة.

يقول البروفيسور توينبى :

أعتقد أن هناك نقطتين مهمتين، الأولى عودة اللاجئين إلى ديارهم. والثانية استخدام اللاجئين كسلاح سياسى. وأعتقد أن هناك تناقضاً فى الموقف الإسرائيلى؛ فاليهود يطالبون

بعودة اليهود إلى فلسطين رغم أنهم تركوها منذ عام ١٣٥ ميلادية، ولم تكن في فلسطين قط كتلة ملحوظة من السكان اليهود. وإن كنت أوافق على أن قلة من اليهود عاشت بضرورة مستمرة في فلسطين(١)؛ وهي أقلية قليلة. ومنذ عام ٦٤ قبل الميلاد لم تقم دولة يهودية في فلسطين. ولقد أدعيتم الحق في العودة، لا كما نص وعد بلفور في صورة وطن قومي ولكن في الصورة المتطرفة للدولة. ولكنكم تنكرون في الوقت نفسه على العرب الذين أرغموا على مغادرة فلسطين، الجزء الإسرائيلي في فلسطين، عام ١٩٤٨، تنكرون عليهم مايعتبر الحجة الأساسية التي يستند إليها الشعب اليهودي. هذا موقف متناقض. عليكم أن تتأملوه. ثم نقطة استخدام اللاجئين كسلاح سياسي، لقد أتيحت لي فرصة تجاذب أطراف الحديث مع ممثلي الدول العربية خلال السنوات القليلة الماضية ـ وأعتقد أن المنظمة الصهيونية وحكومة إسرائيل تعيشان في بيت زجاجي بالنسبة لموضوع استخدام اللاجئين اليهود كسلاح سياسي وماينسبونه للغرب في هذا المجال. وقد حدث الكثير وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية مما يوضح كيف وجهت الصهيونية اللاجئين اليهود إلى فلسطين، استغلالاً لمحنتهم في سبيل توطيد السياسية الصهيونية، بدلاً من إقرارهم في أستراليا أو أمريكا الشمالية حيث كان ينتظرهم المأوى والمستقبل.

إن إسرائيل، تحمل مسئولية هروب بعض اللاجئين نتيجة طردهم وذبح الفلسطينيين العرب، لأن الإسرائيليين استولوا على ممتلكات هي حق مشروع، لاجدال فيه للعرب الفلسطينيين. وأني أقول الآن في صراحة إن هذا العمل سرقة وأنه عبء ثقيل على الضمير اليهودي. وعلى اليهود جميعاً ـ وخاصة الإسرائيليين ـ أن يعملوا على إزالة آثار هذا العمل. فهذا أمر لابد أن يصفى بواسطة اليهود أنفسهم والإسرائيليين خاصة، ولكن نخص أيضاً الطوائف اليهودية بالعالم كله لأن هذه الطوائف هي التي مكنت لقيام إسرائيل بالمساعدات المالية والتأييد السياسي؛ وخاصة مواطني كندا والولايات المتحدة الذين ينتمون للدين اليهودي، والذين لهم أعظم سلطة مالية وأشد أثر سياسي في هذا الأمر(٢).

وهكذا تجدنا نواجه مشكلة لاتزال مستمرة هي كيف نحول دون أن يلد هذا الإثم الذي أنزل بالناس ـ والذي جاء نتيجة إثم سابق عليه ـ من أن يلد آثاماً جديدة. لقد كنت في

(١) البروفيسور توينبي.

(٢) المصدر السابق.

معسكرات اللاجئين فى قطاع غزة واستمعت إلى أغانى الأطفال التى ينشدونها فى المدارس. وإذا أردتم أن تروا كيف كان اليهود أثناء ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة بعد نفى نبوخذ نصر لليهود، فاذهبوا إلى قطاع غزة وستلمسون روح العرب هناك وحالتهم الفكرية. إنهم يقولون الأشياء نفسها التى كان يقولها اليهود إذ ذاك والتى ظلوا يقولونها فيما بعد: «هذه هى بلادنا. وإنا لعائدون».

الفصل التاسع

العدوان الإسرائيلى على العرب بهدف توسيع حدود الدولة العبرية :

- حرب ١٩٥٦
- حرب ١٩٦٧
- حرب تحرير سيناء (أكتوبر ١٩٧٣)

حرب ١٩٥٦

سنكتفى هنا بالقدر الذى يبين الدوافع التى بعثت هذه الحرب الاعتدائية على مصر ، ومانتج عنها خاصة مطامع إسرائيل التوسعية وممارستها اللاإنسانية فى قطاع غزة وازدياد عدد اللاجئين .

إن قناة السويس ملك مصر ، تجرى فيها مياه مصر من البحر الأحمر إلى البحر المتوسط وهى شريان حياة اقتصادية لخير العالم أجمع تمخر فيها السفن غدواً ورواحاً وفق مصلحة البلاد والاتفاق الدولى ، ومن حق مصر أن تتصرف بها تصرف المالك فى ملكه فتدفع أى ضرر يلحق بمصر ، وتعين على أى خير يعم مصر والعالم . وكان للدولتين بريطانيا وفرنسا أسهم فى استثمار عائدات القناة حصلت عليها فى ظروف ، لم تكن لمصر يد فيها وتهيأت الظروف الملائمة لكى تحتضن مصر فيها قناتها كلها وتتصرف بها تصرف الملك فى ملكه ؛ فقررت تأميم القناة فتميزت الدولتان غيظاً من هذا التصرف الحق ، وبان للدولتين الخطر الذى يهدد مركزهما فى الشرق الأوسط فصممتا على إعادة سيطرتهما على القناة ، ووجدت إسرائيل فرصة فتحالفت مع الدولتين ولبست مخلب القط بغية تحقيق مطامعها التوسعية فى ظل القوتين بريطانيا وفرنسا وانتظاراً لما تكسبه فى هذه الحرب من حرية الملاحة فى القناة وخليج العقبة ، وهكذا شنت الدولتان مع إسرائيل حرباً شعواء استخدمت فيها الدولتان أساطيلهما البحرية والجوية على القناة ، وهجمت إسرائيل على شبه جزيرة سيناء فاستولت على قطاع غزة ومارست فى هذا القطاع أثناء احتلاله فعائل الإرهاب ، شأنها فى ذلك شأن مافعلت فى قرية دير ياسين فى القتل الجماعى والقسوة فى هدم المنازل على أهلها وتشريد السكان فهرب كثير من أهل القطاع إلى مصر والأردن تاركين أموالهم وبيوتهم وحقولهم فازداد عدد اللاجئين الذين خلفتهم حركات ١٩٤٨ والذين سيأتى البحث عنهم ، واستمر اليهود فى ممارسة هذه القسوة حتى بعد فشل خطة الدولتين وانسحابهما وإجبار إسرائيل على الانسحاب فى مارس

١٩٥٧ إلى ما وراء حدود الهدنة، وألفت هيئة الأمم المتحدة فى هذه المرة قوة الطوارىء الدولية فى شبه جزيرة سيناء.

ولم تكسب إسرائيل حرية الملاحة فى القناة، واستمر التوتر فى المنطقة وتطورت حركة الفدائيين الفلسطينيين إلى ظهور منظمة التحرير الفلسطينية، التى استطاعت تكوين وحدات لجيش التحرير الفلسطينى

حرب ١٩٦٧

استمر التوتر فى المنطقة بعد انتهاء حرب ١٩٥٦، ودأبت إسرائيل على تقوية جيشها وامتلاك الأسلحة وغمرت العالم بالدعاية تبريراً لعنادها فى التخلى عن المناطق المحتلة ووقوفها المتعنت فى إعادة اللاجئين إلى وطنهم أو التعويض عما فقدوه، رغماً عن أنها تعرف فى داخل نفسها أن العرب مؤمنون بأن فلسطين جزء مهم من الوطن العربى، وأنهم لن يتخلوا عنه وأن وضع اللاجئين بهذه الحالة مأساة اجتماعية إنسانية لاتقبل بها أية أمة، وأن القرار ١٩٤ الذى أصدرته الأمم المتحدة يخيرهم فى العودة إلى وطنهم أو التعويض عما فقدوه. ومع ذلك كله تصلبت إسرائيل فى عنادها ولم تتخل عن السعى وراء تفوق التسلح، والطواف فى العالم للتضليل وتزييف الحقائق لكسب التأييد.

ومن جهة أخرى دأبت غارات طائراتها على طول الحدود بحجة الانتقام من هجمات الفدائيين على المناطق التى فيها اليهود ففى يوليو ١٩٦٦ فاجأت مدفعيتها وطائراتها مشروع بانياس المائى وألحقت به أضراراً بالغة، وفى أكتوبر من العام نفسه، هجمت طائراتها على قرية السموع بحجة وجود فدائيين فيها، وقد أدان مجلس الأمن إسرائيل بذلك ثم تصاعدت هجماتها الجوية عام ١٩٦٧ تصاعداً ملموساً ففى ٣ أبريل ١٩٦٧ ملأت طائرات اليهود الأجواء السورية وحدثت معركة جوية عنيفة خسرت فيها سوريا عدداً من طائرات الميج وأشيع فى العواصم العربية أن إسرائيل تجمع قواتها على حدود سوريا، وأن هذه القوات تزيد عن اثنتى عشرة فرقة، فأعلنت الجمهورية العربية المتحدة حالة الطوارىء وطلبت من الأمن العام لجمعية الأمم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية، ثم تقدمت قواتها فى سيناء محافظة لحقوق سوريا وحل قضية اللاجئين وجواباً على تجمعات القوات اليهودية على حدود سوريا وتوسطت روسيا وأمريكا لعدم وقوع حرب، فأجابت الجمهورية العربية المتحدة رغبة هذا التوسط، وحتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، كانت

الجمهورية العربية المتحدة تتحلى بضبط النفس، وتعد أنها لن تكون البادئة واستغلت إسرائيل الفرصة وبخطة مرسومة خاطفة استطاعت أن تدمر معظم قوة الطيران للجمهورية العربية المتحدة فى أوكارها وزحفت جيوش إسرائيل على سيناء ووقعت معارك ضارية رغماً عن عدم وجود غطاء جوى لجيوش العربية المتحدة، فاستطاعت إسرائيل أن تستولى على قطاع غزة وشرم الشيخ ومضيق تيران، ووصلت ساحل القناة الشرقى، واستولت على مرتفعات الجولان فى سوريا، كما استولت على الضفة الغربية من شرق الأردن وفيها القسم العربى من مدينة القدس، ورغم إعلان وقف إطلاق النار والهدنة من قبل مجلس الأمن فإن تحركات الجيش الإسرائيلى استمرت وتقدم فى أماكن متعددة لم تكن فى متناولهم، ولم يسمحوا لمراقبى جمعية الأمم الدخول إلى تلك المناطق، وفى القدس العربية اتخذت إسرائيل إجراءات مخالفة للقانون الدولى، فإنه لم تمض ثلاثة أسابيع على وقف القتال حتى أصدرت قانوناً يدمج القدس العربية مع القطاع الإسرائيلى بإدارة واحدة، فاحتجت الحكومة الأردنية واعتبرت هذه الإجراءات مخالفة للقانون الدولى الذى عبر عنه ميثاق لاهاى ١٩٠٧، الذى ينص على أن تلتزم سلطات الاحتلال بالحفاظ على التركيب القانونى والإدارى القائم فى المناطق المحتلة، وأيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة رأى الأردن فى قرارين متواليين صدرا فى ٤، ١٤ يوليو ١٩٦٧، نص كل منهما على عدم مشروعية أى تغيير للوضع القانونى للمدينة. ولكن إسرائيل لم تلتفت إلى القرارين فأخذت تجرى تغييرات ملموسة فهدمت الجدران والمنازل على طول خط الهدنة، ووسعت الشوارع التى تخترق الخط، وهدمت ١٣٥ منزلاً تقع فى حى المغاربة المقابل للسور الغربى، وأخلى السكان عن المنازل وتم هدم مصنع البلاستيك وأدمجت موظفى المدينة الذين هم دون الرتب العليا فى المكاتب اليهودية، وتحولت مدرسة إسلامية للبنات إلى مقر للمحكمة الحاخامية العليا، وتحول مستشفى إلى مركز للشرطة الإسرائيلية. ونزعت ملكية ٨٣٨ دونماً من الأراضى بحجة أنها من الأراضى الأميرية سابقاً(١).

واتخذت إجراءات اقتصادية كاملة لربط اقتصادية القسم العربى بالقطاع اليهودى، وحلت إسرائيل المجلس البلدى وتسريح محافظ المدينة من منصبه.

وفى خريف عام ١٩٦٧ اجتمع مجلس الأمن وبعد مداولات واختلاف فى الرأى وتشاور بين الصهيونيين والأمريكيين والبريطانيين، تبنت بريطانيا وضع صيغة قرار مجلس الأمن الذى أقر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ على النحو التالى :

(١) الدونم يساوى ١٠٠٠ متر مربع.

قرار مجلس الأمن(١)

إن مجلس الأمن

إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر فى الشرق الأوسط، وإذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أرض بواسطة الحرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع كل دولة فى المنطقة أن تعيش فيه بأمن، وإذ يؤكد أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة الثانية من الميثاق.

(أولاً) : يؤكد أن تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق المبدأين الاثنين.

(أ) سحب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض (النص الأفرنسي يقول من الأراضى) احتلت فى النزاع الأخير.

(ب) إنهاء جميع إدعاءات الحرب أو حالاتها، واحترام السيادة والوحدة لأراضى كل دولة فى المنطقة والاعتراف بذلك وكذلك استقلالها السياسى، وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة.

(ثانياً) يؤكد أيضاً الحاجة إلى :

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية فى المنطقة.

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(ج) ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة، عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح.

(ثالثاً) يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص للذهاب إلى الشرق الأوسط؛ كى يقيم ويجرى اتصالات مع الدول المعنية بغية إيجاد اتفاق ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية مقبولة، وفقاً للنصوص والمبادئ الواردة فى مشروع هذا القرار.

---

(١) راجع أزمة الشرق الأوسط منذ حرب حزيران (يونيو) حتى قرار ٢٢ تشرين الثانى.

(رابعاً) يطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن حول تقدم جهود الممثل الخاص فى أقرب وقت ممكن .

فى قرار مجلس الأمن ثلاث موضوعات بارزة، وهى الفقرة الأولى من القرار، وضعت كما صرح بذلك مندوب بريطانيا عندما قدم مشروع قراره فى اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثانى، بحيث ترجع هذه الفقرة إلى الفصل السادس من ميثاق جمعية الأمم المتحدة ومواد الفصل لاتلزم الفرقاء المعنيين، بل تشترط لتنفيذه قبول الطرفين المعنيين، والموضوع الثانى موضوع الانسحاب الذى ينصب على الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من أراض احتلت فى النزاع الأخير، ويؤكد ماجاء فى الفقرة السابقة من القرار «إذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أرض بواسطة حرب» وبجمع الفقرتين أصبح الوضع ملزماً لإسرائيل بالانسحاب الكامل، أما موضوع التسوية العادلة للاجئين فقد أكد ماجاء فى قرار جمعية الأمم المتحدة ١٩٤ الذى تؤكده كل عام، والذى يقضى بتخيير اللاجئين فى العودة أو التعويض عما فقدوه.

ولتنفيذ القرار عين الأمين العام لجمعية الأمم المتحدة المبعوث الرسمى المستر «يارنج» فشرع بالاتصال مع الفرقاء المعنيين والتشاور معهم فى شأن تنفيذ القرار، حتى تراكمت أوراقه وكثرت تقارير مشاوراته التى سببها عناد إسرائيل، واستمرت إسرائيل فى اعتداءاتها تخترق الحدود وتضرب يميناً وشمالاً دون تفريق فى الأماكن الآهلة بالسكان أو الجبهات العسكرية، ودخلت طائراتها فى أعماق البلاد السورية والأردنية والمصرية تضرب القرى والمدن والمدارس والمعامل.

ولم ترتدع فى استمرارها لضرب العربية المتحدة إلا بعد أن رأت طائراتها الفانتوم تتساقط على الحدود بالدفاع المصرى عند ذلك لجأت إلى حيلتها فى كل مرة، وهى طلب الهدنة ومع ذلك فإنها إذا أمنت سلامة طائراتها لاتتردد عن ضرب أية جهة آهلة بسكان عزل أو جبهات عسكرية كما لاتزال تفعل مع لبنان وسوريا . وفى الأرض المحتلة مارست القسوة والتدخل فى مناهج التربية والتعليم، وحرمت أبناء المنطقة من حقهم الطبيعى فى نيل المعرفة ووضعت العقبات دون إيجاد عامل عربى ماهر.

وفى عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، أخذت تبنى المستعمرات اليهودية فى سيناء وفى المرتفعات السورية، وبدأت تنفيذ مشروع إسكانى ضخم فى القدس يهدف إلى تثبيت احتلالها للقدس العربية، ويؤدى هذا المشروع إلى بناء ألف مسكن قبل نهاية عام ١٩٧٥ .

وتشبه الخطة رسم يد كف ضخمة تنتشر فى نصف دائرة كل أصبع فيها حي يهودى، ومنها منطقة تقع بين القدس وبيت لحم، قاربت على الانتهاء بمجموعة تكفى إلى ٩٠٠٠ أسرة يهودية، وفي غزة نسفت مساكن ١٥٨٥٥ لاجئاً فلسطينياً بحجة فتح طرق في المدينة، ولم تفد احتجاجات الدول العربية وآخر ما أقرته جمعية الأمم المتحدة لإيقاف إسرائيل عن حدها أو التسجيل عليها بعدم مشروعية تصرفها أربعة قرارات، صدرت فى ديسمبر ١٩٧٢، أكدت الجمعية في القرار الأول حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره واحترام ممارسته حقوقه الأساسية أمر لا غنى عنه لإقرار سلام عادل وثابت فى الشرق الأوسط. وأكد القرار الثانى على أن تتخذ إسرائيل فوراً الإجراءات اللازمة لإعادة نحو ١٠٠,٠٠٠ فلسطينى شردوا من أراضيهم التى احتلتها بعد حرب ١٩٦٧ وأن توقف على الفور الإجراءات التى تؤثر على التكوين الطبيعى والجغرافى والسكانى للأراضى المحتلة، وفى القرار الثالث أعربت الجمعية العامة عن أسفها لقيام السلطات الإسرائيلية بنسف مساكن ١٥٨٥٥ لاجئاً فلسطينياً فى قطاع غزة المحتل، وطالبت إسرائيل بتقديم مأوى مناسب لجميع هؤلاء الفلسطينيين.

والقرار الرابع صدر بإجماع ١٢٤ صوتاً وبالطبع امتنعت إسرائيل عن التصويت ويتضمن القرار نداءً إلى جميع الحكومات والمنظمات والأفراد بالإسهام بسخاء، والقيام بكل جهد ممكن للوفاء باحتياجات وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين، وهاجم ممثل إسرائيل فى المنظمة الدولية جميع هذه القرارات، ووصفها «بأنها مجرد طقوس سنوية من الافتراء لاتؤدى إلى شيء».

حرب أكتوبر ١٩٧٣

منذ هزيمة ١٩٦٧م، وحتى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣م - ذاق العرب خلالها مرارة الهزيمة وتحمل عبء حرب نفسية قاسية شنتها ضده أعتى أجهزة الدعاية والإعلام، لتفقده الثقة فى نفسه، ولكن هيهات فإن الإنسان العربى مضى خلال هذه السنوات الصعبة يشق طريق نضاله، ويعيد بناء نفسه من جديد لمواجهة يوم الفصل الحاسم، وتمكن خلال هذه السنوات من الصمود ومن بناء قواته المسلحة بناءً جديداً سليماً وأعدها إعداداً قوياً، ولما أدرك حقيقة قوته، وتأكد من سلامة موقفه جدد ساعة عمله، وكانت هذه الساعة واقعة فى يوم السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م، وحقيقة فإن اللحظات التى مر بها تاريخ الأمة العربية فى ذلك اليوم لتعد من أمجد لحظات تاريخها الطويل، فقد تمكنت القوات العربية فى هذا اليوم من تحطيم

أسطورة جيش إسرائيل الذى لايهزم وبسرعة تفوق الخيال، وتتعدى طاقة البشر، تمكن أبناء مصر العربية وسوريا العربية وإخوتهم رفقة السلاح من البلدان العربية الأخرى من إزالة العقبات والموانع الحصينة، التي ظل العدو طوال تلك السنوات السبع يشيدها ويفاخر بحصانتها، وعلى رأسها خط بارليف التي رسمت له الدعاية الصهيونية صورة أسطورية تفوق الوصف والخيال، وأثبتت العزيمة العربية من جانبها أنه هش، خاوى العروش، لايقدر على الصمود أمامها.

ويجب أن نذكر هنا أننا لسنا بصدد دراسة تفاصيل حرب أكتوبر، فقد كتبت فى هذه الحرب مئات الكتب تتناولها من جوانبها المختلفة مع اختلاف وجهات النظر، إلا أنها جميعاً اتفقت ـ المعادى منها والمؤيد ـ على حقيقة واحدة هى أن هذه الحرب أثبتت بما لايدع مجالاً للشك أو الريبة قدرة الإنسان العربى على القتال إذا هيئت له ظروف القتال المناسبة، وأن هذه الحرب كانت بعثاً جديداً للإنسان العربى، الذى تمنى من خلال عملياته الحربية المبتكرة أن يقلب موازين الاستراتيجية العسكرية العالمية، فأخذت مراكز البحث الاستراتيجى تدرس عملياته وتغير من نظرياتها.

وقد كانت هذه الحرب العربية الإنسانية العادلة شاملة فى جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية؛ لأنها قامت من أجل الإنسان العربى، هدفها استخلاص حقوقه المشروعة، ومن هنا جاء دور هذه الحرب المجيدة فى حل قضية انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ والحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين من وضعها المتجمد إلى مرحلة متحركة تشغل الرأى العام العالمى، بعد أن أدرك عدالة القضية العربية مما جعل العدو الإسرائيلى يعيد من جديد حساباته بعد الخسائر، التى منى بها فى الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية. وبقدر ماكانت هذه الحرب ضربة قاسية وجهت إلى القيادة الإسرائيلية المتغطرسة، فإنما كانت نصراً حاسماً للقيادة العربية الحكيمة الحازمة، وكما قدمنا عذرنا بأننا فى هذه المعالجة لانستطيع سرد التاريخ الكامل لحرب أكتوبر، وإنما نحيل القارىء إلى بعض الكتب التى صدرت عنها، فإننا هنا كذلك لانستطيع أن نضع صورة كاملة لنتائج هذه الحرب، وإنما نشير بصورة سريعة إلى بعض هذه النتائج، ونحيل القارىء إلى المصادر الخاصة بهذه الحرب، وسنوجز نتائج حرب ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣، فيما يلى:

أولاً : إسقاط نظرية الأمن الإسرائيلى، القائم على العدوان والتوسع وإثبات أنه لايمكن أن يكون لأية دولة فى العالم حدود آمنة، يمكن الدفاع عنها، إذا لم تتبع هذه الدولة سلوكاً يهدف إلى السلام ويبتعد عن العنصرية والاعتداء.

ثانياً : إدراك الرأى العام العالمى، لموقف إسرائيل العدوانى، وأطماعها التوسعية، وتفهمه لعدالة القضية العربية وشرعية نضال العرب فى سبيل استخلاص أراضيهم المحتلة.

ثالثاً : ظهور أهمية التنسيق العسكرى بين الجيوش العربية، فقد كان لمشاركة القوات المسلحة للبلدان العربية المختلفة فى المعركة والتنسيق بينها فى الجبهات المختلفة أهمية كبيرة فى إحراز النصر، فقد شاركت فى هذه المعركة قوات، سورية، مصرية، فلسطينية، عراقية، جزائرية، أردنية، كويتية، سعودية، سودانية.

رابعاً : ظهور أهمية البترول كسلاح قوى وفعال فى يد الدول العربية، يمكنها عن طريقه أن تشل حركة أعدائها والمؤيدين لهؤلاء الأعداء، حيث إن حجب البترول عن الدول المساندة لإسرائيل لعب دوراً فى تغيير موقف هذه الدول.

خامساً : تأييد القضية العربية فى المحافل والمؤتمرات الدولية؛ فقد استطاع العرب عن طريق شرح عدالة قضيتهم أن يكسبوا تأييد الدول الأفريقية ودول عدم الإنحياز، وظهر ذلك فى عديد من المؤتمرات، مثل : مؤتمر القمة الأفريقى، ومؤتمر عدم الإنحياز ومؤتمر القمة للبلاد الإسلامية، وقامت الدول الأفريقية، بقطع علاقاتها مع إسرائيل تأييداً للعرب فى نضالهم ضد العدوان الإسرائيلى.

سادساً : إحراز القضية الفلسطينية لكثير من الانتصارات السياسية، واتساع دائرة الحكومات والمؤسسات الدولية والشعبية، التى أظهرت دعمها وتأييدها لنضال الشعب الفلسطينى، والاعتراف بحقوقه الوطنية المشروعة، خاصة حقه فى تقرير مصيره والعودة إلى وطنه.

سابعاً : تغيير هيكل العلاقات الاقتصادية بين الدول الغربية الصناعية المتقدمة وبين الدول المنتجة للنفط، حيث وضح أن الكفاح فى الميدان الاقتصادى، من أجل تحقيق الرخاء والتقدم للشعوب المناضلة، إنما هو ركيزة للكفاح السياسى والاجتماعى لهذه الشعوب.

الفصل العاشر

تاريخ الاستيطان والمستوطنات اليهودية فى فلسطين

تاريخ الاستيطان
والمستوطنات اليهودية فى فلسطين

قد يبدو للبعض أن إقامة المستوطنات اليهودية فى فلسطين هى أحد نتاج احتلال أو استعمار الأرض الفلسطينية خلال هذا القرن (١)، بل العكس هو الصحيح، فقد سبقت الدعوة إلى إنشاء مستوطنات يهودية فى فلسطين الدعوة العملية للمطالبة بإنشاء دولة يهودية على هذه الأرض قبل المؤتمر الصهيونى الأول فى« بال عام ١٨٩٧» .

فمنذ ١٦٥ عاماً مضت وعلى وجه التحديد فى عام ١٨٣٤ ، ظهرت أول دعوة لإقامة مستوطنات يهودية فى فلسطين بالمفهوم الحالى لفكرة المستوطنات .

وصاحب الفكرة لإقامة هذه المستوطنات هو نفسه أول من دعا إلى الحركة الصهيونية بمعناها السياسى الحديث . هذا الرجل لم يكن إلا حاخاماً، كان منسياً منبوذاً من اليهود وقتذاك ؛ لكن اليهود يعتبرونه الآن نبى الصهيونية . اسم هذا الحاخام « يهودا الكالاى» ولد وعاش ومات بمدينة «سراييفو» عاصمة دولة البوسنة والهرسك الآن .

وقد بدأ الحاخام (الكالاى) أول كتاباته فى الدعوة إلى استيطان فلسطين عام ١٨٣٤ ـ أى قبل مؤتمر بال بـ ٦٥ عاما ـ ، يقول فى كتابه : إن التمهيد الضرورى للخلاص والعودة، إنما هو إقامة مستوطنات يهودية على أرض فلسطين ـ وكان برنامج (الكالاى) يتضمن شراء أراضى فلسطين من السلطان التركى، وإقامة تجمع كبير يضم يهود العالم .

---

(١) المستوطنات اليهودية ـ حسن فؤاد .

موجات الهجرة الى فلسطين (*)

البناء الاجتماعي والاقتصادي ليهود فلسطين



مهاجرون يهود أوروبيون يتبركون بذكر دعواتهم أمام حائط المبكى

يلاحظ على الاستيطان اليهودى فى فلسطين فى أوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر :

أولا : نشأت الجماعة اليهودية فى فلسطين نتيجة هجرات منعزلة، إما لأغراض دينية مثل مجيء رجال الدين للتعبد، وإما هرباً من الاضطهاد الذى لاقاه اليهود فى أوروبا .

ففى القرنين السادس عشر والسابع عشر، هاجر إلى فلسطين لاجئون من يهود وسط أوروبا، وبلغت أعدادهم حوالى ستة آلاف فى عام ١٨٣٩، مقابل ما يقرب من ٣٠٠ ألف عربى (١)، أى إن نسبة اليهود لم تتعد ٢ ٪ من مجموع سكان فلسطين .

واستفاد اليهود من تحسن الظروف السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، خلال القرن التاسع عشر (٢) فتزايد عددهم فى فلسطين إلى حوالى ١١,٨٠٠ فى عام ١٨٤٥، وإلى حوالى ٢٤ الفا فى عام ١٨٨٢، وتركزت الجماعات اليهودية فى المدن الأربع المقدسة فى نظر اليهود، وهى: القدس، وطبرية، وصفد، والخليل .

ثانيا : لم يشارك اليهود فى فلسطين، بأى نوع من أنواع الإنتاج، وكان استيطانهم دون جذور اقتصادية(٣) .

* الاستعمار الاستيطانى ـ معهد البحوث والدراسات العربية (إشراف السيد ياسين ـ د. على الدين هلال) .

(١) Halpern, Ben, The Idea of The Jewish State, (Massachusetts) Harvard University press, 1961, P, 106 .

(٢) Matras, Judah, Social Change In Israel, (Chicago Aldine publishing Company, 1965), : P. 22

(٣) Finkelstein, Louis, (ed.), The Jews Their History, Culture and Religion, The Jewish Publication Society of America, 1960, Vol. I, P. 589.

فعاش اليهود على الصدقات التى ترسل اليهم من بلادهم الأصيلة، باعتبار أن مساعدتهم واجب دينى، ومولّ هذه المساعدات الخيرية نظام « الحالوقة » أو« التوزيع » ، ويشمل الجزء الأكبر من الجماعات اليهودية فى فلسطين . كما شارك يهود غرب أوربا بعد ذلك بنشاط خيرى وتعليمى، مثل جمعية « الاليانس » العالمية L'Alliance Israelité Universelle وتبعها فى هذا الميدان الاتحاد اليهودى الإنجليزى(١)



مجتمع المستوطنات اليهودية !!

أما عن نظام « الحالوقة »، فقد بدأ فى القرن الخامس عشر، بتكوين جمعية تحت هذا الاسم، ثم تلتها جمعيات مشابهة توزع الهبات على اليهود الذين يجمع بينهم الانتماء إلى بلد واحد، وكان يسافر مبعوثون يقومون بالطواف فى بلادهم الأصلية لجمع التبرعات، ووصلت أول بعثة منهم إلى أمريكا فى عام ١٧٥٩ ، ثم تزايدت بعد ذلك الهبات التى يقدمها اليهود الأمريكيون(٢).

ثالثا : لم يشكل المستوطنون اليهود مجموعة متجانسة، وإنما اختلفت أجناسهم، ولغاتهم، وثقافاتهم، وانقسموا إلى مجموعات متمايزة، لكل مجموعة منها عالمها الخاص، إذ حافظت على ماضيها، واستبقت لغة موطنها الأصلى (٣)، ولكن غلبت على الجماعات اليهودية فى فلسطين، مجموعتان مختلفتان، تميزتا بتباين الأصل، والثقافة، والمذهب الدينى.

(١) Thé Esco Foundation For Palestine, Inc., Palestine, A Study of Jewish, Arab And British Policies, (New Haven: Yale University Press, 1946), Vol. I, P. 51.

(٢) Patai, Raphael, Israel Between East and West, Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1953), PP. 13 - 14.

(٣) على (فؤاد حسنين)، المجتمع الإسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم، القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧ ، ص ٤٧

١ ـ مجموعة اليهود « الاشكينازيم » ولغتهم « الييدش » .

٢ ـ مجموعة اليهود « الفرديم » ولغتهم « اللادينو » .

رابعا : حافظ المستوطنون اليهود فى فلسطين، على علاقاتهم مع بلدانهم الأصلية، وحملوا جنسايتها . ولما تزايد النفوذ الأوروبى فى الشرق الأوسط فى القرن التاسع عشر، بسطت الدول الأوروبية حمايتها على اليهود، باعتبارهم رعايا أوروبيين، وذلك عن طريق قناصلها لدى الدولة العثمانية (١).

خامسا : تأثر اليهود فى فلسطين بالطابع العربى فى الملابس، وشكل المنازل، وأثاثها، وأخذوا بعادات العرب فى معيشتهم، واستمرت مظاهر الحياة العربية تسود الأقلية اليهودية، حتى بداية موجات الهجرة المنظمة (٢).

فالأقلية اليهودية البالغة الضآلة، التى استوطنت فلسطين فى العصور الحديثة، قد لاذت إليها هربا من الاضطهاد الأوروبى، وغلبت عليها صفة الانزواء، لتعيش حياتها الدينية، ولم تشارك الشعب الفلسطينى فى حياته الاقتصادية والسياسية، وإنما عاشت عالة على شعوبها الأصلية، التى انتمت إليها، وحملت جنسياتها، وتمسكت بلغاتها، حتى العقيدة الدينية التى كانت الرباط الوحيد الذى جمع بين المستوطنين اليهود، فإنها بدورها عرفت الفرق والخلافات المذهبية .

المستعمرات الزراعية :

ثمة خاصية معينة تجمع بين المستعمرات الزراعية على اختلاف أنواعها، تلك الخاصة التى زاملت ظهور الحركة الصهيونية، والتى تؤكد ضرورة العودة إلى الأرض الزراعية فى فلسطين، لا إلى فلسطين فى حد ذاتها، وأساس ذلك يستند إلى أن العودة على هذا النحو، مؤداها تطهير النفس اليهودية، مما شابها من رجس مادى خلال قرون الانصراف الكلى إلى الخدمات العنائية والصيرفة، فى أرض الشتات، والابتعاد عن النشاط الزراعى. وقد ظهرت هذه الفلسفة مع بداية إنشاء المستعمرات الزراعية فى صورتها الأولى، وهى المستعمرات

(١) غانم (د.محمد حافظ)، المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولى، القاهرة معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٦٥، ص ٤٢.

(٢) Patai, R., Op. Cit., PP. 64 - 65.

المستقلة (١) التى قامت، فقد بلور المؤتمر الصهيوني - فيما يعرف ببرنامج بال - الأهداف الصهيونية، وحدد وسائل تحقيقها على النحو التالي :

« إن غاية الصهيونية، هى خلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يضمنه القانون العام. إن المؤتمر يرى فى الوسائل التالية الطريق إلى تحقيق هذه الغاية :

١ - العمل على استعمار فلسطين، بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين واليهود وفق أسس مناسبة.

٢ - تنظيم اليهودية العالمية، وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية، تتلاءم مع القوانين المتبعة فى كل بلد.

٣ - تقوية الشعور والوعى القومى اليهودى وتغذيته.

٤ - اتخاذ الخطوات التمهيدية، للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية.

وفور ذلك، سارعت الحركة الصهيونية إلى إنشاء المؤسسات اللازمة للاستعمار الاستيطانى فى فلسطين، عن طريق الهجرة، وبناء المستعمرات، نذكر منها البنك الصهيونى، وصندوق الائتمان اليهودى للاستعمار (١٨٩٩) Colonization Commission ولجنة الاستعمار .Jewish colonial Trust Ltd (١٨٩٨) والصندوق القومى اليهودى The Jewish National Fund (١٩٠١) وبدأت هذه المنظمات فى شراء الأراضى فى فلسطين، وتبنت فكرة الاستيلاء على فلسطين (٢) وإنشاء المستعمرات الزراعية بها لتوطين المهاجرين اليهود.

ويرجع ظهور الكيبوتز إلى بداية القرن الحالى، وعلى وجه التحديد إلى عام ١٩٠٩ حين دعت اليه الظروف القاسية التى واجهها المهاجرون اليهود الأوائل الذين وصلوا إلى فلسطين، مفتقدين عنصر رأس المال، واستوطنوا فى مناطق غير مأهولة، ومن ثم كان أكثر أشكال المستعمرات ملاءمة لهذه الظروف، هو الكيبوتز، لأنه أكثر اقتصادا وفعالية بالنسبة للإنتاج

(١) أى المستعمرات الزراعية غير التعاونية (الموشاف) وغير الاشتراكية (الكيبوتز).
(٢) المرجع السابق - ص ١١ - ١٢.

الزراعى(١)، ويمكن أن نضيف أيضاً إلى ذلك، أسباب أخرى أدت إلى وجود نظام الكيبوتز، منها تأثر معظم المستوطنين (القادمين من بولندا وروسيا ورومانيا) بالأفكار الاشتراكية والثورية، التى كانت موجودة فى تلك الحقبة لدى سكان أوروبا الشرقية، وقد لعب هذا دورا فى تعزيز فكرة إنشاء مستوطنات جماعية. أيضاً ثمة عامل آخر له أهمية، يتمثل فى عدم قدرة المنظمة الصهيونية على دعم الاستعمار الفردى على النحو الذى تم بالنسبة لمشروع روتشيلد(٢).

وأنشىء أول كيبوتز فى عام ١٩١٠ باسم «داجانيا»، وقد تأسس من مزارعين يهود يعملون على أرض تعود ملكيتها للجماعة، وقد كان للكيبوتز قبل قيام إسرائيل، تأثير مهم على التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى، والعسكرى للأقلية اليهودية فى فلسطين، حيث حصلت المجموعة التى أسست أول كيبوتز، على قطعة أرض ووزعت العمل على أعضائها، وكانت هذه أول مرة يعهد فيها إلى مجموعة من العمال اليهود، تنظيم مزرعة بشكل جماعى مستقل، وأظهر نجاح هذه المستعمرة، أن العمال يستطيعون القيام وبنجاح بمشروعات زراعية، بالاعتماد على قدرتهم الذاتية، دون الرجوع إلى مديرين، أو متعهدين من الخارج(٣).

ويتألف الكيبوتز من مجموعة أفراد، تضم بضع مئات من الأعضاء، بتأسيسها مؤسسة «البيكا» تحت رعاية وتمويل البارون «إدمون دى روتشيلد»، واستمرت أيضاً بعد ذلك مع إنشاء الشكلين الآخرين من المستعمرات الزراعية، وهما الموشاف، والكيبوتز. ولكل من هذه الصور الثلاث للمستعمرات الزراعية فلسفتها الاجتماعية، ومبادئها الاقتصادية الخاصة بها.

(أ) المستعمرات المستقلة:

وهى الصورة الأولى للمستعمرات الزراعية، إذ بدىء فى إنشاء عديد منها فى أواخر القرن التاسع عشر، وتقوم على أساس الملكية الفردية، على اعتبار أنها تخلق المزيد من حب الأرض

(١) تيكيتينا (جالينا)، مرجع سابق ـ ص ٢١١.

(٢) عنز (موسى حنا) الكيبوتز من الداخل، دراسة سياسية وإدارية، بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٠ ـ ص ١٥.

(٣) المرجع السابق ـ ص ١٣.

والتعلق بها، وتؤدى بالمستوطنين إلى بذل الكثير من الجهد، لأن وراءها يقف الحافز الفردى(١).

(ب) المستعمرات الجماعية (الكيبوتزات):

واجهت تجربة المستعمرات المستقلة، الكثير من الصعاب التى لم يستطع المهاجر الفرد مواجهتها، خاصة مع افتقاد الخبرة الزراعية، ومن ثم انطلقت الحركة الصهيونية إلى بعد آخر، هو شراء الأرض أو الاستيلاء عليها « لصالح الأمة اليهودية». وتشجيع الاستثمار التعاونى للأرض، للتغلب على المشاكل الناجمة عن فقدان المهاجرين للخبرة الزراعية، وبالتالى بدأ استثمار المهاجرين للأرض يأخذ شكل التأجير الذى يفترض قيام المهاجرين بالعمل على شكل جماعى(٢)، حيث بدأ يظهر مع بداية القرن العشرين، شكل جديد من الزراعة الجماعية، عرف باسم المستعمرات الزراعية الجماعية (الكيبوتز).

ويرتبط نشوء الكيبوتز بالعقيدة الصهيونية، من حيث الأهداف، والأفكار وبالمؤتمر الصهيونى الأول ١٨٨٧ من الناحيتين التاريخية والتنظيمية، فالفرد لا يواجه بطالة مادام فى الكيبوتز، بالإضافة إلى أنه لن يواجه هو وأسرته مصاعب شخصية على الصعيد الاقتصادى، كما أنه يؤمن حياته عندما يكبر.

ويعتبر رأس المال عنصر الإنتاج الثالث فى اقتصاديات الكيبوتز، وهو العنصر الثابت والعامل المحدد والمعوق لنموها فى الوقت نفسه،حيث بدأت حركة إنشاء الكيبوتزات دون رأس مال خاص به. وقد وفرت الوكالة اليهودية رأس المال الأساسى من الأموال التى جمعتها من يهود الشتات، وحتى عام ١٩٣٠ كانت جميع نفقات دائرة الاستيطان فى الوكالة اليهودية بمثابة منح، وفى عام ١٩٣٠ بدأت الوكالة اليهودية فى تقديم قروض تسدد بعد ٥٠ عاما بفائدة ٢٪، وفى أواسط الثلاثينات، نصت العقود على إعطاء قروض تسدد بعد ٢٥ سنة بفائدة ٤٪.

(١) صايغ (د. يوسف عبدالله)، مرجع سابق، ص ٤٠، ٤١.

(٢) كيالى (عبدالوهاب) الكيبوتز أو المزارع الجماعية فى إسرائيل، بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٦ - ص ٢٣، ٢٤.

المستعمرات التعاونية (الموشاف):

يعود تاريخ الموشاف إلى عام ١٩٠٨ عندما أسس صغار العمال قرى صغيرة إلى جوار المزارع الكبيرة، وقد تأسست أول قرية فى عين غانم قرب بتاح ـ تكفا. وكان الهدف من إتاحة فرصة لصغار الملاك الذين يزرعون قطعة صغيرة فى القرية، للعمل فى القرى الكبيرة، لكسب عيشهم بطريقة أفضل. ولكن العمال تصرفوا تصرفات استغلالية، إذ راحوا يؤجرون أرضهم ليتفرغوا لأعمال أخرى تدر عليهم أرباحا أكثر، ولاجتناب هذه الأخطاء، وتصحيح الأوضاع، صدر سنة ١٩١٩ منشور صغير لاليعازر يافى Eilezer Yafee يحدد الأسس التى يرتكز عليها الموشاف. ويعتبر هذا المنشور أول وثيقة لتنظيم الموشاف، وبعد ذلك بعامين، أى فى عام ١٩٢١، تأسس أول موشاف يرتكز على هذه الأسس فى مرج بن عامر، باسم ناحالال قرب طريق حيفا ـ الناصرة.

وقد لعب الكتيب المشار اليه دوراً مهمًا فى تحديد مبادىء الموشاف على النحو التالى:

١ ـ المزرعة الخاصة: يكون لكل عضو مزرعته الخاصة، يزرعها على مسئوليته الخاصة، وعليها يعتمد فى تأمين معيشته.

٢ ـ العمل الذاتى: على العضو أن يقوم بكل العمل المطلوب فى مزرعته بنفسه، دون مساعدة أحد من العمال المستأجرين.

٣ ـ لا ملكية للأرض: يكون للمستوطن حق استعمال الأرض وليس حق تملكها، إذ ستبقى الأرض ملكا للصندوق القومى اليهودى المرتبط بالمنظمة الصهيونية العالمية.

٤ ـ التنظيم التعاونى: تنظيم عمليات تسويق منتجات المستوطنين، وعمليات شراء احتياجاتهم على أساس تعاونى إجبارى لكل الأعضاء.

٥ ـ المساعدة المتبادلة: على كل مستعمرة أن توفر ترتيبات شاملة للمساعدة المتبادلة لدعم الأعضاء المحتاجين فى حالة وقوع كارثة، أو إفلاس اقتصادى، على أن تشمل المساعدة مساعدة فى العمل والطعام والمال. كما يجب أن تتخذ المستعمرة، الخطوات اللازمة لتأمين المزرعة من احتمالات الخسارة الاقتصادية.

وبعد أن تأسس الموشاف الأول في سبتمبر عام ١٩٢١، تأسس الموشاف الثاني في ديسمبر من العام نفسه، في قلب السهل الشرقي، وهو موشاف تيفون ثم تبع ذلك عدد كبير من المستعمرات التعاونية، وقد زاد الإقبال عليها (١)، كما يتضح ذلك من الجدول رقم (٣٣) الذي يبين تطور عدد المستعمرات التعاونية (الموشاف) وعدد سكانها بين عامي ١٩٢٢، ١٩٤٨.

تطور حركة الموشاف، عدداً وسكاناً بين عامي ١٩٢٢، ١٩٤٨(٢)

السنة	عدد الموشاف	عدد السكان	السنة	عدد الموشاف	عدد السكان
١٩٢٢	١١	١٤١٠	١٩٣٦	٧١	١٥٧٤٠
١٩٢٣	٦	٧٨٦	١٩٤١	٩٤	١١٨٤٢
١٩٢٥	١٥	٢٦٠٦	١٩٤٢	-	١١٩٧٨
١٩٣٠	١٦	٢٦٤٤	١٩٤٥	٩٨	٣١٢٠٠
١٩٣١	٣٠	٥٧٥٠	١٩٣٨	١٠٤	٣٠١٤٣

واتخذت الزراعة في الموشاف صورة مكثفة، وعلى مساحات كبيرة من الأرض، ولذلك ظهر فيها استخدام عمال زراعيين بأجر ومع مرور الوقت، اكتسبت المستعمرات التعاونية ميزة خاصة بها، بسبب الظروف الاقتصادية والجغرافية المحيطة بها، حيث أقيمت الموشاف قرب المدن الكبرى، والطرق، والموانى الرئيسية، ومصادر المياه الوفيرة، وقد أدت هذه الظروف، بالإضافة إلى ضرورة منافسة الزراعة العربية، إلى تكثيف الزراعة في المستعمرات التعاونية، والتخصص في بعض المزروعات كالعنب والحمضيات والفاكهة. وقد نتج عن هذا الوضع، توسع في المستعمرات التعاونية، وزيادة استثمار رأس المال فيها، واستخدام عدد أكبر من العمال، مما أسهم في استيعاب عدد أكبر من المهاجرين الجدد (٣).

وتقام قرى الموشاف على أرض يملكها « الصندوق اليهودى »، وتوزع على كل عضو بالتساوى كما ونوعا، ولا يحق لأى عضو زيادة قطعته، أو استئجار، أو زرع قطعة أرض

(١) العابد (إبراهيم) ـ الموشاف ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الموشاف راجع المصدر السابق ص ٤٧ ومابعدها.

مخصصة لعضو آخر. كما أن حصة الفرد في المزرعة، لا يمكن أن تقسم بين أفراد الأسرة في حالة وفاة رب الأسرة. إذ لا يجوز أن يرثها إلا شخص واحد تختاره الأسرة. وفي حالة عدم مقدرة الأسرة على ذلك، يتم اختياره من قبل الهيئات المنتخبة في الموشاف. ولتجنب سوء استعمال الأرض، يبرم تعاقد إيجار بين الموشاف والصندوق القومي اليهودى لمدة ٤٩ سنة، ومن ثم يقوم الموشاف بتسليم الأرض إلى المزراعين الأفراد(١).

نظرة تقييمية للمستعمرات الزراعية :

تعتبر المستعمرات الزراعية، بأنواعها المختلفة، مظهراً بارزاً من مظاهر العمل الصهيوني نحو استيطان فلسطين، ويرجع ذلك إلى :

١ ـ أن سعى الحركة الصهيونية نحو إقامة وطن يهودى في فلسطين، يعنى ضمنيا السعى لامتلاك الأرض، وإقامة المستعمرات فيها. ولذلك فقد عملت الحركة الصهيونية على خلق ارتباط بين اليهود والأرض، عن طريق إقامة المستعمرات الجماعية والتعاونية، لتشجيع اليهود على الزراعة؛ إذ كانوا يقتصرون ـ مهنيا ـ على مزاولة التجارة والحرف والصيرفة.

٢ ـ أن معظم المهاجرين اليهود إلى فلسطين، كانوا يفتقدون عنصر رأس المال، أو المعدات والأدوات التي تمكنهم من بدء حياة مستقلة، فضلا عن شعورهم بالعزلة وسط محيط غرباء عنه وأقلية فيه. ولذلك كان المخرج الوحيد أمام المهاجر اليهودى، هو الاستجابة للبرنامج الصهيوني في دعوته إلى الكيبوتز، أمام الموشاف.

٣ ـ أن نوعية المهاجرين قبل ١٩٤٨، كانت أحد الأسباب التي أدت إلى قيام المستعمرات الزراعية، إذ إن معظمهم من المثقفين عديمي الخبرة الزراعية، ولم يمارسوا من قبل أى أعمال زراعية.

وتؤلف مع بيوت السكن والأرض والتجهيزات الملحقة بها، مزرعة جماعية وقرية واحدة، وتتسم بتقسيم العمل بين أعضائها، وتوفير السلع الاستهلاكية لهم، والمساواة التامة بينهم، والتخلى كليا عن الملكية الفردية، ويحظر مبدئيا على أعضاء الكيبوتز استخدام اليد العاملة الخارجية (٢).

(١) المرجع السابق ـ ص ٧١ ، ٧٢.

(٢) أبورجيلى، (خليل)، مرجع سابق، الزراعة اليهودية في فلسطين، ص ٥٥ ـ ٥٧.

وقد ساعد إنشاء الكيبوتزات على استيعاب ودمج عدد من المهاجرين فى نوع جديد من الحياة، حيث يمكن تدريبهم على الزراعة، والجدول التالى رقم (٣٢) يوضح إنشاء الكيبوتزات، وسكانها فى فلسطين بين عامى ١٩٣٠، ١٩٤٨ (١).

تطور إنشاء الكيبوتزات وسكانها من اليهود فى فلسطين بين عامى ١٩٣٠، ١٩٤٨

السنة	السكان اليهود	سكان الكيبوتز	٪	السنة	السكان اليهود	سكان الكيبوتز	٪
١٩٣٠	١٧٥٠٠٠	٤٥٠٦	٢,٦	١٩٤١	٥٠٤٦٠٠	٢٦٠٠٠	٥,١
١٩٣٤	٣٠٧٠٠٠	٧٥٢١	٣,٣	١٩٤٢	٥١٧٢٠٠	٢٦٠٠٠	٥,٠
١٩٣٥	٣٧٥٠٠٠	١٢٥٠٠	٣,٩	١٩٤٣	٥٣٩٠٠٠	٣١٠٠٠	٥,٨
١٩٣٦	٤٠٤٤٠٠	١٥٥٠٠	٤,٠	١٩٤٤	٥٦٥٠٠٠	٣٥٣٠٠	٦,٣
١٩٣٧	٤١٧٢٠٠	١٦٥٠٠	٤,٢	١٩٤٥	٥٩٢٠٠٠	٣٧٤٠٠	٦,٣
١٩٣٨	٤٣٦٧٠٠	١٨٢٠٠	٤,٨	١٩٤٦	٦٢٥٠٠٠	٤٣٥٩٥	٧,٨
١٩٣٩	٤٧٤٦٠٠	٢٢٦٠٠	٥,٢	١٩٤٧	٦٤٩٠٠٠	٤٧٤٠٨	٧,٣
١٩٤٠	٤٩٢٤٠٠	٢٥٩٠٠	٥,١	١٩٤٨	٧٥٨٧٠٠	٥٤٢٢١	٧,١

ويتضح من الجدول السابق تزايد سكان الكيبوتز مع تزايد أعداد السكان اليهود فى فلسطين من ٤٥٠٦ أفراد عام ١٩٣٠ إلى ٥٤ ألف عام ١٩٤٨ . ومع ذلك فقد أخذت نسبة سكان الكيبوتز إلى السكان اليهود

٤ ـ محاولة الحركة الصهيونية تغيير طبيعة اليهودى التى تميل إلى الأعمال المالية والتجارية، ولاتميل إلى العمل الزراعى، وقد أمكن لها هذا بإيجاد التحام كامل بين اليهودى والأرض، عبر المستعمرات الزراعية (٢).

وقد تركزت المستعمرات الزراعية اليهودية فى أخصب مناطق فلسطين، وهى السهل الساحلى والجليل. ويشير الإحصاء السنوى الرسمى إلى أنه فى عام ١٨٨٢ كان لليهود ٦

(١) عنز (موسى حنا)، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٨ ـ ص ١٢.

مستعمرات زراعية، خمس منها في منطقة السهل الساحلي، وواحدة في الجليل. وفي عام ١٨٩٠، ارتفع عدد المستعمرات إلى ١٣ مستعمرة، عشر منها في السهل الساحلي و٣ في الجليل. وفي عام ١٩٣٩ بلغ عدد المستعمرات ٢٥٢ مستعمرة، منها ١٨٦ في السهل الساحلي و٣٠ في مرج بن عامر و٢٦ في الخليل. ويشير الجدول التالي رقم (٣٤) إلى التوزيع الجغرافي للمستعمرات الزراعية اليهودية بين عامي ١٨٨٢، ١٩٣٩ (١).

التوزيع الجغرافي للمستعمرات اليهودية بين عامي ١٩٨٢ ـ ١٩٣٩

المنطقة	١٨٨٢	١٨٩٠	١٩٠٠	١٩١٤	١٩٢٢	١٩٢٧	١٩٣١	١٩٣٦	١٩٣٩
السهل الساحلي	٥	١٠	١٢	٢٤	٣٩	٧٢	٨٨	١٦٣	١٨٦
مرج بن عامر وغور الأردن	-	-	١	٦	١٥	١٧	١٦	١٨	٣٠
الجليل الأعلى والجليل الأسفل	١	٣	٧	١٢	١٧	١٥	١٤	١٣	٢٦
المرتفعات الجبلية	-	-	٢	٢	٤	٦	٦	٩	١٠
المجموع	٦	١٣	٢٢	٤٤	٧٥	١١٠	١٢٤	٢٠٣	٢٥٢

(١) العامرى (عنان)، مرجع سابق، ص ٢٢، ص ٣٢.

الهجرة اليهودية الى فلسطين والهجرة اليهودية العالمية

الصهيونية حركة عنصرية استعمارية، أسبغت على اليهودية صفة القومية، وزعمت أن « الشعب اليهودى » يكون عرقا نقيا، ونادت بحل رجعى لما أسمته « بالمشكلة اليهودية» فعارضت اندماج اليهود فى أوطانهم الأصلية، ودفعتهم إلى الهجرة إلى فلسطين، زاعمة أن لهم فيها حقوقا تاريخية ودينية، وتلاقت مطامع الصهيونية بأهداف الاستعمار، فى إقامة دولة يهودية فى فلسطين، عن طريق إرهاب وطرد شعبها .

والهجرة اليهودية إلى فلسطين، هى هدف الصهيونية الأساسى، ووسيلتها فى قيام إسرائيل . وحول موضوع الهجرة يدور تاريخ الصهيونية الحديثة، وأنشطتها، ومنظماتها، والأهداف التى تسعى إليها .

وتمثل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، جزءا صغيراً من الهجرة اليهودية العالمية . ففى الفترة من عام ١٨٤٠ إلى ١٩٤٢ ، ترك ٩١٧,٠٠٠ يهودى أوطانهم الأصلية فى شرق أوروبا ووسطها، وهاجروا إلى الغرب، وخاصة إلى العالم الجديد، بينما لم يهاجر إلى فلسطين إلا ٣٧٩ ألفاً فقط، أى بنسبة ٩,٧٪ من إجمالى الهجرة اليهودية العالمية.

ويلاحظ عند مقارنة الهجرة إلى فلسطين، بالهجرة اليهودية العالمية :

١ ـ من بداية موجات الهجرة المنظمة فى عام ١٨٨٢ ، وحتى قيام إسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، تضاعفت الأقلية اليهودية فى فلسطين ٢٢ ضعفاً، بوفود أكثر من نصف مليون مهاجر جديد.

٢ ـ كان المتوسط السنوى للهجرة حوالى ١٤٠٠ مهاجر فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩١٨ ، وارتفعت أعداد المهاجرين إلى ٤٨٧ ألفاً من بداية الاحتلال البريطانى لفلسطين وحتى قيام إسرائيل، أى بمتوسط سنوى ١٦,٢٠٠ مهاجر .

وفى هذا دليل على الدور الكبير الذى قام به الاستعمار البريطانى فى تدعيم الاستيطان الاستعمارى الصهيونى فى فلسطين .

٣ ـ يظهر من الجدول رقم (٨) أن الهجرة إلى فلسطين بلغت ٤,٥٪ من الهجرة اليهودية العالمية من ١٨٤٠ إلى ١٨٨٠ ، ثم انخفضت إلى ٣,٣٪ من عام ١٨٨١ إلى ١٩٠٠ رغم ظهور جمعيات شجعت الهجرة ، ونظمتها ، ولاقت المساندة المالية من أثرياء اليهود ، ثم انخفضت النسبة إلى ١,٩٪ فقط فى الفترة من ١٩٠١ إلى ١٩٠٤ ، وكانت الصهيونية السياسية قد تحددت معالمها ، وسارت خطوات واسعة فى تدعيم منظماتها ، وأنشطتها ، التى شجعت الهجرة إلى فلسطين .

وهذا دليل على أن الهجرة إلى فلسطين ، لم تكن تلاقى قبول اليهود ، ويؤكد فى الوقت نفسه ، فشل الحركة الصهيونية فى جذب المهاجرين إلى فلسطين .

٤ ـ كان لصدور وعد « بلفور » وفرض الانتداب البريطانى على فلسطين ، أثر كبير فى زيادة الهجرة اليهودية ، فقد نص ذلك الوعد ، على إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، كما أن حكومة الانتداب ، قد تعهدت بتسهيل الاستيطان والاستعمار لليهوديين ، ورغم رفض واحتجاج الشعب العربى الفلسطينى ، وثوراته العنيفة التى عبر فيها عن رفضه المطلق للهجرة اليهودية وطالب باستقلاله وحريته ، ولكن إرادته قد جوبهت بالقهر أو بالتحايل ، واستمرت الهجرة اليهودية تنفيذاً للتلاقى بين مؤامرات الصهيونية ، ومطامع الاستعمار فى فلسطين .

٥ ـ كان لظروف خارجية ، بعيدة كل البعد عن واقع المجتمع الفلسطينى وإرادة شعبه ، أثرها فى زيادة الهجرة إلى فلسطين :

(أ) الاضطهاد الذى لاقاه اليهود فى شرق أوروبا ، وخاصة فى الإمبراطورية القيصرية الروسية ، نتج عنه بداية موجات الهجرة المنظمة إلى فلسطين .

(ب) أثر ظهور الحركة الصهيونية فى دفع أعداد من المهاجرين إلى فلسطين . وأيا كانت بواعث هذه الحركة ، ومبرراتها ، وأهدافها ، فإنها ظهرت فى أوروبا ، لحل مشكلة أوروبية ، وليس لها ارتباط بفلسطين .

(ج) أثرت القيود التى فرضتها بعض الدول على الهجرة اليهودية إليها، فى زيادة أعداد المهاجرين إلى فلسطين:

١ ـ« قانون هجرة الأجانب » الذى صدر فى بريطانيا عام ١٩٠٥ ، والذى حد من الهجرة اليهودية إليها (١) .

٢ ـ بعد الحرب العالمية الأولى، بدأت بعض الدول الأوربية تضع القيود على الهجرة اليهودية، وحذت الولايات المتحدة حذوها فى تحديد الهجرة .

فبعد أن كان عدد اليهود الذين هاجروا اليها ١٢٠ ألفا فى عام ١٩٢٠ ، انخفض عددهم إلى ٦٠ ألفا فى عام ١٩٢٢ ، نتيجة للقانون الذى صدر فى العام السابق له، والذى بمقتضاه حددت الهجرة بما لا يتعدى ٣٪ من عدد الأجانب التابعين لمختلف الجنسيات والمقيمين فى الولايات المتحدة، على أساس تعداد عام ١٩١٠ ، ثم صدر قانون آخر فى عام ١٩٢٤ خفض معدل الهجرة إلى ٢٪ حسب تعداد ١٨٩٠ (٢)، وكان أولى نتائج هذا القرن، تحول ٤٠ ألف من المهاجرين البولنديين إلى فلسطين، بعد أن أغلقت فى وجوههم باب الهجرة إلى الولايات المتحدة (٣) .

(د) ظهور النازية فى ألمانيا الذى أدى إلى هجرة موجة كبيرة من اليهود الألمان إلى فلسطين.

(هـ) شهدت العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن، ضيقاً اقتصاديا كانت له آثار كبيرة على الجماعات اليهودية، خاصة فى وسط أوروبا، وتسبب فى هجرة مهمة، إلى فلسطين تركزت بين يهود بولندا .

(و) تسببت الحرب العالمية الثانية فى ظهور مشكلة اليهود الذين غيروا أوطانهم فى أوروبا Displaced Persons . وقد استغلت الصهيونية محنتهم، والعطف العالمى عليهم، ونجحت فى دفع أعداد كبيرة منهم إلى فلسطين .

(١) Sitton, S., Israel : Immigration et Croissance, (Paris : Centre National de la Recherche Scientifique, 1963) , P. 34.

(٢) عبد العزيز (مصطفى)، الأقلية اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية، بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨، ص ٢٧

(٣) Cail- Feiwel, T.R., L'Anglais, Le Juif et l'Arabe en Palestine, Traduit de l'anglais Par lé, P. (Paris : Les Editions de France, 1939), PP. 127, 128.

٦ ـ تمت موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين، إما عن طريق التسلل، وإما في ظل لوائح وقوانين غير شرعية من وجهة النظر القانونية . فقد أصدرت الدولة العثمانية قانونا في عام ١٨٨٢ أعتبر بمقتضاه دخول اليهود إلى فلسطين أمراً غير قانوني(١)، وأصدر الباب العالي كذلك في عام ١٨٨٨ قانونا بمنع الهجرة على نطاق واسع إلى الدولة العثمانية، ولم يسمح لليهود ـ من خارج تلك الدولة ـ دخول فلسطين إلا لمدة ثلاثة أشهر للحج فقط(٢). ولكن الصهيونية لجأت إلى رشوة موظفي الدولة العثمانية، وتحايلت بطرق غير مشروعة لتهجير اليهود إلى فلسطين (٣).

وهكذا فلا تستند الهجرة إلى فلسطين إلى سند قانوني إبان الحكم العثماني .

أما عن الهجرة أثناء الانتداب البريطاني، فقد تمت في ظل لوائح وقوانين استمدت أساسها من وعد « بلفور »، وهو وعد باطل من وجهة نظر القانون الدولي، وشاب صدور هذه القوانين، ما ينفي عنها الصفة الشرعية، فقد لاقت رفض العرب وغالبية شعب فلسطين، واعترفت لجان التحقيق البريطانية المختلفة بأن تزايد الهجرة اليهودية، من أهم عوامل الاضطرابات في فلسطين، كما أن لجنة الانتدابات التابعة لعصبة الأمم، أدانت لوائح وقوانين حكومة الانتداب ـ أكثر من مرة ـ بسبب ما خلقته الهجرة اليهودية من أزمات اقتصادية وسياسية في البلاد .

أما عن الهجرة « السرية »، وتسلل اليهود إلى فلسطين، فقد أدانتها حكومة الانتداب نفسها، واعتبرتها « غير شرعية » وحاولت بتراخ الحد منها . وفيما يلي نعرض تحليلا لموجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، كما سبق القول في الفصول السابقة .

(١) Yale, W., The Near East, (Michigan : Ann Arbor, 1958), p. 149.

(٢) Taylor, Alan, R., Prelude To Israel : An Analysis of Zionist Diplomacy 1897-1947, (New York : Philosophical Library, 1959),p.30

(٣) Yale, W., op. cit., P. 149.

موجات الهجرة (*)

بعض أتباع جمعية بيلو (*) وغلب عليها الانتماء إلى الطبقات الوسطى فى روسيا، وبولندا، ورومانيا (١)، وهاجر فى هذه الموجة كذلك أعضاء من جمعية « محبى صهيون » بعد موجة اضطهاد عام ١٨٨١ (٢) فى روسيا القيصرية .

ولموجة الهجرة الأولى أهمية خاصة، فهى تعد أساس الاستيطان الاستعمارى الصهيونى فى فلسطين، واختلفت عن الجماعات اليهودية السابقة فى عدة أمور :

(أ) من الناحية الانثيولوجية، كانت أغلبية الجماعات اليهودية من اليهود الشرقيين، ولكن مهاجرى الموجة الأولى كانوا من اليهود الأوروبيين الذى أرسوا غلبة العنصر الأوروبى على يهود فلسطين .

(ب) ارتفعت نسبة كبار السن فى الجماعات اليهودية، وغلب عليها الطابع الدينى، ولكن المهاجرين الجدد كانوا من الشباب، وتأثروا بالأفكار الاشتراكية، والآمال القومية .

« ريشون لزيون » (الأولون إلى صهيون)، و« نسى زيونا » (صهيون الجديدة)، و« زخرون يعقوب » (زمارين)، و« جديراه » (قطرة). ولكن اكتفى المهاجرون بالإشراف على العمل، واستأجروا العمال العرب للعمل فى الزراعة، كما اعتمدت هذه المستعمرات على المعونة المالية التى قدمها المليونير اليهودى « إدموند دى روتشلد » ثم استفادت بعد ذلك من المساعدات التى قدمتها « الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين » أو « البيكا » Palestine Jewish Colonization Association.

(*) أطلق لفظ عليا بمعنى صعود أو حج، على كل موجة من موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

فقد بنى «روتشلد» المنازل لسكان المستعمرات الجديدة، وموّل زراعتها، وتعهد بشراء محاصيلها، وعين موجهين وفنيين زراعيين للعمل بها. ورغم جهود «روتشلد»، ومساندة المؤسسات الصهيونية واليهودية بعد ذلك، فإنه طوال الفترة التى استغرقتها هذه الموجة، لم يقبل على الزراعة إلا ألف أسرة فقط، كلفت ما يزيد عن مليونين من الجنيهات الاسترلينية (١).

ورغم النقد العنيف الذى وجه إلى مستعمرات الموجة الأولى، وخاصة من «بن جوريون» فإن الاستيطان الاستعمارى الصهيونى، كان قد تمكن عند مطلع القرن العشرين من إقامة ٢٢ مستعمرة، تبلغ مساحتها ٢٢٠ ألف دونم (٢).

وإضافة إلى ذلك فقد ظهرت عشرات المستعمرات الأصغر حجماً، وكان بينها مستعمرة «بن يهودا» على مساحة ٣٥٠ فدانا، وكان موقعها فى شرق الأردن. أى أن خطة الاستيطان اليهودى كانت تشمل الأردن غربا وشرقا (٣).

سنة ١٨٩١ أنشأ البارون «دى هيرش» (مالى يهودى آخر) بالتعاون مع البارون «روتشيلد» مؤسسة للمشروعات الزراعية برأسمال قدره ٢ مليون جنيه إسترلينى، وشارك فى المشروع مالى يهودى ثالث هو السير «أرنست كاسل» الذى أبدى اهتماما ملحوظا بالمشروعات الزراعية فى مصر ذاتها، وأنشا شركة «وادى كوم أمبو» التى تملكت مساحات شاسعة من الأراضى قرب مدينة «كوم أمبو» فى صعيد مصر.

ومن الظاهر أن تسلسل الوقائع كان أكثر تماسكا من أن ينسب للمصادفات.

وكان ذلك هو المسرح الذى ظهر عليه رجل قدر له أن يلعب دورا كبيرا فى الحركة الصهيونية: «ثيودور هيرتزل» وهو صحفى مولود فى فيينا نال قدرا من الشهرة واتصل

(١) Sitton, s., Op Cit., PP. 37, 38.

وللمزيد من التفصيلات عن المساعدات المالية التى قدمت إلى هذه المستعمرات وفشلها اقتصاديا، راجع: Ben-Gurion, David, Rebirth and Destiny of Israel, (NewYork : Philosophical Library, 1964), PP. 55 - 56.

(٢) العامرى (عنان)، التطور الزراعى والصناعى الفلسطينى ١٩٠٠ - ١٩٧٠، بيروت مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٤، ص ٢٠

(٣) المصدر السابق: الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية محمد حسنين هيكل.

بالمسألة اليهودية عن طريق جمعيات ومنظمات فكرية وثقافية تعنى بالمسألة اليهودية، وتعمل من منظور إنسانى فى الظاهر لتسهيل هجرة أعداد من يهود الشرق إلى فلسطين.

ولم يكن « هيرتزل » وحيدا في ميدانه، فقد سبقه وأحاط به جمع لا يستهان به من المفكرين والدعاة اليهود الذين رأوا الفكرة مثله، وإن لم يقدروا على تحديدها والتبشير بها صراحة وعلنا.

والشعوب الأوروبية كلها تشعر أن اليهود غرباء عندهم، وسيظل اليهود دائما غرباء بين الأمم.

سكان فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى

وفى عام ١٩٤٤ قدرت الحكومة البريطانية (حكومة فلسطين) مجموع السكان بحوالى ١,١٧٩,٠٠٠، عربى، ٥٥٤٠٠٠ يهودى، ٣٢,٠٠٠ فئات أخرى. وفى عام ١٩٤٦ وصل عدد سكان فلسطين إلى ١,٨٨٧,٢١٤ نسمة منهم نحو ٥٨٣,٣٢٧ يهوديا، أى إنهم أصبحوا يشكلون نحو ٣١٪ من سكان البلاد (١).

وأجرت حكومة الإنتداب البريطانى فى ٣١ مارس ١٩٤٧ آخر تقدير رسمى لسكان فلسطين فكان نحو ١,٩٠٨,٧٧٥ نسمة موزعين على النحو التالى:

عدد المسلمين	١,١٥٧,٤٢٣	نسمة أى أنهم شكلوا	٦٠,٦٪	من جملة السكان
عدد اليهود	٠,٥٨٩,٣٤١	نسمة أى أنهم شكلوا	٣٠,٨٪	من جملة السكان
عدد المسيحيين	١٤٦,١٦٢	نسمة أى أنهم شكلوا	٧,٦٪	من جملة السكان

وفى عام ١٩٤٨ قدر عدد سكان فلسطين بحوالى ٢,٠٦٥,٠٠٠ نسمة، منهم ١,٤١٥,٠٠٠ عربى ٦٥٠٠٠٠ يهودى (٢).

ويتضح من ذلك أن نسبة اليهود من مجموع السكان قد ارتفعت من ٨٪ عام ١٩١٨ إلى حوالى ١١٪ عام ١٩٢٢ إلى ١٩٢٢ إلى ١٧٪ عام ١٩٣١، إلى ٣١٪ عام ١٩٤٤، ومنتصف

(١) محمد الفراء. « تهويد فلسطين » بحث مقدم للمؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول، ص ٩.

(٢) الأرض الفلسطينية بين الشرعية والإغتصاب، ص ٣٩.

مايو ١٩٤٨ أيضا بلغت النسبة ٣١٪ من عدد السكان (١).

هذا التقدم السريع فى زيادة حجم الطائفة اليهودية، شيء ـ مروع للغاية، ومما يزيده غرابة أن المعدل للزيادة الطبيعية بين العرب الفلسطينين كانت حوالى ٥٠٪ أعلى منها بين اليهود الفلسطينين (أى ٣,٢٪ للعرب و٢,٢٪ لليهود) والسبب فى هذا الارتفاع فى نسبة تعداد اليهود من مجموع السكان هو حجم الهجرة اليهودية الواسعة، التى سمحت بريطانيا بدخول موجاتها إلى فلسطين (٢).

يوضح الجدول التالى عدد المهاجرين اليهود من بداية الإدارة المدنية البريطانية فى فلسطين (٣).

السنة	عدد المهاجرين اليهود	السنة	عدد المهاجرين اليهود	السنة	عدد المهاجرين اليهود
١٩٢٠	٥٥١٤	١٩٣٠	٤٩٤٤	١٩٤٠	١٠٤٤٥
١٩٢١	٩١٤٩	١٩٣١	٤٠٧٥	١٩٤١	٥٨٨٦
١٩٢٢	٧٨٤٤	١٩٣٢	٩٥٥٣	١٩٤٢	٣٠٣٨
١٩٢٣	٧٤٢١	١٩٣٣	٣٠٣٢٧	١٩٤٣	٨٥٠٧
١٩٢٤	١٢٨٥٦	١٩٣٤	٤٢٣٥٩	١٩٤٤	١٤٦١٦
١٩٢٥	٣٣٨٠١	١٩٣٥	٦١٨٥٤	١٩٤٥	١١٦١٦
١٩٢٦	١٣٠٨١	١٩٣٦	٢٩٧٢٧	١٩٤٦	٢٧٥٦٩
١٩٢٧	٢٧١٣	١٩٣٧	١٠٥٣٦	١٩٤٧	٨٣٩٨
١٩٢٨	٢١٧٨	١٩٣٨	١٢٨٦٨	١٩٤٨	٢٠٧٥٠
١٩٢٩	٥٢٤٩	١٩٣٩	١٦٤٠٥	مجموع اليهود	٦٥٠٠٠

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق .

(٣) فاضل حسين : التاريخ السياسى تحت الإدارة البريطانية، بغداد ١٩٦٧، ص ١٥ . وانظر كذلك وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، ص ٧١.

والآن المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة

وقد ذكرت إحصائية حديثة أن عدد المستوطنات الإسرائيلية فى اراضى الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس بلغ حتى عام ١٩٩٨ نحو ٢٠٥ مستوطنة، وقد أوضح التقرير الذى أعده المركز القانونى للدفاع عن الأرض بنابلس أن هذه المستوطنات تتوزع على الأرض الفلسطينية كالتالى : (١)

٧٣ مستوطنة فى شمال الضفة الغربية.

٢٨ مستوطنة فى منطقة رام الله.

٢٩ مستوطنة فى منطقة القدس.

٢٧ مستوطنة فى منطقة الخليل.

١٧ مستوطنة فى منطقة بيت لحم.

١٠ مستوطنة فى منطقة أريحا.

٢١ مستوطنة فى منطقة غزة.

هذا فضلاً عن المستوطنات التى اقيمت على الأرض الفلسطينية المحتلة باسم اسرائيل، فقد اندمجت مع المجتمع اليهودى المحتل لهذه الأرض، بناء على القرارت الدولية بإنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨.

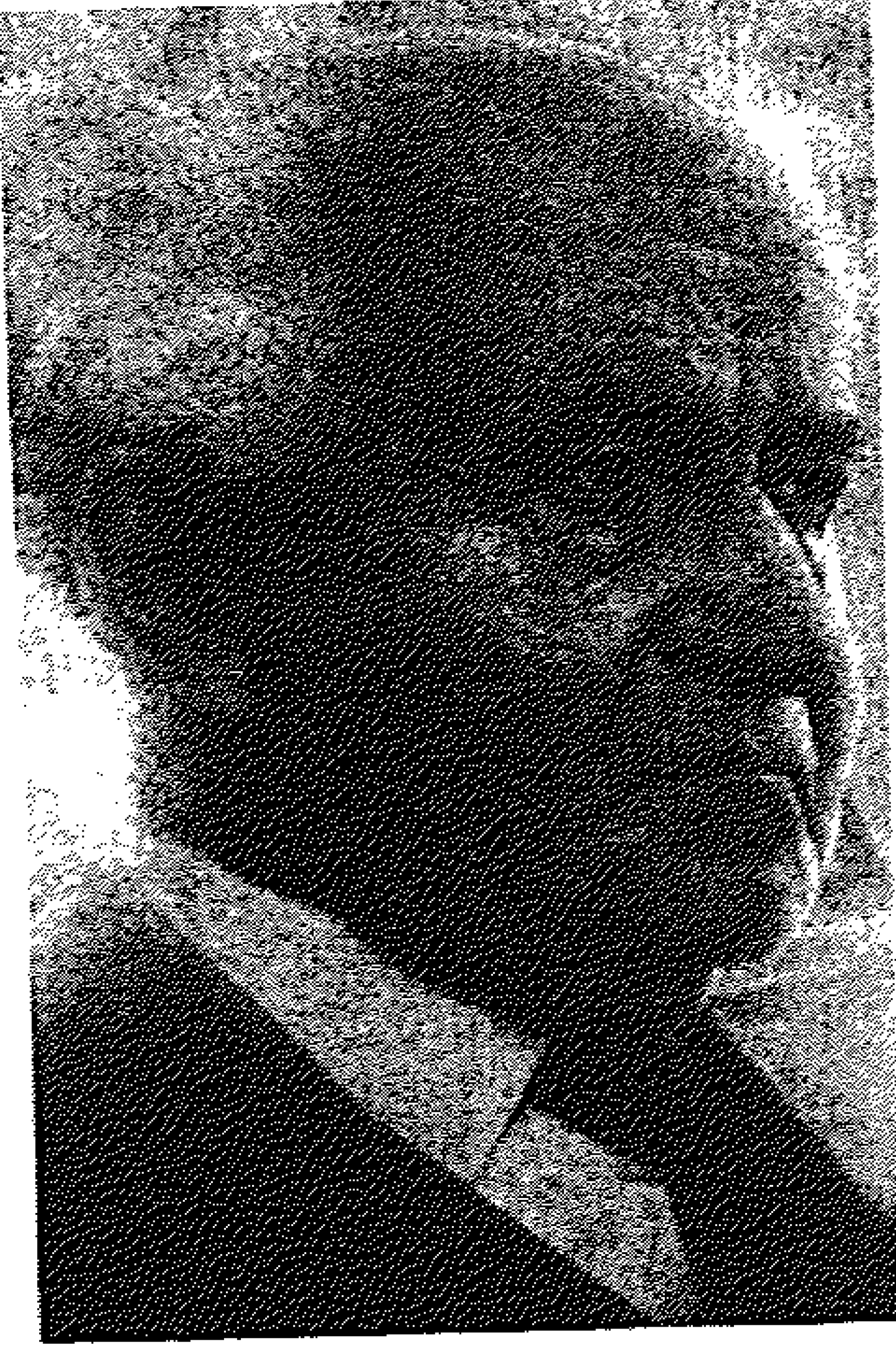
(١) المركز القانونى للقدس.

الفصل الحادى عشر

نماذج من عتاة الإجرام فى الدولة العبرية

نماذج من عتاة الإجرام والإرهاب
فى الدولة العبرية(١)

١ـ دافيد بن جوريون



بن جوريون.. من جامع للقمامة إلى جميع يهود العالم

نبدأ بدافيد بن جوريون وهو من مواليد بولندا فى ١٦ أكتوبر ١٨٨٦ وقد تمكنت الصهيونية منه لدرجة دفعته وهو لايزال فى سن المدرسة الابتدائية لتكوين جمعية لتعليم أسس الصهيونية، ثم يشب الطفل ويسافر فى ١٩٠٤ إلى وارسو وبها يعمل فى تدريس اللغة العبرية والصهيونية كمادة دراسية، ويسعى مع قادة الحركة الصهيونية فى بولندا ويجمعون اليهود فى المؤتمر الأول لعمال صهيون. ثم يقرر بن جوريون أن الوقت قد حان لتهجير يهود بولندا إلى فلسطين التى نادى بها فى المؤتمر لأول مرة باحتلالها وردد دعوته التى يزعم أنها مستمدة من التوراة بأن أرض اليهود لابد أن تكون من النيل إلى الفرات. وبعد هذا يجد بن جوريون أن الوقت قد حان لهجرته هو شخصياً فيسافر متسللاً إلى فلسطين، ويصل إلى شاطىء مدينة يافا العربية الفلسطينية فى ١٦ سبتمبر ١٩٠٥ ثم يذهب للسكن فى حى «بتاح تكفا» ويبدأ فى العمل كحمال على عربات الحمير ثم كزبال فى الشوارع العربية ـ (المعلومات كلها منقولة من الموسوعة التاريخية لدولة إسرائيل صفحة ٥٣ إلى ٥٨) ـ ثم كعامل بناء وجنى محصول.

وهنا وجد بن جوريون نفسه لم يحقق شيئاً مما جاء من أجله، فقرر تكوين جمعية لعمال صهيون لبحث مشاكل العمال اليهود فى فلسطين، وسرعان ماحول أهدافها لتتماشى مع

(١) مجلة روز اليوسف وخمسون عاماً على اغتصاب فلسطين العدد ٣٦٤٧ ـ مصادر دائرة المعارف الإسرائيلية ـ توحيد مجدى.

فكره وفكر الصهيونية العالمية التى تربى في كنفها. وكان اللقاء السياسى الأول لهم فى بلدة الرملة الفلسطينية؛ حيث حدد لهم أهدافاً معينة منها السعى لتكوين مكان محدد لليهود بفلسطين.

وكانت الأهداف مشابهة تماماً لأهداف الصهيونية فى روسيا مما دعاهم لدعوة لموسكو، حيث التحق بها بالجيش فى عام ١٩٠٨، وفى عام ١٩٠٩ عاد لفلسطين، ومع أنه لم يلتحق بحركة الحارس الصغير اليهودية الصهيونية لكنه كان معهم، وكان هو الذى حرض اليهود فى فلسطين عام ١٩٠٩ على الانتقام لقتل العامل اليهودى «ى. كرونجولد» والفلاح اليهودى «ش. ملماد» ومن هنا بدأ اليهود فى الرد بقتل الفلسطينيين، وكانت كلمات بن جوريون لقتل العرب هى أول أوامر صريحة تصدر بعدما ذكر فى نصوص التوارة اليهودية التى دعت فى بعض المواضع والفقرات لقتل الفلسطينيين. وترك بن جوريون عمليات قتل الفلسطينيين مؤقتاً فى عام ١٩١١ ليسافر إلى مدينة سالونيكى باليونان لدراسة القانون، وبها يتعلم اللغة التركية ثم ينتقل إلى الأستانة ويعين سكرتيراً لمجلس الطلاب اليهود، ومن هنا بدأ نجمه فى الصعود وترك العمل فى جمع القمامة أخيراً، وانتخب كعضو عامل فى المنظمة اليهودية العالمية فعاد لفلسطين لاستكمال دعوته لقتل العرب. نشبت الحرب العالمية الأولى وعلمت تركيا بأمره فصدر قرار بنفيه خارج فلسطين على الفور، وتم ترحيله إلى ميناء الإسكندرية فى مصر حيث راح يجمع يهود المدينة من حوله وكان أن شكل بالمدينة أول خلية صهيونية يهودية تعرفها مصر وأفريقيا كلها، وكان هو ذلك الشخص المجهول الذى أقنع يهود مصر بضرورة محاربة تركيا وحث المصريين على هذا لكى تغرق تركيا فى حربها على الجبهة المصرية بينما يكون هو وأعوانه يستولون على فلسطين. ومن هنا جاءت كذلك فكرة تشكيل السرية اليهودية فى الجيش الإنجليزى المحارب ضد تركيا، وجاءت أيضاً فكرة مساندة اليهود لبريطانيا لتثبيت احتلالها فى مصر فى مقابل أن تمنح بريطانيا فلسطين كهدية لليهود.

ثم يسافر بن جوريون إلى أمريكا لأول مرة ويكون الجيش العبرى الأول من العمال فى إطار منظمة عملت تحت اسم منظمة «هاحللوتس» أى منظمة «الرواد» فيما يبدو أنه سعى لتكوين الإطار العام لقادة اليهود فى المستقبل.

فى عام ١٩١٧ كان بن جوريون قد تزوج من باولينا مونباز، وبعدها تطوع للسرية اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأرسل مع السرية مرة ثانية لمدينة الإسكندرية ومنها مع جيوش الحلفاء إلى فلسطين التى طرده منها الأتراك من قبل.

فى فلسطين كون عام ١٩٣٠ ما سمى بحزب المباى (اختصار للاسم العبرى حزب عمال إسرائيل) وأصبح زعيماً للحزب، ثم شارك بهذه الصفة فى مؤتمر المائدة المستديرة، الذى عقد فى لندن فى فبراير عام ١٩٣٩، وفى المؤتمر كان بن جوريون قد اتفق مع الدول الكبرى على إقامة دولة اليهود على أرض فلسطين، وفى يونيو ١٩٤٥ يأمر بن جوريون بشراء أول عربات أمريكية حربية ليستخدمها اليهود فى فلسطين بدعوى حراسة أراضيهم، وفى الوقت نفسه يأمر ببناء أول نواة للمصانع الحربية اليهودية، التى أنتجت البارود والسلاح اليدوى الذى أمر بن جوريون بتجربته على الفلاحين الفلسطينيين، ثم كان أن شكل عصابات مسلحة ومنظمة من اليهود بفلسطين لقتل العرب، فكانت عمليات القتل التى أدت لشهرة بن جوريون؛ فعين فى ١٨ أبريل ١٩٤٨ رئيساً لمجلس الشعب اليهودى وكمسئول عن أمن ودفاع اليهود بفلسطين. وفى ١٤ مايو كان هو أول من أعلن عن قيام الدولة، وعن تنصيب نفسه مؤقتاً لحين الانتخابات الرسمية كرئيس للوزراء وكوزير للدفاع وذلك حتى ديسمبر ١٩٥٣، عندما انسحب من الحكومة وذهب إلى مزرعته فى منطقة سدى بوقر، وراح يعيش كفلاح عادى وفسر يومها انسحابه على أساس أنه أعطى كل ما لديه، ولكن الموسوعة العبرية ذكرت أنه كان يعانى من مرض نفسى أجبره على ترك السياسة، غير أن بن جوريون عاد للحكومة فى نهاية فبراير ١٩٥٥ كوزير للدفاع، وفى بداية نوفمبر ١٩٥٥ انتخب ثانية رئيساً للوزراء، وكان هو صاحب فكرة الهجوم على مصر فى حرب ١٩٥٦ وقد ظل بمنصبه حتى عام ١٩٦٣. وفى التاريخ اليهودى لإسرائيل يبدو بن جوريون بطلاً غير أن التاريخ الإنسانى يذكره إرهابياً قاتلاً محترفاً.. جامعاً للقمامة.. مجرم حرب.. وغيرها من الأوصاف الذى حدثت خلال حكمه لإسرائيل أبشع الجرائم والمذابح ضد العرب سواء فى فلسطين المحتلة أو خارجها..

فى مساء ٩ مارس ١٩٤٨ أى قبل قيام دولة إسرائيل بحوالى شهرين، فوجئت القرية العربية دير ياسين التى تقع على ضواحى القدس المحتلة بالعصابات اليهودية تعمل فيها قتلاً وتمثيلاً وانتهاكاً لحرمات النساء دون أن يعطوا فرصة للدفاع عن أنفسهم.

ثم نأتى لمذبحة قرية ناصر الدين التى وقت فى ١٣ أبريل ١٩٤٨ عندما قام اليهود بالهجوم على القرية بعد مذبحة دير ياسين بأربعة أسابيع، وفتحوا النيران على أهلها فلم يبق منهم سوى أربعين نسمة من النساء والأطفال.

ثم مذبحة بيت الحورى فى ٥ مايو ١٩٤٨ عندما هاجمت قوات بن جوريون عدداً من القرى العربية على ضفاف نهر الأردن وحصد اليهود السكان العرب بالرشاشات.


بن جوريون وزوجته فى حيفا عام ١٩٤٨ وغرور السيطرة

ثم كانت مذبحة بيت دراس فى ١٣ مايو، عندما هاجم اليهود من عصابات «الهجاناه» التى كونها بن جوريون ـ القرية فى غزة، وفعلوا نفس مافعلوه فى دير ياسين.. وبعدها مأساة وادى عربة الأردنى فى ٣١ مايو ١٩٥٠ التى قتل اليهود فيها أهالى الوادى ذبحا. ثم مذبحة شرفات التى تقع داخل الحدود الأردنية والتى وقعت فى ٧ فبراير ١٩٥١ عندما نسف اليهود القرية بمساكنها بمن فيها من العرب.

فى التاريخ الأسود لبن جوريون هناك أيضاً مذابح عيد الميلاد فى ٦ يناير ١٩٥٢، عندما تقدمت دورية يهودية يبلغ تعدادها ثلاثين جندياً، ونسفت منطقة بيت جالا العربية ثم مذبحة قبية فى ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ وهى قرية تبعد نحو ٢٢ كيلومتراً شمال شرق القدس.

وكانت القوات الإسرائيلية قد قتلت وذبحت أكثر من ٤٤ رجلاً وامرأة وطفلاً، ونسفت ٤١ بيتاً وجرحت ١٥ عربياً.. وطلب مجلس الأمن من إسرائيل تقريراً مفصلاً عما حدث بالقرية من مذابح، وشهدت لجان المراقبة الدولية التى عينت من قبل الأمم المتحدة بأن عمليات القتل والتهجير التى تمت للعرب من فلسطين إبان فترات حكم بن جوريون قد وقعت كلها بعلمه الشخصى وبموافقته.

٢ ـ موسى شاريت(١)

بعد بن جوريون جاء موشى شاريت رئيس وزراء إسرائيل الثانى وسيرته مشابهة إذ كان رئيساً للوزراء بين ١٩٥٤ و١٩٥٥ وهو من مواليد روسيا عام ١٨٩٤ وكان فى طفولته أحد أعضاء منظمة أحباء صهيون.. وفى عام ١٩٠٦ هاجرت أسرته إلى فلسطين حيث عملت بالزراعة ثم سافر لتركيا لدراسة القانون حيث قابل هناك بن جوريون، غير أنه على عكس بن جوريون طالب العثمانيين بمنح اليهود فى فلسطين الجنسية التركية؛ حتى لايطردوا من فلسطين، فى حين أن بن جوريون سافر إلى مصر مطروداً منفياً ونادى بمهاجمة تركيا عسكرياً خلال الحرب العالمية الأولى.

(١) المصدر السابق.

كان شاريت قد تطوع للخدمة فى الجيش التركى وعمل كمترجم لأحد القادة الألمان فى فلسطين بعد ذلك ثم أصبح رئيساً لقسم الشئون العربية فى فرع المنظمة الصهيونية بالقدس، وكان أن أصبح ضابط اتصال بين القوات الإنجليزية والمنظمة الصهيونية بفلسطين. وفى عام ١٩٣٣ انتخب شاريت ليكون مديراً للوكالة اليهودية ورئيساً للقسم السياسى بها، وكان هو نقطة الوصل الفكرية بين البريطانيين واليهود فى فلسطين. وفى خلال الحرب العالمية الثانية كان هو الذى دعا اليهود للوقوف مع الإنجليز فى الحرب، مقابل الحصول على فلسطين كوطن بديل لليهود.

وقد تولى شاريت منصب رئيس الوزراء ووزير الخارجية فى الوقت نفسه، طيلة فترة حكمه حتى عام ١٩٥٦، ويعد هو الأب الروحى للخارجية الإسرائيلية للآن.

ولم يتنازل شاريت عن رئاسة الوزارة إلا فى أعقاب النقد الشديد، الذى تعرضت له حكومته بعد سقوط شبكة الجواسيس الشهيرة فى مصر فى صيف عام ١٩٥٥، والمعروفة باسم فضيحة لافون، وتنتهى فترته الوحيدة كرئيس للوزراء فى إسرائيل ليعود بن جوريون ليشكل الحكومة مرة أخرى إلى عام ١٩٦٣، عندما يعتزل نهائياً السياسة ويأتى للحكم فى إسرائيل رئيس الوزراء ليفى أشكول (من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٩)، غير أننا لانستطيع هنا أن ننسى المذابح التى وقعت للعرب فى مدن فلسطين وغزة والأردن فى فترة شاريت؛ حيث كان يتبنى مع بن جوريون الأفكار نفسها التى دعت لقتل العرب من أجل تأمين إسرائيل، ومنها مذبحة «نحالين» فى ٢٨ مارس ١٩٥٤، ففى منتصف هذه الليلة هجمت قوة إسرائيلية قوامها ٣٠٠ جندى على قرية نحالين الأردنية وفتحت النيران بشكل عشوائى على أهالى القرية، وتطلب الأمم المتحدة من إسرائيل تقديم تقرير عن المذبحة، ولاتفعل إسرائيل ثم تأتى مذبحة بيت لقيا فى أول سبتمبر ١٩٥٤ التى هاجمت فيها القوات النظامية الإسرائيلية القرية الأردنية وأردت من أهلها العشرات مابين قتيل وجريح. هناك كذلك مذبحة الأطفال الأردنيين فى قرية وادى فوكين الأردنية يوم ١١ سبتمبر ١٩٥٤ فقد فتحت القوات الإسرائيلية نيرانها بلاسبب محدد على الأطفال، وهم يلعبون قتلت منهم العشرات وتدخل مجلس الأمن والأمم المتحدة ولم يحدث شىء لإسرائيل.

وبعدها مذبحة الأطفال فى قرية دير أيوب التى وقعت يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٤ بالطريقة نفسها وبنفس النهاية الدولية والسياسية حتى أن شاريت أطلقوا عليه أيامها «عدو الأطفال» تعبيراً عن أن عهده قد شهد عدداً من مذابح الأطفال.

ودون ذكر تفاصيل فإن المذابح كثيرة في عهد شاريت.. ومنها مذبحة وادى الغار الأردنى فى ٤ مارس ١٩٥٥ ، ومذبحة المدنيين فى خان يونس فى ٣١ مايو ١٩٥٥ ومذبحة طبريا فى ١١ ديسمبر ١٩٥٥ وغيرها من المذابح التى أبرزت صفات العهد الإرهابى لشاريت فى رئاسة الوزراء الإسرائيلية.

بعد شاريت عاد بن جوريون وتولى رئاسة الوزراء الإسرائيلية للمرة الثانية من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٣ ، وقد حدثت فى تلك الفترة أبشع مذابح للأسرى المصريين خلال العدوان الثلاثى على مصر بأوامر بن جوريون الشخصية، طبقاً لما انتهت إليه تقارير لجان التحقيق التى لم تنشر بالكامل حتى الآن.

٣ ـ ليفى أشكول[1]

نصل إلى ليفى أشكول وهو من مواليد عام ١٨٩٥ بروسيا، وقد هاجر لفلسطين عام ١٩١٤ ، وبدأ يعمل كفلاح فى زراعة الأرض لدى أسرة فلسطينية حتى انضم لحزب المباى والتحق عام ١٩١٨ بالسرية اليهودية الملحقة بالجيش الإنجليزى، وذلك حتى عام ١٩٢٠ عندما تحرر من الإنجليز.. وراح يعمل كممثل للمنظمة الصهيونية فى المؤتمرات اليهودية الدولية ثم توجه للعمل فى الهستدروت (منظمة عمال إسرائيل) لكن خبرته كانت تتركز على إدارة الجوانب المالية للمنظمة أو لحزب المباى أو لوزارة الدفاع الإسرائيلية.. وقد تولى أشكول قبل توليه رئاسة الوزراء فى إسرائيل وزارة المالية ثم وزارة الدفاع ثم وزارة الزراعة والإسكان بعدها.

وكانت فترة أشكول قد بدأت عقب انسحاب العجوز بن جوريون من الحكومة، فى أعقاب تدهور حالته النفسية والصحية عام ١٩٦٣ ، وامتدت إلى عام ١٩٦٩ .

إن أشكول هو المسئول الأول الذى أعطى مثلاً أوامر قتل الأسرى المصريين فى مذبحة غزة، وهو أول من صدق على قتل أسرى حرب ١٩٦٧ حتى لايشكلوا عبئاً على الجيش الإسرائيلى فى تقدمه لاحتلال سيناء.

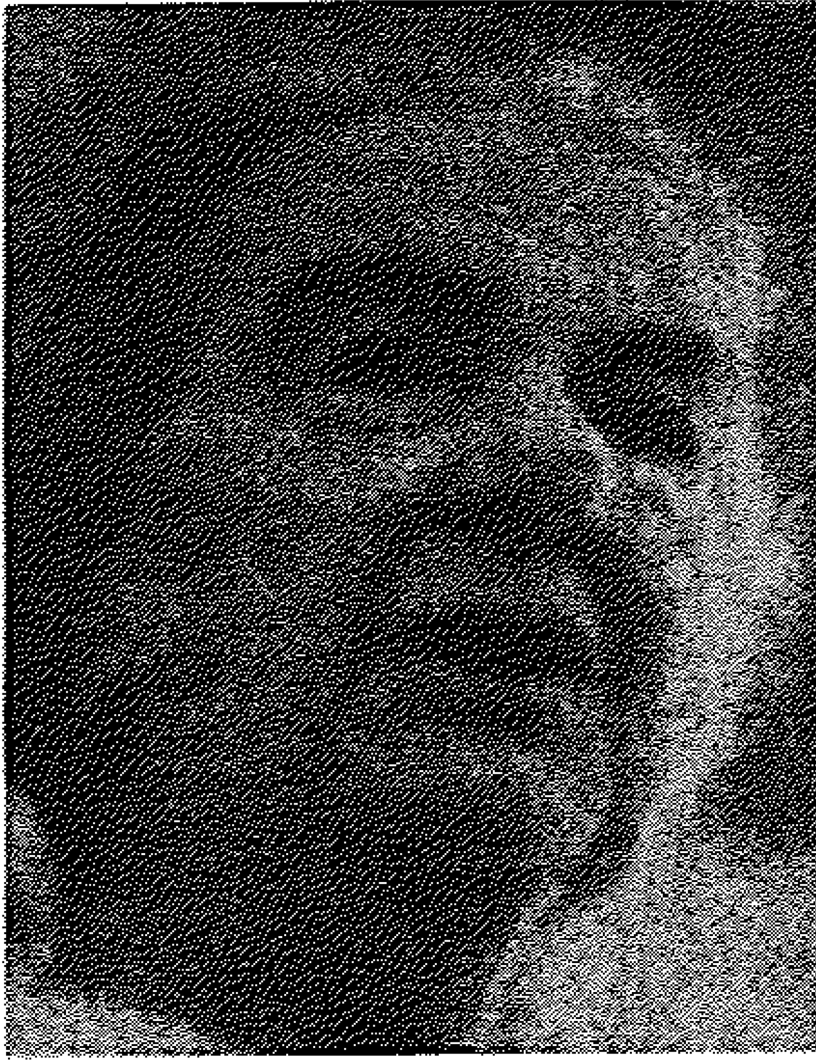
وهو أيضاً الذى تذكره كتب التاريخ الأمريكى على أنه مجرم حرب ١٩٦٧ ، الذى أمر الطيران الإسرائيلى بقصف سفينة التجسس (ليبرتى) التابعة للبحرية الأمريكية يوم الأربعاء

(١) المصدر السابق.

٨ يونيو ١٩٦٧، على الرغم من أنها كانت تحمل العلم الأمريكى، وقد أسفر ذلك يومها عن مقتل ٣٤ بحاراً أمريكياً وإصابة عدد كبير آخر من طاقم السفينة.

ولم تفسر أمريكا حتى الآن للعالم الإجرام والإرهاب الإسرائيلى حول ماجرى للسفينة الأمريكية فكيف جرؤ الإسرائيليون ورئيس وزرائهم على مهاجمة سفينة حليفهم الرئيسى؟ وكان السبب المباشر والمعلن أن رئيس الوزراء الإسرائيلى وحكومته وجيشه أرادوا مهاجمة مصر دون أن تكون هى البادئة.. ولكى لاترصد سفينة التجسس الأمريكية ليبرتى الخطة الإسرائيلية قرروا قصفها فى البحر أمام ساحل شبه جزيرة سيناء بالقرب من العريش المصرية، وكان هذا التصرف من أشهر الدلائل على إرهاب ليفى أشكول وتاريخه الأسود.

٤ـ جولدا مائير[1]


جولدا مائير

وتنتهى فترة أشكول السوداء لنصل إلى بداية حكم جولدا مائير فى عام ١٩٦٣، وهى الفترة التى امتدت إلى عام ١٩٧٤، عندما تركت جولدا العمل السياسى فى أعقاب هزيمة إسرائيل أمام الجيش المصرى فى حرب العاشر من رمضان.

كانت مائير أول سيدة تصل لمنصب رئيس الوزراء فى إسرائيل وهى كذلك آخر السيدات الإسرائيليات اللائى وصلن للمنصب نفسه، وقد ولدت جولدا مائير فى مدينة كييف الأوكرانية بروسيا، ومن شبابها وهى تحب القيادة وتعمل فى منظمات العمال اليهود، وفى عام ١٩٠٦ هاجرت مع أسرتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث درست بها التعليم بالمدارس الابتدائية، وفى عام ١٩١٥ التحقت بمنظمة عمال صهيون، وفى عام ١٩٢١ هاجرت مع زوجها موريس ماريسون إلى فلسطين لتنضم بها لحزب اتحاد العمال وهو الحزب الأم لحزب العمل الحالى وقد بدأ اسمه بحزب اتحاد العمال ثم تحول إلى اسم حزب المباى ثم إلى حزب العمل الذى نعرفه كلنا الآن.

فى عام ١٩٢٥ انضمت جولدا إلى منظمة البناء من أجل اليهود، ونظمت خطط الاستيلاء على أراضى العرب الفلسطينيين، وكانت تشرف على عمليات إقراض أصحاب الأراضى العرب المال بفوائد مركبة تحصلها البنوك اليهودية، وعندما لايتمكن العربى من رد الدين يأخذ البنك أرضه لتصبح يهودية، وهكذا تحولت الأراضى لليهود بفضل خطط جولدا.

(١) المصدر السابق.

فى عام ١٩٢٨ انتخبت لتكون سكرتيرة مجلس العاملات اليهوديات، وفى عام ١٩٣٢ أرسلتها المنظمة الصهيونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتمثل المرأة اليهودية، وبعد عودتها إلى فلسطين انتخبت لتكون سكرتيرة الهستدروت عن نساء اليهود الموجودات فى فلسطين، ثم بعدها كرئيسة للقسم السياسى للهستدروت.

فى عام ١٩٤٦ عندما اعتقلت السلطات الإنجليزية رؤساء الهستدروت اليهودى، ومنهم موشى شاريت رئيس القسم السياسى للهستدروت، شغلت جولدا المنصب وفى الانتخابات الداخلية بعد ذلك انتخبت لتكون مديرة للهستدروت، ومن ثم انطلقت فى العالم خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية لكى تجمع التبرعات لليهود؛ لكى يتمكنوا من إقامة دولة على الأراضى الفلسطينية، وبسبب علاقاتها الجيدة مع الأمريكيين عينت عام ١٩٤٩ كأول قنصل إسرائيلى لدى الولايات المتحدة الأمريكية، وفى العام نفسه شغلت جولدا قبل رئاستها للوزراء وزارة العمل ثم التأمينات ثم وزارة الخارجية عقب إقالة موشى شاريت فى ١٧ يونيو ١٩٥٦، وقد علا نجمها بالفعل فى أعقاب فضيحة اغتيال الموساد للعلماء الألمان العاملين فى مصر عام ١٩٦٣، وكانت من المعارضين لبن جوريون وقد تسببت معارضتها للعجوز بجرأة لم يسبقها إليها أحد غيرها فى حصولها على شهرة كبيرة، منحتها ثقة الشعب اليهودى.

فى أعقاب انتخابات الكنيست السادسة فى إسرائيل، خرجت جولدا من الحكومة وعينت كسكرتيرة لحزب المباى، وفى عام ١٩٦٨ تركت الحزب لكن قوتها المؤثرة على السياسة الإسرائيلية ظلت معها حتى مات رئيس الوزراء ليفى أشكول فانتخبت جولدا مائير رئيس للوزراء فى إسرائيل فى ١٧ مارس ١٩٦٩، وظلت فى هذا المنصب حتى فبراير عام ١٩٧٤، عندما اعتزلت الحياة السياسية بعد اتهامها على أساس أنها أحد أسباب الهزيمة الإسرائيلية فى الحرب.

وظلت بعدها خارج دائرة السياسة الإسرائيلية إلى أن ماتت فى عام ١٩٧٩، بعد أن شهدت التوقيع على معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.

وجولدا مائير هى صاحبة المقولة «الكاذبة، المزيفة، المشهورة: إن فلسطين أرض بلا شعب، واليهود شعب بلا أرض..!؟».

٥ـ اسحق رابين[١]


اسحق رابين

بعد سقوط جولدا كان لابد من ظهور شخصية سياسية جديدة، تمتص غضب المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التى خرجت جريحة مهزومة من حربها مع مصر، وكان لها أيضاً أن تحتضن الشعب اليهودى وأن تعيد إليه الثقة، وكان هذا الشخص هو إسحق رابين المنتمى لسلالة حزب العمل، مثله فى هذا مثل سابقيه لرئاسة الوزراء الإسرائيلية. وقد ولد رابين فى عام ١٩٢٧ بفلسطين لأسرة عمال يهود، وتعلم فى المدرسة الزراعية، ثم انضم لعصابات الهجاناه وعمل مع عصابة شتيرن بعض الوقت، ومع الأيام أصبح من زعماء العصابتين، ونشبت حرب ١٩٤٨ فأصبح هو قائد الفرقة هارائيل الشهيرة، وبعد الحرب عين ليكون ضابط الاتصال والمفاوضات مع مصر لوقف إطلاق النيران، وتدرج رابين فى المناصب حتى أصبح رئيساً لأركان الجيش الإسرائيلى من يناير ١٩٦٤، وذلك حتى عام ١٩٦٨ عندما أرسلته جولدا إلى الولايات المتحدة الأمريكية سفيراً لإسرائيل.

نجح رابين فى تحسين وتوطيد علاقات تل أبيب مع واشنطن، ونال إعجاب جولدا وكان يقدم لها التقارير حتى قبل أن يسلمها لوزارة الخارجية التى كان يتبع لها رسمياً مما زاد من حبها له وترشيحها له ليكون وزيراً للعمل فى آخر تشكيل وزارة لها، ثم لأن يكون المرشح التالى بعدها لرئاسة حزب العمل والحكومة الإسرائيلية.

وتشهد الموسوعة السياسية الكبرى لإسرائيل على أن رابين كان أول رئيس لوزراء إسرائيل من مواليد فلسطين، غير أنه لم يكون محبوباً من حزبه، وأن الصراع بينه وبين شيمون بيريز منافسه على زعامة حزب العمل قد بدأ منذ أول يوم لرابين فى السلطة، التى لم تدم طويلاً له إذ قدم استقالته للحكومة الإسرائيلية والكنيست فى ٧ أبريل ١٩٧٦ بعد تورطت زوجته لينة رابين فى قضية العملات الأجنبية، وكانت لينة تقوم بتبديل العملات مقابل هامش ربحى مستغلة فى ذلك منصب زوجها رئيس الوزراء.

---

(١) المصدر السابق.

ومع أننا قد وصلنا إلى نهاية فترة رئاسته الأولى للحكومة الإسرائيلية، لكننا لابد أن نتذكر المذابح التى قام بها ضد الشعب الفلسطيني وضد المقاومة التى وقفت ضده خلال حرب ١٩٦٧ عندما دخل القدس العربية محتلاً، وكان وقتها رئيساً لأركان الجيش الإسرائيلى، ثم لابد أن نتذكر قضية الأسرى المصريين الذين جاء بهم وطاف بهم فى شوارع تل أبيب والقدس، وكان هو ممن اتخذوا قرار ضرب السفينة الحربية الأمريكية ليبرتى وغيرها من الفضائح الإرهابية التى عرفت عنه، وفى عام ١٩٩٠ يعود حزب العمل برئاسة رابين للحكومة رئيساً للوزراء، لكنها تكون آخر فترة له إذ يغتال فى نهاية ١٩٩٠ على يدى متطرف إسرائيلى يدعى يجال عامير.

ومع دمويته الشرسة فى التعامل مع الفلسطينيين، لكن التاريخ يذكر أنه تحول فى نهاية حياته إلى الاعتدال وعقد معاهدة سلام مع الأردن، وصحح علاقات بلاده مع العرب وعقد اتفاقيتى أوسلو، وصمم على تنفيذ بنودهما وربما لو طالت به الحياة لكان قد توصل بالفعل لسلام حقيقى وشامل مع العرب. بعد فترة رابين الأولى فى رئاسة الوزراء من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ انهار حزب العمل وشعبيته على الليكود، وتمكن من الفوز بالانتخابات التاسعة فى تاريخ إسرائيل فكان مناحم بيجن أول رئيس وزراء ليكودى.

٦ ـ مناحم بيجن[١]


بيجين وشارون

وقد ولد بيجن فى عام ١٩١٣ ببولندا لأسرة صهيونية شهيرة، ودرس القانون بجامعة وارسو وكان عضواً فعالاً فى المنظمات اليهودية التى دعت لاحتلال أرض فلسطين، وفى عام ١٩٣١ انضم بيجن لحلف ترومبلدور اليهودى الصهيونى، وأصبح بعدها الممثل الرسمى للحلف، ثم أصبح الممثل الرسمى للحلف فى تشيكوسلوفاكيا، وفى أعقاب العمليات البولندية ضد اليهود قبل الحرب العالمية الثانية بسبب سيطرتهم على الدولة البولندية، نظم بيجن المظاهرات العارمة ضد بولندا بمساعدة السفارة البريطانية، واعتقل لعدة أسابيع ثم غزا النازى بولندا فهرب بيجن إلى فيينا، وفى عام ١٩٤٠ قبض عليه بتهمة الصهيونية وحكم

(١) المصدر السابق.

عليه بالسجن لمدة ثمانية أعوام، ولكنهم أفرجوا عنه بعد عام واحد عقب اتفاقية ستالين - شيكورسكى، وبعد عناء وصل إلى فلسطين فى عام ١٩٤٢ كجندى مرتزقة يحمل الجنسية البولندية، وفى عام ١٩٤٣ أصبح بسبب دمويته العسكرية قائد قوات عصابات منظمة الجيش القومى لليهود الشهيرة بالاسم العبرى (إرجون تسفائى ليئومى)، وفى بداية عام ١٩٤٤ أعلن الحرب على السلطات الإنجليزية المنتدبة على فلسطين، وفى العام نفسه أعلنت المخابرات الحربية الإنجليزية عن جائزة قدرها ٥٠٠٠ ليرة فلسطينية للقبض على مناحم بيجن كمجرم وإرهابى، روع حياة وأمن الشعب الفلسطينى والإنجليز فى فلسطين، ولكن الإنجليز فشلوا فى القبض عليه وخرجوا من فلسطين فى نهاية عام ١٩٤٧ ليتركوا بيجن وعصابته، التى طلبت من حكومة الظل اليهودية أن تتولى هى الإعلان عن الدولة، وعندما رفضت حكومة الظل أجبرهم بيجن بعملياته الإرهابية التى بلغت حد تفجير مقاهى اليهود فى القدس ويافا وغيرهما من المدن الفلسطينية التى وجد بها اليهود، على أن يسمحوا بدخول عشرة آلاف جندى من رجاله الجيش النظامى الجديد لليهود.

فى عام ١٩٤٨ انتخب بيجن للكنيست كزعيم لحزب حيروت (الحرية) وفى عام ١٩٧٧ انتخب رئيساً للوزراء فى إسرائيل، وكان هذا عقب سقوط حكم حزب العمل المنافس التقليدى حالياً لليكود. ولبيجن سجل إجرامى أسود من كل سابقيه، إذ غزت إسرائيل فى فترة حكمه لبنان وفى فترته وقعت أبشع المذابح الإنسانية فى صابرا وشاتيلا يوم ١٦ سبتمبر عام ١٩٨٢، وهى المذبحة التى استمرت يومين كاملين وقتل فيها الجيش الإسرائيلى المئات من الأطفال والنساء والشيوخ الفلسطينيين.

٦ - اسحق شامير[١]


شامير

بعد بيجن جاء إسحاق شامير وقد ولد شامير فى عام ١٩١٥ فى بلدة رجينوى البولندية، وكان اسمه الحقيقى اسحق يزرانيتسكى وكان والده حاخام البلدة ورئيس الطائفة اليهودية بها، وقد وصل إسحق لفلسطين عام ١٩٣٥؛ حيث انضم لمنظمة الجيش الوطنى القومى لليهود. وفى عام ١٩٣٧ شارك مع عصابات اليهود فى المذابح التى قاموا بها ضد السكان

(١) المصدر السابق.

الفلسطينيين ومنها مذبحة سوق يافا الشهيرة، التى قتل فيها الأطفال والنساء، وكان شامير هو قائد الهجوم. فى عام ١٩٣٧ انضم لمنظمة محاربى حرية إسرائيل (ليحى) الدموية، وفى عام ١٩٤٦ طرده الإنجليز من فلسطين ورحلوه إلى إريتريا، ولكنه هرب مرتين وعاد لفلسطين عام ١٩٤٧، وقد شارك شامير الذى بدل اسمه فى فلسطين لشامير لكى يكون عبرياً فى كل المذابح وعمليات الطرد والإبادة التى ارتكبها اليهود ضد سكان فلسطين فى بداية اغتصابها، وكانت عمليات شرسة، سجل معظمها فى كتب التاريخ، ولكنه تاريخ أسود ملطخ بدماء الشعب الفلسطينى والعرب الأبرياء.

وفى عام ١٩٥٥ التحق شامير بجهاز الموساد الإسرائيلى، وظل به إلى عام ١٩٦٥ وكان أول يهودى يستخدم القنابل اليدوية ضد المدنيين اليهود لكى يرعبهم ويدفعهم لكراهية العرب فى فلسطين، وأن يزرع فى نفوسهم الحقد والغل ضد العرب لكى يشاركوه ويساندوه فى عملياته وعمليات عصابات الهاجاناه التى كان يخططها وينفذها؛ مما دعا الإنجليز لأن يصدروا إعلانات تشير لوجود مكافآت مالية كبرى لمن يسلم رأسه لهم، وشامير فى الواقع لم يستخدم القنابل اليدوية فقط، بل استخدم العنقودية ضد المدنيين خلال مظاهرات الشعب الفلسطينى فى غزة ومدن الضفة الغربية المحتلة، وهو صاحب فضيحة قتل مهاجمى الأتوبيس الإسرائيلى رقم ٣٠٠ عندما أمر بقتل الفدائيين الفلسطينيين فى مكان خطف الأتوبيس حتى يرى الفدائيون الفلسطينيون وحشيته فى التعامل مع العمليات الفدائية، فيتوقفوا عنها، ولكن هذا لم يتحقق له بل على العكس نشبت الانتفاضة الفلسطينية فى عهده الأسود، الذى سمى بعهد تكسير العظام والقبضة الحديدية.

فى عهد شامير الذى تولى رئاسة الكنيست عام ١٩٧٧، وفى أرشيف صور التاريخ نجده يجلس بجوار الرئيس السادات خلال خطبته الشهيرة فى الكنيست الإسرائيلى فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٧٧، ثم أصبح وزير للخارجية الإسرائيلية فى الحكومة الائتلافية عام ١٩٨٠، ثم عين فى رئاسة الوزراء عام ١٩٩٢. ومع أنه مر بجميع فترات السلام مع مصر، لكنه رفض التصويت أو الموافقة على معاهدة كامب ديفيد ولايزال رافضاً لها، وكانت فترة شامير قد تميزت بأنه مجرم محترف لاتهمه الأعراف والمواثيق وحريات الدول الأجنبية كثيراً، ففى عهده قصفت إسرائيل المفاعل النووى العراقى، وفى عهده طارت الطائرات لتقصف مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس، وفى عهده منح أوامره لاغتيال الشهيد خليل الوزير (أبوجهاد) فى تونس، وغير ذلك من أوامر الاغتيالات التى صدرت فى عهده وكانت أكثر الأوامر عدداً فى إسرائيل.

٨ـ شيمون بيريز [1]

بعد شامير وورطة لبنان عاد حزب العمل ليحكم ثانية برئاسة إسحق رابين، وظل رابين حتى اغتيل ثم يأتى شيمون بيريز مواليد ١٩٢٣ فى روسيا، وقد هاجر بيريز إلى فلسطين مع أسرته فى عام ١٩٣٤، وانضم بيريز لعصابات الهاجاناه فى عام ١٩٤١ وإلى ١٩٤٤، وخلال حرب ١٩٤٨ عين قائداً للبحرية الإسرائيلية، ومن عام ١٩٤٩ وهو يخدم فى عدة مناصب ووزارات إسرائيلية منها وزارتا الدفاع والخارجية وغيرهما من الوزارات الإسرائيلية المهمة؛ حتى يصل بعد اغتيال رابين الذى كان يحجبه دائماً عن رئاسة الوزراء إلى المنصب، الذى طالما حلم به طويلاً. وبيريز ذلك الذئب السياسى الذى ارتدى أمامنا ملابس الحمل الوديع لفترة طويلة، كدنا نصدق فيها أن إسرائيل قد هداها الله خيراً تولى رئاسة الوزراء الإسرائيلية فترة لاتزيد عن العام خلع فيها زيه المخادع، عندما شن عملية عناقيد الغضب الإسرائيلية على لبنان الذى يطالب بحقه فى أرضه الجنوبية المحتلة، وتكون مذبحة كفر قانا عندما قصفت الطائرات الإسرائيلية معسكر الأمم المتحدة هذه المرة لتقتل النساء والأطفال الذين احتموا بالمنطقة الآمنة للمنظمة الدولية وليثبت بيريز بلا قصد وبغباء سياسى منقطع النظير أن إسرائيل دولة بنيت على الإرهاب، وهى مستمتعة بذلك، فيأمر باغتيال فتحى الشقاقى فى مالطا فى بداية فترة حكمه، ثم كما فعلوا من قبل فى السفينة الأمريكية لحليفتهم الكبرى أيام ١٩٦٧ يأمرهم بقصف معسكر المنظمة الدولية فى قانا.

٩ـ آريل شارون قاتل محترف [2]

آريل شارون فى الذاكرة العربية عامة والفلسطينية خاصة هو شريك وقاتل محترف مع العصابات الصهيونية التى كرست اغتصاب الأرض عام ١٩٤٨، وهو الذى شكل وحدة الكوماندوز رقم ١٠١ فى سنة ١٩٥٣ التى كانت فى الحقيقة وحدة للقتل، ومن جرائمها فى ذلك الوقت مذبحة كفر قاسم التى قتل فيها ٤٨ فلاحاً فلسطينياً إرهاباً لغيرهم ودفعهم إلى الانضمام لقوافل اللاجئين، وبعد أن أثبت الرجل جدارته كقاتل أصبح مؤهلاً لكى يتولى قيادة لواء المظلات فى حرب ١٩٥٦، وفى ذروة حرب الاستنزاف فى سنة ٧٠ عين قائداً للمنطقة العسكرية، ولأن غزة كانت آنذاك تحت قيادته، فإنه قام بدور فى تصفية المقاومة هناك بعدما

(١) المصدر السابق.

(٢) من بحث للدكتور فهمى هويدى.

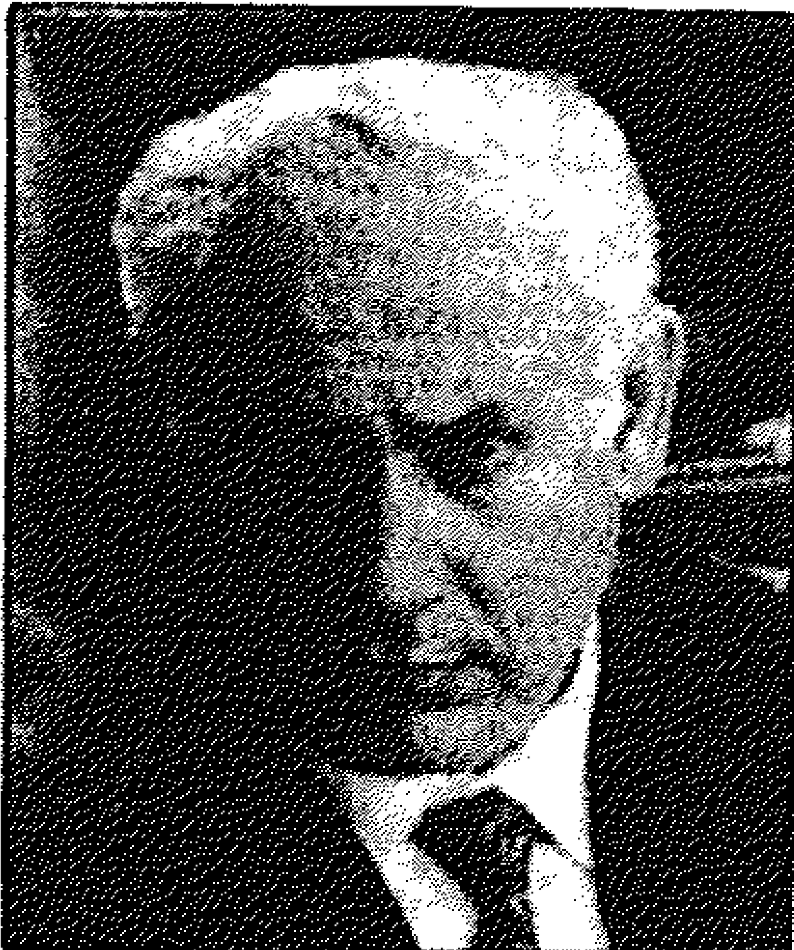
شكل وحدة للقتل عرفت باسم (ريمون) ونفذ هناك مشروعه لاقتلاع اللاجئين وإعادة إسكانهم؛ فتولى نقل مجموعات منهم إلى رفح وكان أول من أقام شوارع (أوتوستردات) داخل المخيمات الأمر الذى استدعى نقل كثيرين من أماكن سكناهم، وأدى إلى إعادة هيكلة معالم المخيمات وهى الخلفية التى اكسبته خبرة فى تدمير البنية الأساسية الفلسطينية استفاد منها فيما بعد.

بعد أن اكتسب فى غزة بجدارة صفته وجدناه فى حرب ٧٣ فى عملية الثغرة - الفاشلة - يكتسب صفة المغامر وحين أصبح وزيراً للزراعة فى حكومة مناحم بيجن عام ٧٧ ألقى بكل ثقله فى عملية الاستيطان يبلغ بالمغامرة أقصى مدى ويوظفها فى خدمة التمدد الإسرائيلى أفقياً ورأسياً.

وفى اجتياح لبنان عام ٨٢ كان شارون المغامر والقاتل هناك، فقد قاد أول عملية إسرائيلية لاحتلال عاصمة عربية ونفذ هناك أكبر مذبحة إسرائيلية خارج فلسطين (فى صبرا وشاتيلا) والجريمة الأخيرة إدانته فيها لجنة «كاهان» الأمر الذى اضطره إلى الاستقالة من منصب وزير الدفاع.

ابتداء من عام ٩٠ عاد شارون إلى المواجهة كمهندس لحركة الاستيطان واقتلاع الفلسطينيين من أرضهم مرة باعتباره وزيراً للبناء والإسكان ومرة بحسبانه وزيراً للبنية التحتية، ولم يتخل عن دور القاتل فى أية مرة، حتى أعلن صراحة بعد فشل اغتيال خالد مشعل رئيس المكتب السياسى لحركة حماس إن إسرائيل لن تكف عن محاولة قتله، وهو الذى لايزال يرفض مصافحة الرئيس ياسر عرفات بحجة أنه إرهابى وقاتل؟!!

١٠ ـ وأخيراً نيتانياهو


نيتانياهو

وعلى يديه تستمر مسيرة الإرهاب والدموية بدعاوى أمنية إسرائيلية مزيفة ويأتى ليثبت أنه لاتغير فى سياسات إسرائيل أو فى أفكارها وتكون فضيحته المدوية هو الآخر - إلى جانب زميله السفاح شارون - فى محاولة اغتيال خالد مشعل، عندما قرر انتهاك معاهدة السلام مع الأردن وكذا انتهاك الأعراف والقوانين الدولية ثم سخريته من السلام وتعطيله له وكأنه طفل لعوب لايدرك حجم ومسئولية مايقوم به من هدم للسلام وفرصته القوية فى المنطقة..

وعلى الرغم من أن اتفاق «واى» كغيره من الاتفاقات الفلسطينية الإسرائيلية نص على وقف الأعمال أحادية الجانب وفى مقدمتها الاستيطان اليهودى فى الأراضى الفلسطينية لاسيما أن المستوطنات تمثل إحدى قضايا المفاوضات النهائية، إلا أن نيتانياهو وحكومته أقدم على انتهاك نصوص الاتفاق، عبر التنصل من الالتزام بوقف الاستيطان وبادر وزير خارجيته شارون محترف الإجرام بدعوة المستوطنين إلى الخروج والسيطرة على كل مايمكنهم السيطرة عليه من تلال الضفة الغربية؛ لفرض أمر واقع فى مفاوضات الحل النهائى، الأمر الذى وله هجمة استيطانية جديدة تحظى بدعم ومساندة نيتانياهو وحكومته..

وهكذا نرى الوافد اليهودى الأمريكى الجديد على أرض فلسطين، هو جزء من عصابات القتلة والسفاحين الذين ابتليت بهم الأرض العربية على مدى قرن من الزمان..

الفصل الثانى عشر

عروبة القدس

- الحق التاريخى للمسلمين فى المقدسات الإسلامية فى فلسطين
- بيت المقدس تحت الاحتلال الإسرائيلى
- قضية القدس فى التسوية السلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾

عروبة القدس(١)

أولا : الجذور العربية فى بيت المقدس قبل الإسلام

مما لاجدال فيه أن اليبوسيين هم أول قوم بنوا مدينة القدس فى حدود عام ٣٠٠٠ق.م(١). وأسموها «يبوس» نسبة إليهم. والجدير بالذكر أن اليبوسيين تسموا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم يبوس. وأنه مامن أحد يراوده أدنى شك فى أن اليبوسيين هم فرع من الكنعانيين العرب الذين سكنوا فلسطين منذ الألف الرابع ق. م(٢).

وترجح الروايات التاريخية عروبة الكنعانيين. فهم عرب من العمالقة سكان الجزيرة العربية(٣)، الذين هاجروا منها إلى البلاد الخصبة المجاورة كغيرهم من المهاجرين الساميين، الذين اضطروا إلى ترك موطنهم الأصلى تحت شدة وطأة الجوع والقحط، وغير ذلك من المؤثرات العامة التى ألمت بأحداث وطنهم.

وتثبت الشواهد التاريخية والأثرية واللغوية أن مدينة «يبوس» اتخذت اسماً كنعانياً جديداً هو «يورو سالم أو يورو شالم» وتعنى مدينة الإله سالم أو شالم إله السلام عند اليبوسيين(٤). وكان «ملكى صادق» ملك اليبوسيين هو أول من أطلق على المدينة هذه التسمية. وفى عهده ظهرت فى المدينة أول جماعة سكانية اعتنقت التوحيد فى عبادة إله واحد. وفى عهد هذا الملك بدأت المدينة بالاتساع التدريجى وغدت مركز ثقل اليبوسيين. ومنذ ذلك الزمن والمدينة تحتل مكانة مقدسة فى النفوس. ولاشك أن الاسم الذى يستعمله اليهود اليوم هو «أورشليم» هو تحريف لاسمها الكنعانى «يوروشالم أو أوروشالم» الذى ورد

(١) المركز القانونى للقدس ـ سالم الكسوانى.

(٢) تاريخ القدس ـ عارف العارف.

(٣) تاريخ الطبرى جـ ١.

(٤) إسحق موسى الحسينى.

فى نقش فرعونى قديم يعود تاريخه إلى القرن التاسع ق . م. كما أن هذا الاسم كان قد ورد فى لوحة من ألواح تل العمارنة، وهى محفوظة فى المتحف المصرى بالقاهرة يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق . م. أى قبل دخول العبرانيين إلى فلسطين بمدة طويلة(١). ولما جاء الفتح الإسلامي غلب على المدينة اسم «بيت المقدس» أو «البيت المقدس» لتكون المدينة الإسلامية مطهرة لله سبحانه وتعالى.

كانت قدسية المدينة راسخة عند اليبوسيين قبل مجىء العبرانيين إليها، وكان فيها بيت لإله اليبوسيين الأعلى قبل أن يمر بها سيدنا إبراهيم عليه السلام بزمن طويل جداً. وفى التوارة إشارة إلى أن العبرانيين لم تكن لهم علاقة بنشوء مدينة القدس، وكانوا يرون أنفسهم غرباء عنها. ففى عام ١١٥٠ ق.م حين كان بعض الإسرائيليين قد دخلوا فلسطين بقيادة ملكهم يشوع، ولكنهم لم يكونوا بعد قد دخلوا القدس، كان رجل إسرائيلى وامرأته وغلامه مسافرين ذات يوم، فأدركهم الليل، وهنا تقول التوارة «وفيما هم عند يبوس قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده لانميل إلى مدينة غريبة لا أحد فيها من بنى إسرائيل».

بنى اليبوسيون مدينتهم فى مكان مطل على المنطقة المحيطة بأكملها، واحتل موقعها مكاناً وسطاً بين شمال البلاد وجنوبها فصارت يبوس من مدن القوافل فى الموقع والموضع، وأكسبها مكانة عسكرية حربية بالغة الأهمية؛ لأنها تقع على قمم الجبال التى ترتفع مايقارب من ثمانمائة متر عن سطح البحر. وغدت المدينة فى موقع محصن يستعصى على الغزاة. ولايمكن الوصول إليها والتمكن منها إلا بعد ممارسة التجربة العسكرية القاسية التى تكلف الكثير قبل بلوغ الهدف. فالمدينة تطل على أرض البحر الميت وعلى جبال الأردن من ناحية الشرق. وتأسيساً على هذا فقد تمتعت المدينة بمركز تجارى وآخر عسكرى، وهما قاعدتان أساسيتان من قواعد مقومات مراكز الثقل الأساسية آنذاك.

بنى الكنعانيون المدن والقرى المحصنة فى فلسطين. وأنشأوا تجمعات زراعية مستقرة. وأسسوا حضارة ذات طابع متميز، حتى أن حضارتهم هذه كانت قد تمكنت من غزو الأقوام المجاورة للكنعانيين أو تلك الأقوام التى حلت محلهم فيما بعد. وقد وجدت نصوص فرعونية

(١) منظمة التحرير الفلسطينية، مفكرة القدس.

قديمة يرجع تاريخها إلى ألفى سنة ق. م، تشير إلى وجود الكنعانيين فى القدس، وتكشف كذلك عن حضارة متقدمة كان قد حققها الكنعانيين الذين توصلوا إلى استعمال المعادن.

كان اليبوسيون قد بنوا هيكلاً للإله «سالم» على أحد مرتفعات مدينتهم. وقد اقتبس العبرانيون عن اليبوسيين هذا المظهر الدينى. ففكر نبى الله داود فى بناء (معبد) الهيكل فى مكان اليبوسيين بعد أن دخل مدينتهم. ولم يتمكن نبى الله داود من بنائه، وجاء ابنه سليمان من بعده فبناه على النمط الكنعانى من حيث الفن المعمارى. وقد استعان سليمان ببنائه بالملك «حيرام» ملك الفينيقيين، الذى أمده بخشب الأرز والمعماريين والبناءين(١)، وكان الملك حيرام قد أنشأ بينه وبين نبى الله داود وابنه نبى الله سليمان أوثق العلاقات لأن حيرام ملك صور كان يبغى أن يكفل لتجارة بلاده طريقاً عبر التلال العبرانية. ونشأت برعاية حيرام أسوار مدينة أورشليم وقصرها ومعبدها، وفى مقابل ذلك أخذ سيل من التجارة يتدفق خلال مدينة أورشليم نحو الشمال والجنوب(٢).

لقد تعرضت بلاد اليبوسيين إلى غزو عبرانى. فهاجم العبرانيون عاصمة اليبوسيين عدة مرات، ولكنهم لم يتمكنوا من دخولها إلا فى عام ١٠٠٠ ق.م فى عهد النبى داود(٣). وقد دافع اليبوسيون عن عاصمتهم وبلادهم ردحاً طويلاً من الزمن. وقد صمدت هذه المدينة فى وجه الغزو العبرانى المتهالك عليها. ولم يتمكن العبرانيون من دخولها إلا بعد أن تفرقت كلمة اليبوسيين، يوم أن كانوا فى أواخر عهدهم، ويوم أن انقسموا على أنفسهم، ويوم أن توقف الدعم الذى يقدمه الفراعنة لهم عندما انشغل الأخيرون بقضاياهم الداخلية والخارجية. إضافة إلى هذا كله فإن دولة اليبوسيين كانت قد شاخت ودب فيها الضعف والخوار. وينطبق هذا المبدأ على كل الدول التى تعاقبت فى حقب التاريخ. فالدولة كالكائن، تنمو وتترعرع وتزدهر، ثم تأخذ فى التراجع والتقهقر التدريجى حتى تصل إلى الزوال.

وعلى الرغم من أن العبرانيين تمكنوا من القضاء على اليبوسيين والكنعانيين من الناحية السياسية، إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على حضارتهم أو على كيانهم الاجتماعى؛ إذ ارتحل الكنعانيون إلى القرى المجاورة لمدينتهم، وهناك شكلوا مجتمعات كنعانية نشطة ظلت

(١) هيكل سليمان ـ سفر الملوك: الاصحاح التاسع.
(٢) موجز تاريخ العالم ف. ج ويلز.
(٣) نفسه.

تحافظ على طابعها الكنعاني المتوارث، وقد حدا هذا ببعض المؤرخين إلى القول بأن سكان القرى المجاورة لمدينة القدس فى وقتنا الحاضر هم من بقايا السكان الكنعانيين، الذين كانوا أصحاب البلاد قبل أن يتمكن العبرانيون من احتلالها.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه من الآونة التى دخل فيها اليهود بعض المدن الكنعانية، كانت هناك قبيلة كريتية نسبت إلى جزيرة كريت فى البحر المتوسط، وتسمى أهلها بالفلسطينيين (وهم غير الكنعانيين العرب). وجاءت هذا القبيلة من بلاد اليونان وسيطرت على الجزء الجنوبى من أرض الكنعانيين. وأسست مدناً مشهورة فى فلسطين، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مدن غزة وعسقلان وأسدود وعاقر وغيرها، ومنذ ذلك الزمان ظهر اسم فلسطين فى المنطقة نسبة إلى هذه الجماعة التى قدمت من بلاد بحر إيبجه بعد الغزو الأوروبى لبلادها. ومع أن هذه القبيلة قد اختفت تدريجياً عن مسرح الأحداث فى المنطقة، إلا أنها كثيراً ما حاربت العبرانيين وانتصرت عليهم فى أكثر من موقعة(١). ومن هنا نلاحظ أن الغزو العبرانى لأرض كنعان لم يتمكن من السيطرة على جميع الأراضى الكنعانية.

يقول المؤرخ هـ. جـ ولز: «... ومهما يكن من أمر فإنهم (العبرانيين) لم يفتحوا إلا منطقة التلول الداخلية فى أرض الميعاد، ولم يزيدوا عنها شيئاً. فإن الساحل فى ذلك الزمن لم يكن فى أيدى الكنعانيين، بل فى أيدى قوم وافدين من الخارج هم أولئك الشعوب الإيجية الذين يسمون بالفلسطينيين... وظل أسباط إبراهام (إبراهيم) أجيالاً عديدة شعباً مغموراً، يعيش فى منطقة التلال الخلفية مشغولاً بمناوشات لا نهاية لها مع الفلسطينيين وذوى قرباهم من القبائل النازلة حولهم، وهم: المؤابيون وأهل مدين ومن إليهم(٢).

والحقيقة المجمع عليها، هى ما أشار إليه القرآن الكريم، وهو أوثق المصادر والنصوص الدينية التى لم ينلها التحريف حين تحدث بإسهاب عن مجد دولة نبى الله سليمان. ونحن المسلمون نؤمن بهذه الحقيقية إيماناً لا يخالجه شك، على الرغم من أن بعض مؤرخى النصرانية يذهبون إلى أن هذه المملكة اليهودية قد أصابها الضعف بعد حكم نبى الله سليمان بأعوام قليلة بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق، أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم، ونهب معظم ما بها من كنوز(٣).

(١) سفر يشوع الإصحاح السادس.

(٢) ويلز.

(٣) المرجع السابق، ويلز.

وقد تجزأت مملكة اليهود على قسمين، هما: مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة بجوار مدينة نابلس. ومملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم. وامتد حكم الأولى من عام ٩٢٧ ق.م حتى ٧٢١ ق.م، وفى هذه السنة تمكن الملك الآشورى سرجون الثانى من محو مملكة إسرائيل من الوجود. وامتد حكم الثانية من عام ٩٢٣ ق.م حتى ٥٨٥ ق.م، وفى هذه السنة حل بمملكة يهوذا ماكان قد حل بمملكة إسرائيل من قبل، وقد تم هذا الإجراء على يد «بخذ نصر».

وهكذا ينتهى عهد المملكة اليهودية فى القدس وفلسطين، فكانت مدة حكمها قصيرة جداً إذا ما قورنت بمدة حكم الكنعانيين العرب. وكانت دولة ضعيفة لاحول لها ولا قوة. أضف إلى هذا ماحل بها من انقسامات أسرية، وما انتابها من نكبات مميتة. يقول ولز: «ويصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا، تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تعركهما على التوالى سورية ثم بابل من الشمال ومصر من الجنوب. وهى قصة نكبات وتحرارات لاتعود عليهم إلا بإرجاء نزول النكبة القاضية». وهذه المعانى تصورها الآيات القرآنية الواردة فى سورة الإسراء أروع تصوير حيث تقول: «وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين».. (آية ٤).

وظلت النقمة تتوالى على العبرانيين من قبل كل الغزاة الذين غزوا مدينة القدس، فضربهم الرومان وأحرقوا هيكلهم فى أورشليم فى عهد الإمبراطور «نيطوس» عام ٧٠م. ثم ضربوهم ثانية فى عهد الإمبراطور «أدريانوس» عام ١٣٥م، الذى أمر بمحو مدينة أورشليم محواً تاماً، وبنى على أنقاضها مدينة جديدة وباسم جديد هو «ايليا كابيتولينا» أو «ايليا العظمى». ولما تمسح الرومان اشتدت عداوتهم ونقمتهم على العبرانيين؛ لأنهم يعتقدون بأن العبرانيين هم قتلة السيد المسيح. واتخذ الرومان أسلوباً فيه تحقير للإسرائيليين حين أمروا بأن يجعل مكان هيكلهم مقراً تتجمع فيه القمامة(١).

ظل الرومان يحتلون القدس والبلاد حتى عام ٦٣٦م/ ١٥هـ، حين فتحت المدينة أبوابها للمسلمين(٢)، وكان الفتح الإسلامى بها. وما المسلمون الفاتحون لها إلا موجة خرجت من الجزيرة العربية لتنشر الإسلام فى أنحاء الأرض. وهكذا دخل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة «إيليا كابتولينا» موقعاً مع أهلها عهدته المشهورة بالعهدة العمرية، على ما سنفصله فى الصفحات التالية.

(١) بريست.

(٢) تاريخ تاريخ الطبرى.

وخلاصة الأمر أن العرب هم أول الأقوام التى سكنت القدس، وأنشأتها منذ زمن بعيد يعود تاريخه إلى ماقبل عام ٣٠٠٠ ق.م، كما أن الوجود العربى فى المدينة كان قد استمر بقاؤه فيها على الرغم من الاحتلال العبرانى لبعض أجزاء فلسطين بما فيها القدس.

كان الكنعانيون العرب أصحاب حضارة إنسانية منتجة، أثرت كثيراً على غيرها، وكان العبرانيون هم أكثر الأقوام تأثراً بحضارة الكنعانيين؛ لأنهم كانوا بدواً يعيشون على التنقل والترحال، وهما لايساعدان إطلاقاً على الاستقرار ونشوء الحضارة الراقية والمنتجة.

كما أن حكم المملكة اليهودية فى القدس وبعض أجزاء فلسطين لم يكن حكماً مستقراً أو قوياً، كما أن هذا الحكم لم يستمر أكثر من فترة تتراوح مابين القرنين والثلاثة قرون، إضافة إلى ماحل بها من حروب ومشاجرات وانقسامات أسرية، أدت فيما بعد إلى زوالها. كما أن حكم المملكة اليهودية لم يكن حكماً مستقلاً بمعنى الكلمة؛ لأن موقع فلسطين يتوسط بين القوى السياسية العظمى المتنازعة المتنافسة على هذا الموقع. وتأسيساً على هذا فإنه لم تقم فى فلسطين والقدس دولة قوية وذات كيان سياسى مستقل أثناء تاريخ البلاد الطويل، قبل مجئ الفتح الإسلامى لها. والجدير بالذكر أن المسلمين أخذوا المدينة من الرومان أعداء اليهود(١).

وبعد الفتح الإسلامى للقدس وفلسطين عم الأمن والسلام ربوع البلاد. وعاش المسلمون والنصارى والإسرائيليون فى أمن وسلام وطمأنينة، حتى أن الأرض التى أقام عليها اليهود مقابرهم ومعابدهم ومساكنهم هى أرض أخذوها من المسلمين المتسامحين مع أتباع كل الديانات. وفى العهد الإسلامى الطويل وحده حفظت معابد اليهود من الدماء. وفى العهد الإسلامى وحده ظلت المعابد اليهودية مصانة ومحترمة؛ لأن الإسلام يعترف بسائر الديانات السماوية فى أصلها السماوى الصحيح ويؤاخى بين الأنبياء. وفى العهد الإسلامى وحده استقطبت القدس اليهود الذين شرعوا فى العودة إليها.

ولايمكن للإسرائيليين أن يقفوا هذا الموقف لأنهم ينكرون رسالة السيد المسيح ورسالة الرسول الكريم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم. ومن هنا يظهر عدم إقرارهم بقدسية معالم المسيحية والمقدسات الإسلامية، وبالتالى فإنه لايمكن أن يؤمنوا عليها، وهو الأمر الذى سنفصله فى موضعه من هذا البحث.

---

(١) تاريخ الطبرى.

وقد ظل المسلمون أمناء على القدس ومافيها من مقدسات لكل الأديان، وظلوا طيلة حكمهم حماة هذه المقدسات. وظلوا أقوياء مهابين بفضل عظمة تسامحهم الدينى، الذى اعترف به العدو قبل الصديق. وكان هذا التسامح الدينى قد طمأن النصارى واليهود وجعلهم يتفيأون الأمن، ويتمتعون بحرية العبادة سوياً فى رحاب السيادة الإسلامية على القدس التى دامت طيلة الثلاثة عشر قرناً الماضية. وهذا حق تاريخى بارز للمسلمين فيها. كما أن المسلمين هم الذين بنوا وعمروا المدينة وهم أصحاب الحق فى ملكيتها؛ خاصة وأن أورشليم كانت قد دمرت تماماً على يد الرومان، وبنوا على أنقاضها مدينة إيليا كابيتولينا التى دخلها المسلمون بالمصالحة لا بالحرب.

ثانيا: الحق التاريخى للمسلمين:

الفتح الإسلامى للقدس:

مرت فلسطين قبل الإسلام بعهود كثيرة، كان للعنصر العربى فيها القدح المعلى كما شرحنا «أليس هذا العنصر حفيد إبراهيم وإسماعيل؟ وأليس هذا العنصر ـ بالإسلام ـ وارث التراث الروحى لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكل الأنبياء؟! ﴿ ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾(١).

- لقد عرفت فلسطين قبل الإسلام للفينيقيين (العرب) دولة!!
- ولقد عرفت للكنعانيين (العرب) دولة!!
- وعرفت حكم الفراعنة والبابليين والآشوريين والفرس والرومان.
- وعلى امتداد التاريخ المعروف الذى يقترب من خمسين قرناً ـ قبل الإسلام ـ لم يعرف لليهود دولة قوية فى فلسطين إلا تلك الفترة التى بدأت بحكم داود عليه السلام، وضعفت بعد موت ابنه سليمان (١٠١٠ ـ ٩٧٠م)، ولم تتعد سيطرتها الحقيقية مدة أربعين سنة ـ حسب كتب اليهود(٢).

أجل... من جملة مايقرب من خمسين قرناً قبل الإسلام، لم يكن لليهود دولة فى فلسطين إلا فترة تقل عن نصف قرن، كما أوضحنا من قبل.

(١) سورة آل عمران.
(٢) فيليب حبيب، قضية فلسطين.

ثم ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى :

ونظراً لمكانة القدس فى الذهنية المسلمة، فإن المسلمين لم يقصروا منذ اندفعوا خارج الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام سنة (١٠هـ/ ٦٣٢م) فى محاولة فتح فلسطين، وربط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام عملياً، بعد أن ربط الإسلام بينهما فى عقيدة المسلم ووعيه الدينى.

وفى سنة (١٥هـ) ـ أى بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بخمسة أعوام ـ تمكن المسلمون من فتح كثير من بلاد الشام على أثر معركة اليرموك، ودانت لهم حمص وقنسرين وقيسارية وغزة واللاذقية وحلب، وحيفا ويافا وغيرها.

وقد اتجه لفتح بلاد فلسطين قائدان مسلمان هما : عمرو بن العاص، وأبوعبيدة بن الجراح الذى إليه يعزى فضل إدخال بيت المقدس فى الإسلام، وكانت تسمى بايلياء.

وكان المسلمون قبل تقدمهم لفتح بيت المقدس (إيلياء) قد اشتبكوا مع الروم فى معركة حامية الوطيس هى معركة أجنادين، وانتصروا فيها بعد قتال شديد يشبه قتالهم فى اليرموك[١]، وفر كثير من الرومان المهزومين، ومنهم «الأرطبون» نفسه إلى إيليا...

وقد تقدم المسلمون لفتح (إيلياء) فى فصل الشتاء والبرد، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر فى قتال وصبر شديدين. ولما رأى أهل إيلياء لا طاقة لهم على هذا الحصار، كما رأوا كذلك صبر المسلمين وجلدهم ـ أشاروا على (البطريرك) أن يتفاهم معهم ـ فأجابهم إلى ذلك فعرض عليهم أبوعبيدة بن الجراح إحدى ثلاث : الإسلام أو الجزية أو القتال، فرضوا بالجزية، والخضوع للمسلمين، مشترطين أن يكون الذى يتسلم ـ المدينة المقدسة ـ هو أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب نفسه.

وقد أرسل أبوعبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين «عمر» بما اتفق عليه الطرفان، فرحب عمر بحقن الدماء، وسافر إلى بيت المقدس، واستقبله المسلمون فى (الجابية) وهى قرية من قرى الجولان شمال حوران، ثم توجه إلى بيت المقدس، فدخلها سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م)، وكان فى استقباله بطريرك المدينة (صفر وينوس) وكبار الأساقفة. وبعد أن تحدثوا فى شروط التسليم انتهوا إلى إقرار تلك الوثيقة، التى اعتبرت من الآثار الخالدة الدالة على عظمة تسامح المسلمين فى التاريخ، والتى عرفت باسم العهدة العمرية.

(١) تاريخ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك.

العهدة العمرية :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ـ أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم ولايكرهون على دينهم. ولايضام أحد منهم. ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص.

فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية.

وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان..

وكتب وحضر سنة خمسة عشرة هـ (١).

القدس عربية إسلامية :

ومنذ أبرمت هذه الوثيقة التاريخية الخالدة، وبيت المقدس تحظى بعناية الحكام المسلمين على نحو قريب من عنايتهم بالمسجد الحرام والمسجد النوبى الشريف.

وقد تعاقب عليها الحكام المسلمون من الراشدين إلى الأمويين إلى العباسيين إلى بنى طولون الأخشيديين إلى الفاطميين إلى السلاجقة، فالمماليك فالأتراك وكلهم يوليها الاهتمام الجدير بها.

(١) الطبرى ـ حوادث ١٥ هـ.

وقد ظلت إسلامية عربية منذ العهدة العمرية الآنفة الذكر سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م حتى سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م باستثناء فترة الحروب الصليبية.. (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م)، التى استطاع خلالها دعاة الحقد الصليبى أن يستولوا على القدس ويؤسسوا مملكة اللاتين فيها.

وبعد أن توحدت كلمة المسلمين وعزموا على تحرير البلاد المقدسة من أيدى الغاصبين، كتب الله لهم النصر على يد القائد صلاح الدين الأيوبى فى معركة حطين سنة ١١٨٧م، وعلى أثرها حرر صلاح الدين مدينة القدس من أيدى الغزاة يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ (٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م)[١].

وتتوالى صفحات التاريخ فى القدس، فلا نكاد نجد فيها انقطاعاً لفعالية الروح الإسلامية المتسامحة العادلة، التى تقوم على حراستها دروس المسجد الإبراهيمى والحلقات العلمية الإسلامية فى المسجد الأقصى، ومسجد الصخرة، ولاتنطوى صفحة مضيئة إلا لتبدأ أخرى حتى نهاية العصر العثمانى، الذى يتحدث عنه مؤرخ مسيحى معاصر هو الأستاذ (هنرى كتن) بقوله:

«وفى سنة ١٥١٨م/ ٩٢٤هـ فتح العثمانيون فلسطين، وظلوا بها إلى سنة ١٩١٧م/ ١٣٣٦هـ، غير أن هذا الفتح لم ينطو على أى استعمار، ولم يترتب عليه أى تغيير كان فى قوام الشعب؛ إذ إن الفتح التركى لم يغير أو يؤثر على أى نحو كان فى الطابع العربى للبلاد.. وقد استمتع جميع المواطنين فى الدولة العثمانية على اختلافهم من ترك وعرب ومسلمين وعرب مسيحيين ويونانيين وأرمن ويهود بحقوق مدنية متساوية، دون نظر إلى جنس أو معتقد أو دين، ثم جاء الدستور العثمانى فى ٢٣ من كانون الأول (ديسمبر ١٨٧٦ـ ١٢٩٣هـ) فأكد مرة أخرى مبدأ المساواة فى الحقوق، وهو المبدأ الذى كان مرعياً فيما سبق»[٢].

ولم يتعرض تاريخ القدس لأحداث دموية واضطهاد دينى منذ الفتح الإسلامى، إلا فى تلك الفترة التى استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م/ ٤٩٢ ـ ٥٧٣هـ)، وهى فترة شغلت من هذا التاريخ نحو تسعين سنة..

---

(١) محمود العابدى ـ القدس.

(٢) فلسطين فى ضوء الحق والعدل ـ هنرى كتن.

وعلى نقيض (العهدة العمرية) التى فرضت السلام والأمن، وحققت العدل والرعاية والحق لكل من وجدهم الإسلام فى بيت المقدس... أجل.. على النقيض من وثيقة عمر، ما إن دخل الصليبيون بيت المقدس؛ حتى عقدوا أول اجتماع لـ«ديوان المشورة العسكرية» قرروا فيه قتل كل مسلم بقى حياً فيها، ويستمر تنفيذ الإعدام الصليبى أسبوعاً كاملاً سجله المؤرخون النصارى بقولهم: إن الدماء وصلت فى رواق المسجد حتى الركب»...

ويقول مؤرخ نصرانى آخر: «لم يوفر الصليبيون أحداً من سيوفهم لا من الرجال ولا من النساء والعجزة ولا من الأطفال، وظن المسلمون أن مسجد عمر يحميهم من الموت، ولكن ظنهم خاب: إذ إن الصليبيين لحقوا بهم خيالة ومشاة ودخلوا المسجد المذكور. وأبادوا كل من وجدوه فيه بحد السيف».

ويقول كاتب نصرانى آخر: «ولم يميز النصارى فى إبادتهم بين رجل وامرأة أو بين صغير وكبير، وراحوا يتباهون بأنهم قتلوا سبعين ألفاً من المسلمين، وأنهم لم يغمدوا سيوفهم قبل أن خمدت نار الانتقام المتأججة فى قلوبهم(١).

ـ ولكن المؤرخ المسلم يتساءل هنا مستغرباً: الانتقام لأى شىء ياترى؟!

ـ والغريب.. أنه لما شاء الله أن نقهر هذه الغارة البربرية الصليبية، وظهر صلاح الدين الأيوبى.. الذى أعاد القدس إلى الإسلام، وكانت لديه الدوافع القوية للانتقام بكل معنى الكلمة، نظر لما ارتكبه النصارى من جرائم لاتحصى ولاتليق بإنسانية الإنسان طيلة الغزوة الصليبية...

الغريب أن صلاح الدين ـ باعتراف كل مؤرخى النصارى بلا استثناء ـ لم يحاول أن يتشفى أو ينتقم.. بل استولى على القدس دون أن تنتهك حرمة كنيسة، دون اعتداء على طفل أو شيخ أو عجوز...

ومع أن الذاكرة التاريخية لصلاح الدين تعى ماحدث لدماء سبعين ألفاً من المسلمين تباهى الصليبيون بأنهم أخمدوا بهم نار الانتقام المتأججة فى صدورهم ـ إلا أن صلاح الدين مع ذلك أبدى من ضروب التسامح الإسلامى ما أبقى ذكره خالداً فى التاريخ الإنسانى كله باعتراف النصارى قبل المسلمين.

(١) المفصلى فى تاريخ القدس ـ عارف العارف.



موسى ديان واسحق رابين يدخلان بوابات القدس القديمة فى عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧

يقول المؤرخ الصليبى «أرنولد»، الذى كان حاضراً ذلك اليوم المشهود: «لقد تقدم العادل إلى أخيه صلاح الدين يستوهبه ألفاً من هؤلاء الأرقاء فأجابه السلطان، ثم استوهبه بليان (الأمير) والبطريرك مثل العادل فأجابهم، وهنا التفت صلاح الدين إلى الحاضرين وقال: لقد أدى أخي صدقته، وكذلك فعل الأمير والبطريرك، والآن جاء دورى لتأدية صدقتى أنا.. فأمر رجالاً من حرسه أن ينطلقوا وينادوا فى شوارع القدس: إن كل عاجز عن دفع الفداء يستطيع أن يخرج وأنه حر لوجه الله(١).

ويقول المؤرخ الإنجليزى «كوكس»: «لقد لاقى اللاتين من رحمة صلاح الدين ولطفه وأنعامه فوق ما انتظروا. ومن المؤكد أن مثل هذه المعاهدة لو عقدت فى زمن بطرس الناسك وجود» فرى لخرقت ساعة النصر وانصب الويل على المغلوب.

إن هذه هى الحقيقة التى يعترف بها الإنجليزى «كوكس»...

لكن الذى لم يدركه «كوكس» هو أن القضية ليست فرقاً بين صلاح الدين وبطرس الناسك ـ لكنها «الفرق الكبير» بين تاريخ المسلمين وتاريخ غيرهم، وبين معاملة المسلمين لمخالفيهم ومعاملة غير المسلمين لمخالفيهم ومعاملة غيرهم من الأمم.

وما صفحة المسلمين البيضاء فى القدس إلا دليل واحد من جملة مئات الأدلة، التى قدمتها الحضارة الإسلامية من خلال عبورها أربعة عشر قرناً من الزمان.

* * *

وبالإضافة إلى هذا الحق الإسلامى فى بيت المقدس، والذى أثبتته مسيرة التاريخ، من خلال العرض الوجيز الذى قدمناه، والذى تفرضه طبيعة هذا البحث...

بالإضافة إلى هذا الحق التاريخى ـ فإن الأعراف والقوانين الدولية الحديثة تؤكد هذا الحق وتثبته ثبوتاً يقينياً!.

أجل: إن حق المسلمين فى القدس حق تاريخى، ودينى وقانونى، ويعتمد على كل مقومات السيادة التى تقرها الأعراف والدساتير والقوانين الدولية.

(١) محمود العابدى ـ قدسنا.

ففى هذه المدينة عاش المسلمون والعرب بصورة مستمرة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فضلاً عن وجود العرب السابق للإسلام.

ولا أحد فى هذا العالم يستطيع أن يقول من منطلق العقل لا من منطلق القوة والعدوان:

إن خريطة العالم يمكن أن تقسم من جديد وفقاً لفترات تاريخية انتهت من عشرات القرون.

إن هذا منطلق غير قانونى يعتمد على القوة وحدها، ولايستمد من القوانين الحديثة أية مشروعية(١)... وإلا فهل يمكن إعادة أمريكا إلى الهنود الحمر، وطرد الأوروبيين «الأنجلوساكسون»... مع أن الأوروبيين لم يدخلوا أمريكا إلا من فترة قصيرة عمرها أقل من أربعة قرون؟

وإذا كانت كل أسباب سيادة العرب المسلمين على القدس قائمة ـ فإنه لم يتوفر ـ من جهة أخرى ـ سبب من الأسباب المؤدية إلى فقدانهم للسيادة على هذه المدينة المقدسة. وإن وجود أقلية أخرى بها أو بغيرها من مدن فلسطين لايرتب لهذه الأقلية أى حق فى السيطرة على الإقليم بالقوة، وعن طريق استيراد مهاجرين (يهود) جدد من جنسيات مختلفة أو بتسهيلات من الدولة المنتدبة (بريطانيا)(٢)، ومعروف أن فى كل بلاد العالم أقليات ذات عقيدة دينية أو مذهبية مختلفة.. لكن لايوجد القانون الذى يعطى لهذه الأقليات حق «تكثير» نفسها، عن طريق استيراد عناصر خارجية ذات جنسيات أخرى.

بيت المقدس تحت الاحتلال الإسرائيلى:

مما لاشك فيه أن الصهيونية ترتبط ارتباطاً وثيقاً باليهود. فاليهودية إلى جانب أنها تعبر عن دين طائفة معينة، فهى كذلك حركة تاريخية امتدت جذورها إلى زوال مملكة يهوذا من الخريطة السياسية. وما الصهيونية إلا الجانب السياسى من اليهودية، وهى الامتداد الطبيعى والتطور التاريخى لها(٣).

(١) بروفسور ارنولد توينبى.
(٢) المركز القانونى لمدينة القدس ـ سالم الكسوانى.
(٣) منظمة التحرير الفلسطينية.

وتأتى مدينة القدس فى المحل الأول فى المخططات الصهيونية. وهى قمة أطماعها الأولى، ونقطة الارتكاز فى الاقتناع اليهودى، ويتضح معالم الخيط الاستعمارى الصهيونى من أقوال زعماء اليهود ومن تصريحات المسئولين فى الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.

قال «ناحوم عولدمان» الذى كان يشغل وطيفة الرئيس السابق للمؤ تمر اليهودى العالمى ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية: «كان يمكن لليهود أن يأخذوا أوغندة أو مدغشقر أو غيرهما من البقاع لتأسيس وطن يهودى. لكنهم لايريدون إلا فلسطين.. لأنها المركز الحقيقى للقوة السياسية العالمية والمركز الاستراتيجى للسيطرة على العالم».

وقال «هرتزل» زعيم الصهيونية: «إذا حصلنا يوماً على القدس، وكنت لاأزال حياً وقادراً على القيام بأى عمل، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها، وسوف أحرق الآثار التى مرت عليها قرون».

وقال «تيدى كوليك» رئيس بلدية القدس الإسرائيلى: «إن السيادة الإسرائيلية على القدس الموحدة أمر ضرورى...».

وقالت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة: إن أورشليم مدينتنا. وأنا لا أعرف وجود شعب اسمه الشعب الفلسطينى...».

وقال مناحيم بيجن رئيس وزراء إسرائيل الحالى: «إن القدس هى عاصمة إسرائيل إلى أبد الآبدين».

لقد ظلت القدس مدينة موحدة طيلة عصورها التاريخية، على الرغم من كونها أحد مراكز الصراع الدولى، وعلى الرغم من تعرضها للغزو والتخريب فى حدود ست عشرة مرة(١)، وعلى الرغم من تشابك مكانتها الدينية وما ينتج عن هذا التشابك من تعقيدات سياسية. إلا أن هذه الوحدة لم تدم بعد الحرب الفلسطينية اليهودية عام ١٩٤٨م-١٣٦٨هـ، بل تجزأت المدينة إلى قسمين أولهما: القدس القديمة: وهى التى يحيط بها سور القدس العتيق. وبها كل المقدسات: كالصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة وجدار البراق. وظل هذا القسم بيد العرب بعد الحرب المذكورة، وأصبح جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية.

(١) مجلة العربى - القدس فى القلب.

وثانيهما : القدس الجديدة : وهى التى تقع خارج السور القديم . وتتميز عن القدس القديمة بعمرانها الحديث ، وأحيائها وشوارعها المنظمة والمشجرة ،وحدائقها المنتشرة . وقد احتلت إسرائيل هذا القسم من أصحابه العرب عام ١٩٤٨م ـ ١٣٦٨هـ.

بدأت إسرائيل تمارس فى القسم الذى احتلته سياسة الإدارة القائمة على مبدأ الأمر الواقع الذى نجم عن الاحتلال . ومارست الإجراءات التى من شأنها تهويد هذا القسم من بيت المقدس ، كمرحلة أولى من مراحل أطماعها فى القدس جميعها ، على الرغم من كل أصوات الاحتجاج ، وعلى الرغم من كل المخالفات التى ترتكبها فى حق القانون الدولى والمواثيق الدولية ، وعلى الرغم من كل القرارات الصادرة عن هيئة الأمم التى تدين مثل هذه الأعمال .

شجعت إسرائيل الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودى فى القدس . وتحت ظل هذا الأسلوب الاستعمارى وصل عدد اليهود فى القدس إلى ١٩٠ ألفاً عام ١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ، من أصل مائة ألف عام ١٩٤٨م ـ ١٣٦٨هـ، وقد أدى هذا إلى تفوق سكانى يهودى فى المدينة المقدسة(١) .

وإمعاناً فى الظلم منعت إسرائيل عرب القدس الجديدة الذين طردتهم أثناء حرب عام ١٩٤٨م ـ ١٣٦٨هـ من العودة إلى أرضهم ومساكنهم وأملاكهم ، وكان عددهم وقتذاك فى حدود الستين ألفاً ، واعتبرتهم فى حكم الغائبين(٢) فصادرت أموالهم المنقولة وغير المنقولة .

وتجدر الإشارة إلى أن إسرائيل كانت قد نهجت عام ١٩٤٨م ـ ١٣٦٨هـ أسلوب الإرهاب والعنف فى حربها ضد الفلسطينيين . وارتكبت الكثير من المذابح ضدهم لإرغامهم على ترك مدنهم وقراهم . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مذبحة دير ياسين ومذبحة كفر قاسم وغيرهما . وتحت وطأة الأسلوب التنكيلى ، اضطر سكان أربعمائة مدينة وقرية إلى الرحيل من بلادهم ، واللجوء إلى البلاد العربية المجاورة .

وفى ٢٣ تشرين الأول من عام ١٩٥٠م ـ ١٣٧٠هـ أعلنت إسرائيل أن القدس عاصمة دولة إسرائيل ، ونقلت برلمانها (الكنيست) إليها . وبدأت فى تغيير معالم المدينة المحتلة تدريجياً : سكاناً وحضارة وعقاراً كخطوة من خطوات تهويد المدينة المقدسة .

(١) د. الإجراءات الصهيونية لتهويد القدس ـ خيرية قاسمية .

(٢) منظمة التحرير الفلسطينية .

وأخيراً فى ٧ حزيزان من عام ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ احتلت إسرائيل القسم المتبقى من مدينة القدس، وهو القدس القديمة. وتكون بذلك قد احتلت مدينة القدس بأكملها. وبعد ذلك باشرت إسرائيل بتنفيذ مواحل التهويد النهائية فيها ضمن عدد من الإجراءات والقرارات والأوامر العسكرية والإدارية والتشريعية والإرهابية.

مطامع اليهود فى المسجد الأقصى



صورة وضعها اليهود للمسجد الأقصى المبارك وفوقه الكلمات والرسوم العبرانية والشعار اليهودى

قضية القدس
فى التسوية السلمية (١)

برزت قضية القدس جزءاً أساسياً من قضية فلسطين منذ بدأ الغزو الاستعمارى الصهيونى لهما فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكانت القدس آنذاك عربية خالصة يعيش فيها أهلها العرب من مسلمين ونصارى وأفراد من اليهود العرب. وجاء بروز القضية لأن الغزاة أولوا أهمية خاصة للتسلل إلى القدس فى مرحلة التسلل الصهيونى (١٨٨٢ - ١٩١٧)، وبدأ واضحاً ما يبيتونه لاغتصاب القدس. وتجلى خطر الاغتصاب حقيقة واقعة، فى مرحلة التغلغل الصهيونى (١٩١٧ - ١٩٤٨) إبان الاحتلال البريطانى لفلسطين. وهكذا تحددت قضية القدس بكونها دفع الخطر الصهيونى الاستعمارى عنها قبل فوات الأوان. وقد خاطب الشاعر العربى الفلسطينى أميراً عربياً شاباً جاء لزيارة القدس عام ١٩٣٥ قائلاً: «المسجد الأقصى أجئت تزوره / أم جئت من قبل الضياع تودعه؟!».

فى عام ١٩٤٨ نجح الغزو الاستعمارى الصهيونى فى احتلال جزء كبير من القدس إبان الحرب، التى نشبت فى أعقاب انتهاء الانتداب البريطانى بترتيب من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فباتت قضية القدس هى تحرير هذا الجزء المحتل، الذى يمثل القسم الغربى من المدينة. وكان قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ قد تضمن تدويل المدينة المقدسة المباركة. مع إقامة دولتين فى فلسطين يهودية وعربية ولم يطبق.

استمرت الرؤية الفلسطينية العربية الحضارية الإسلامية لقضية القدس على أنها قضية مدينة محتلة وجزء من قضية فلسطين المحتلة، حلها هو «التحرير» طوال الفترة بين عامى

(١) د. أحمد صدقى الدجانى.

١٩٤٨ - ١٩٦٧ ، وتبنت منظمة التحرير الفلسطينية، حين تأسست عام ١٩٦٤ وجرى إعلان قيامها يوم ٢٨ / ٥ من على جبل الزيتون في القدس الشرقية، هذا المفهوم لقضية القدس الذى التقى عليه العرب والمسلمون على الصعيدين الشعبى والرسمى، كما تبنت المنظمة هدف تحرير القدس وفلسطين.

فى حرب عام ١٩٦٧ نجح الغزو الاستعمارى الصهيونى فى احتلال القسم الشرقى من مدينة القدس، وسارعت «إسرائيل» إلى إعلان ضمه إليها رسمياً، وباشرت عملية تهويده تدريجياً بإدخال المستعمرين المستوطنين فيه، وعملية «صهينته» بفرض العنصرية الصهيونية عليه، تماماً، كما فعلت مع القسم الغربى بين عامى ٤٨ و٦٧ ومع ارتفاع شعار «إزالة آثار عدوان عام ١٩٦٧» فى أجواء الوطن العربى وقبول الدولة العربية قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى (١١ / ١٩٦٧)، بدأ حدوث شق بين الرؤية الرسمية والرؤية الشعبية لقضية القدس عربياً، فالقدس المعنية فى المفهوم الشعبى عند الحديث عن تحريرها، هى القدس كليها الغربية والشرقية، القديمة والحديثة، مع قراها. بينما صار المفهوم الرسمى بقصد القدس الشرقية حيث يتحدث عن «الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، ومن قطاع غزة والضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية».

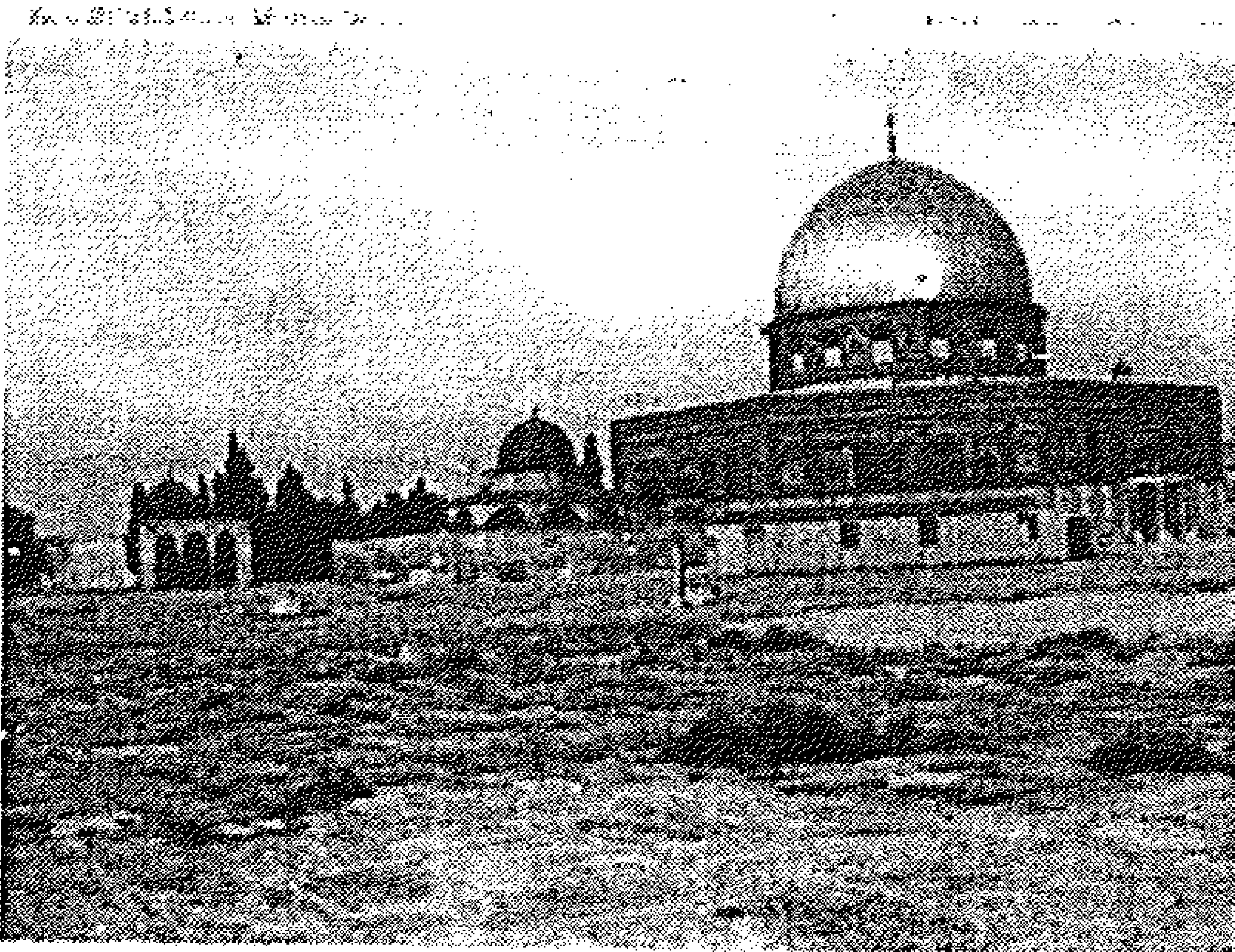
هذا الشق بين الرؤية الرسمية والرؤية الشعبية لقضية القدس، بدأ يحث فلسطينياً حين توجهت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى أن تصبح المنظمة طرفاً فى عملية تسوية محتملة، فكان أن تبنت برنامجاً مرحليًّا، وسعت إلى صدور قرار عربى بأنها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى فى مؤتمر الرباط عام ١٩٧٤ ، وأصبحت لها صفة المراقب فى الأمم المتحدة. وهكذا بدأت تستخدم مصطلحات فى قضية القدس وقضية فلسطين على السواء، تتناسب مع الحل المرحلى، مع الحرص على تخفيف وقع هذا التحول على جمهور الشعب بتأكيد التمسك «بالحقوق الوطنية الثابتة غير القابلة لتصرف» وبجميع قرارات الشرعية الدولية. وكان الانطلاق فى هذا «الاجتهاد» من تنسيق مع الموقف الرسمى العربى، ومن اعتماد منطق يقول بطلب «الممكن» مرحلياً.

أصبحت قضية القدس بفعل هذا الشق، بعد عام ١٩٦٧ ، على الصعيد العربى الرسمى مقتصرة على القدس الشرقية مع إشارات عامة لحقوق عربية فلسطينية نصت عليها قرارات الأمم المتحدة. وأصبحت كذلك على الصعيد الفلسطينى الرسمى، بعد عام ١٩٧٤ . وكرست

قرارات مؤتمر القمة العربى فى فاس عام ١٩٨٢ هذا المفهوم الرسمى لقضية القدس عربياً وفلسطينياً. وبقى المفهوم الشعبى لقضية القدس على حاله مستقراً فى أعماق الضمير الشعبى، يقول «هى القدس كلها التى يحتلها الصهاينة ولابد من تحريرها، كما حررها من قبل صلاح الدين من احتلال الفرنجة لها».

جديد برز على الصعيد الأمريكى بشأن قضية القدس، أثناء تكثيف الجهود الأمريكية لدفع الأطراف العربية إلى عملية التسوية السلمية، هو اتخاذ الكونجرس الأمريكى قرار بأن القدس عاصمة أبدية (كذا!!) لإسرائيل، وذلك فى ٢٢ / ٣ / ١٩٩٠، ثم تكرر فى عام ١٩٩٤، وفى ١٠ / ١٩٩٦. وهو قرار غير مسبوق فى شذوذه وعدوانه على العرب والمسلمين والمسيحيين والقانون الدولى. وكانت الإدارة الجمهورية فى عهد الرئيس ريجان قد أعلنت أن المستوطنات الصهيونية ليست غير شرعية، ولكنها تعكر أجواء المساعى للتسوية السلمية.

بلغ التحرك الأمريكى لتحديد سقف المفاوض العربى فى قضية القدس ذروته بعد زلزال الخليج عام ١٩٩١، من خلال ما قام به وزير الخارجية جيمس بيكر فى جولاته للتحضير لمؤتمر مدريد. وقد فرض المصمم الأمريكى لعملية سلام الشرق الأوسط بداية على الأطراف العربية تجنب طرح قضية القدس فى مفاوضات الفترة الانتقالية. وهكذا لم تتضمن الدعوة لحضور المؤتمر أى ذكر لقضية القدس أو إشارة لها. كما لم تجر الإشارة بشأن أساس المفاوضات إلا لقرارى ٢٤٢ و٣٣٨ دون ذكر لقرارات مجلس الأمن بشأن القدس، ولم يشر كل من بوش وجورباتشوف بكلمة فى خطابهما إلى القدس. واكتفى ممثل الجماعة الأوروبية بالقول «إن مواقفنا بشأن القضايا الخاصة بالأراضى المحتلة بما فى ذلك القدس الشرقية معروفة. وتحدث رئيس الجانب الفلسطينى فى الوفد الفلسطينى الأردنى المشترك د. حيدر عبدالشافى فى خطابه بمرارة شديدة عن تغيب القدس عن المؤتمر. بينما عبر اسحق شامير عن ارتياحه لتجنب المؤتمر موضوعها، وأنكر وجود قضية للقدس!!.



إسرائيل طردت ١٨٥ ألف فلسطيني من مدينة القدس منذ عام ١٩٤٨

كشف تقرير فلسطيني أن إسرائيل طردت حوالى ١٨٥ ألف مقدسى خلال الفترة من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٨٨ ، وأظهرت إحصائية أعدها «اللوبى من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان فى القدس» إن السلطات الإسرائيلية طردت حوالى ٨٠ ألفاً من عرب القدس عام ١٩٤٨ و٣٥ ألفاً من القدس الشرقية عام ١٩٦٧ وأخيراً نحو ٧٠ ألفاً «مقدسياً» على الهجرة والنزوح فى الفترة بين عامى ٦٨ و١٩٨٨ . و أكدت الإحصائية أن السلطات الإسرائيلية رفضت تسجيل آلاف الأطفال كمواطنين إضافة إلى تهجير عدة آلاف من الفلسطينيين وتحولهم إلى لاجئين.

وأكدت الإحصائيات مصادرة ٣٥ ألف دونم من الأراضى، التى يمتلكها الفلسطينيون عام ١٩٤٨ ، وأكثر من عشرة آلاف منزل وعقار تمت مصادرتها بين عامى ٦٧ و١٩٩٨ ، وحوالى ٧٦ ألف دونم صودرت وأعلنت كأراض زراعية خضراء، إلى جانب منع المواطنين من الدخول إلى القدس الشرقية سنوياً بزعم عدم الحصول على الترخيص إضافة إلى استخدام وسيلة الضرائب الباهظة لطرد الفلسطينيين(١).

وأشار اللوبى الفلسطينى فى تقريره إلى أن المدينة المقدسة تتعرض وعلى مدى الخمسين عاماً الماضية لسياسات وتراكمات عدوانية، يحاول الاحتلال من خلالها محو وتطهير الطبيعة السلمية للتعايش الدينى والوطنى، التى اتصفت بها القدس قبل احتلالها . وطالب التقرير بتطبيق وتنفيذ الإعلان الدولى والقرارات التى تضمن وتحمى الحقوق الفلسطينية فى القدس وخصوصاً قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ والإعلان العالمى لحقوق الإنسان

(١) لجنة حقوق الإنسان فى القدس.

ومعاهدة جنيف الرابعة، كما طالب بضرورة احترام القرارات والمعايير الدولية، التى تحمى وتؤكد حق المقدسين فى مدينتهم والعمل على استعادة هذا الحقوق.

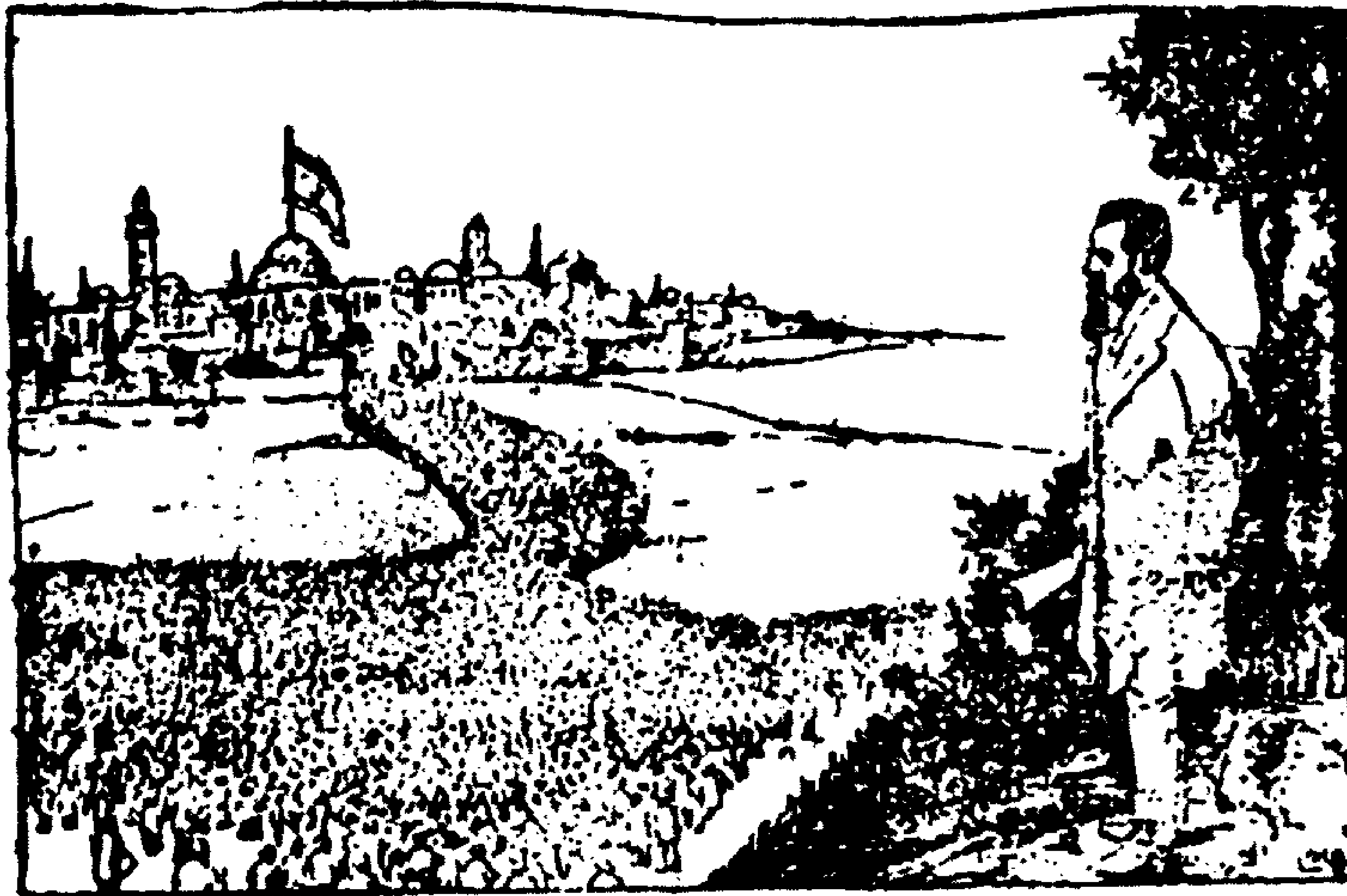
من ناحية أخرى، استمرت سياسة الاستيطان الإسرائيلية فى عديد من المدن الفلسطينية؛ حيث هاجم المستوطنون المواطنين الفلسطينيين فى مدينة بيت لحم بهدف طردهم وإقامة بؤر استيطانية جديدة فى منطقة الريف، على حساب مساحات واسعة من أراضى المواطنين الفلسطينيين.

עם ישראל חי! עם ישראל חי!


דאס אידישע פאלק

DOS YIDDISHE FOLK

דער חלום פערווירקליכט



صورة تمثل الدكتور هرتزل زعيم الصهيونية أمام المسجد الأقصى المبارك، يدعو جموع اليهود الزاخرة للدخول إلى الهيكل (المسجد الأقصى)



لوحة تمثل صلاح الدين الأيوبى يدخل القدس محرراً لها من الصليبيين..
فهل من صلاح الدين جديد يطهرها من الصهاينة !!؟
هذه اللوحة نقلاً عن كتاب بيت المقدس د. عبدالفتاح أبوعلية، ود. عبدالحليم عويس

ملاحق الكتاب

- الكتاب الأبيض أو الخطة السياسية للحكومة البريطانية مايو ١٩٣٩
- النص الإنجليزى لوعد بلفور
- إعلان قيام دولة إسرائيل
- قانون العودة الإسرائيلى
- مخططات تاريخية صهيونية
- جداول إحصائية
- خرائط

الكتاب الأبيض
أو الخطة السياسية الجديدة
للحكومة البريطانية
مايو سنة ١٩٣٩

١) كانت حكومة جلالته قد أعربت فى البيان الذى أصدرته عن فلسطين، فى اليوم التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٨ ، عن رغبتها فى دعوة مندوبين عن عرب فلسطين وبعض البلاد العربية المجاورة وعن الوكالة اليهودية للتفاهم بنتيجة إجراء مباحثات وافية مقرونة بمنتهى الحرية والصراحة. وقد عقدت فى الأونة الأخيرة مؤتمرات مع وفود العرب واليهود، استغرقت بضع أسابيع، وكانت هذه المؤتمرات وسيلة لتبادل الآراء بصورة مستكملة بين الوزراء البريطانيين ومندوبى العرب واليهود، وقد وضعت حكومة جلالته على ضوء المباحثات المشار إليها والحالة السائدة فى فلسطين وتقرير اللجنة الملكية، وتقرير لجنة التقسيم بعض المقترحات، وعرضت تلك المقترحات على وفود العرب واليهود كأساس لتسوية متفق عليها، غير أنه لم ترد وفود العرب ولا وفود اليهود أن فى استطاعتها قبول تلك المقترحات ولذلك لم تسفر المؤتمرات عن اتفاق. وبناء على ذلك ترى حكومة جلالته نفسها حرة فى وضع سياستها الخاصة. وقد قر رأيها بعد انعدام النظر الدقيق، على التمسك بصورة عامة بالمقترحات التى عرضت نهائيا على وفود العرب واليهود وبحثت معهم.

٢) لقد كان صك الانتداب على فلسطين، الذى أقر نصوصه مجلس عصبة الأمم فى سنة ١٩٢٢ أساس السياسة التى اتبعتها الحكومات البريطانية المتعاقبة زهاء عشرين عاما، وهذا الصك ينطوى على تصريح بلفور، ويفرض على الدولة المنتدبة أربعة التزامات رئيسية، وقد بسطت هذه الالتزامات فى المواد الثانية والسادسة والثالثة

عشر من صك الانتداب ومن بين هذه الإلزامات التزام لم يقم أى خلاف حول تفسيره، وهو الالتزام الذى يبحث فى حماية الأماكن المقدسة والمعانى والمواقع الدينية وتسهيل الوصول إليها، أما الالتزامات الأخرى فهى إجمالاً كما يلى:

١ - وضع البلاد فى أحوال سياسية وادارية واقتصادية من شأنها أن تضمن إنشاء وطن قومي للشعب اليهودى فى فلسطين، وتسهيل هجرة اليهود فى فلطسين، وتسهيل هجرة اليهود فى أحوال ملائمة وتشجيع حشد اليهود فى الأراضى بالتعاون مع الوكالة اليهودية.

٢ - صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين، بقطع النظر عن العنصر والدين وضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالى الأخرى، مع تسهيل الهجرة واستيطان اليهود فى الأراضى.

٣ - وضع البلاد فى أحوال سياسية وادراية واقتصادية من شأنها أن تضمن ترقية مؤسسات الحكم الذاتى.

٣) ولقد لفتت اللجنة الملكية ولجان التحقيق الأخرى التى سبقتها النظر إلى الغموض المحيط ببعض العبارات الواردة فى صك الانتداب كعبارة (وطن قومي للشعب اليهودى)، ووجدت فى هذا الغموض وفيما نشأ عنه من الريبة حول الأهداف التى ترمى اليها الخطة السياسية سبباً أساسيًّا للقلق والشحناء بين العرب واليهود.

إن حكومة جلالته مقتنعة أن مصلحة السلام ورفاه جميع أهالى فلسطين تحتم وضع تعريف صريح لخطة السياسة ولأهدافها. ولقد كان من شأن اقتراح التقسيم الذى أوصت به اللجنة الملكية أن يوفر مثل هذه الصراحة، غير أنه وجد أن دولتين مستقلتين ضمن فلسطين إحداهما عربية والأخرى يهودية، يكون فى استطاعتهما سد نفقاتهما بذاتهما ليس من الأمور العملية؛ ولذلك كان لزاماً على حكومة جلالته أن تستنبط بدلا من التقسيم سياسة أخرى، من شأنها أن تفى بما تتطلبه الحالة فى فلسطين على وجه يتفق مع الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب ونحو اليهود، وقد أدرج آراء ومقترحات حكومة جلالته ادناه فى ثلاثة أبواب، هى: (١) الدستور (٢) الهجرة (٣) الأراضى.

١ ـ الدستور

٤ ـ لقد قيل في معرض الجدل أن عبارة (وطن قومي للشعب اليهودى) تفسح المجال لصيرورة فلسطين على مرور الزمن دولة أو مملكة يهودية. إن حكومة جلالته لا تود أن تقارع الرأى الذى أعربت عنه اللجنة الملكية، وهو أن الزعماء الصهيونيين كانوا يدركون حين صدور تصريح بلفور أن نصوص ذلك التصريح لا تحول دون قيام دولة صهيونية في النهاية. غير أن حكومة جلالته تشاطر اللجنة الملكية الاعتقاد بأن واضعى صيغة الانتداب الذى أدمج فيه تصريح بلفور لا يمكن أن يكونوا قد قصدوا تحويل فلسطين إلى دولة يهودية، خلافاً لإرادة سكان البلاد العرب، أما أنه لم يكن المقصود تحويل فلسطين إلى دولة يهودية فيمكن استنتاجه ضمناً من الفقرة التالية المقتبسة عن الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٢٢.

(لقد قيلت أقوال غير مصرح بها مؤداها أن الغاية إليها من هذا التصريح هى جعل فلسطين يهودية برمتها، واستعملت عبارات كمثل القول بأن فلسطين ستصبح يهودية كما أن انجلترا انجليزية. وحكومة جلالته تعتبر أن كل أمل كهذا غير ممكن التحقيق. وهى لا ترمى إلى مثل هذا الهدف، كما أنه لم يخطر في بالها في أى وقت من الأوقات أن يزول الشعب العربى أو اللغة أو الثقافة العربية في فلسطين، أو أن تصبح مسيطرا عليها. وهى تود أن تلفت النظر إلى نص التصريح المشار إليه (أى تصريح بلفور) لا يرمى إلى تحويل فلسطين بكليتها إلى وطن قومى يهودى، بل إلى أن وطنا كهذا سيؤسس في فلسطين) غير أن هذا البيان لم يزل الشكوك، ولذلك فإن حكومة جلالته تصرح الآن بعبارة، لا لبس فيها ولا إبهام، أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وهى تعتبر في الواقع أن مما يخالف الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الإنتداب والتأكيدات، التى أعطيت للشعب العربى فيما مضى، أن يجعل سكان فلسطين العرب رعايا دولة يهودية خلافا لإرادتهم.

٥ ـ وقد وصفت ماهية الوطن القومي اليهودى وصفا أوفى في الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٢٢ على الوجه التالى:

(لقد أعاد اليهود فى القرنين أو الثلاثة قرون الأخيرة تكوين طائفة لهم فى فلسطين، يبلغ عددها الآن ثمانين ألفا ربعهم مزارعون أو عملة فى الأرض، ولهذه الطائفة هيئاتها السياسية الخاصة ومجتمع منتخب لإدارة شئونها الداخلية ومجالس منتخبة فى المدن، وهيئة للإشراف على مدارسها، ولها رئاسة ربانية منتخبة ومجلس ربانى منتخب لإدارة شئونها الدينية

وتستعمل هذه الطائفة اللغة العبرية كلغة محلية، ولها صحف محلية تفى بحاجتها، وهى تتبع نمطا تهذيبيا يميزها عن سواها. وتبدى نشاطا كبيرا فى الحركة الاقتصادية؛ فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن وبتشكيلاتها السياسية والدينية والاجتماعية ولغتها الخاصة وعاداتها وطرق معيشتها الخاصة لها فى الحقيقة مميزات قومية. ولو سأل سائل عن معنى تنمية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، لأمكن الرد عليه بأنها لا تعنى فرض الجنسية اليهودية على أهالى فلسطين إجمالاً، بل زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين فى أنحاء العالم؛ حتى تصبح مركزا يكون فيه للشعب اليهودى برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والعنصرية. ولكى يكون لهذه الطائفة خير أمل فى التقدم الحر ويفسح للشعب اليهودى مجال واف يظهر فيه كفايته، كان من الضرورى أن يعلم أن وجوده فى فلسطين هو كحق وليس كمنه.

ذلك هو السبب الذى جعل من الضرورى ضمان وجود وطن قومى لليهود فى فلسطين ضمانا دوليا والاعتراف رسميا بأن يستند إلى صلة تاريخية قديمة).

٦ - أن حكومة جلالته تتمسك بهذا التفسير لتصريح سنة ١٩١٧، وتعتبره وضعا معتمدا وشاملا لماهية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين وهذا التفسير ينطوى على اطراد نمو الطائفة اليهودية الموجودة فى البلاد بمساعدة اليهود الموجودين فى أنحاء العالم. ومما يقيم الدليل على أن حكومة جلالته ما فتئت تقوم بالتزاماتها من هذه الناحية، أنه منذ صدور بيان الخطة السياسية سنة ١٩٢٢ هاجر إلى فلسطين ما يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ يهودى، وأن عدد سكان الوطن القومى قد ارتفع حتى بلغ نحو ٤٥٠,٠٠٠ نسمة، أو ما يقرب من ثلث سكان البلاد برمتهم. هذا وأن الطائفة اليهودية لم تقتصر من جهتها فى اغتنام الفرص التى أتيحت لها إلى أقصى حد؛ فنمو الوطن القومى اليهودى وما توصل إليه أتيانه فى كثير من الميادين هو مجهود إنشائى جدير بالاعتبار، وجدير بأن ينال إعجاب العالم، وبأن يكون على الأخص مصدر فخر للشعب اليهودى.

٧ - لقد رددت الوفود العربية فى سياق المباحثات الأخيرة الحجة القائلة بأن فلسطين مشمولة فى المنطقة، التى تعهد السيد هنرى مكماهون بالنيابة عن الحكومة البريطانية فى شهر أكتوبر سنة ١٩١٥ أن يعترف باستقلال العرب فيها ويؤيده. وقد بحث مندوبون من البريطانيين والعرب خلال المؤتمرات، التى عقدت مؤخرا فى لندن فى صحة هذا الإدعاء الذى يستند إلى المراسلات المتبادلة بين السير هنرى مكماهون وشريف مكة، بحثاً مقروناً بالدقة

والعناية، ويقول تقريرهم الذى تم نشره أن المندوبين العرب والبريطانيين بذلوا جهدهم ليفهم كل فريق منهما وجهة نظر الفريق الآخر، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى اتفاق حول تفسير هذه المراسلات، ولا حاجة هنا إلى تلخيص الحجج التى أوردها كل من الفريقين. إن حكومة جلالته تأسف لسوء الفهم الذى نشأ حول بعض العبارات المستعملة فى تلك المراسلات وهى من جهتها استنادا إلى الأسباب التى بسطها مندوبها فى التقرير لا يسعها إلا أن تتمسك بالرأى القائل أن جميع فلسطين الواقعة غربى الأردن كانت قد استثنيت من العهد الذى قطعه السير هنرى مكماهون، وهى لذلك لا تستطيع أن توافق على أن مراسلات مكماهون تشكل أساسا عادلا للادعاء بوجوب تحويل فلسطين إلى دولة عربية مستقلة.

٨ ـ إن حكومة جلالته ملزمة بصفتها الدولة المنتدبة (أن تضمن ترقية مؤسسات الحكم الذاتى) فى فلسطين وهى، عدا هذا الالتزام المعين تعتبر أن إبقاء سكان فلسطين تحت تدريب الدولة المنتدبة إلى الأبد يخالف روح نظام الانتداب من أساسه. فمن الصواب أن يتمتع أهل البلاد بما أمكن من السرعة بحقوق الحكم الذاتى التى يمارسها أهالى البلاد المجاورة. إن حكومة جلالته لا تستطيع فى الوقت الحاضر أن تتنبأ بشكل الحكم الدستورى الذى ستصطبغ به حكومة فلسطين فى النهاية، ولكن الهدف الذى ترمى إليه هو إقامة الحكم الذاتى وهى ترغب فى أن ترى قيام دولة فلسطينية مستقلة فى النهاية. وينبغى أن تكون تلك الدولة دولة يساهم فيها الشعبان المقيمان فى فلسطين، العرب واليهود بممارسة سلطة الحكم على وجه يكفل ضمان المصالح الرئيسية لكل من الفريقين.

٩ ـ إن تشكيل دولة مستقلة فى فلسطين والتخلى التام عن رقابة الانتداب فيها سيتطلبان نشوء علاقات ما بين العرب واليهود، من شأنها أن تجعل حكم البلاد صالحا فى حيز الإمكان. أضف إلى ذلك أن نمو مؤسسات الحكم الذاتى فى فلسطين لا بد له أن يسير على قاعدة النشوء والارتقاء شأنه فى البلاد الأخرى فقبل الوصول إلى الاستقلال، لابد من فترة انتقال تحتفظ خلالها حكومة جلالته بالمسئولية النهائية بصفتها السلطة المنتدبة، بينما يزداد فى أثنائها نصيب أهالى البلاد فى الاضطلاع بالحكم، وتنمو فيهم روح التفاهم والتعاون وستبذل حكومة جلالته جهودها المتواصلة لترويج نمو العلاقات الطيبة بين العرب واليهود.

١٠ ـ وعلى ضوء هذه الاعتبارات، تصدر حكومة جلالته التصريح التالى معلنة فيه نواياها بشأن حكومة فلسطين المقبلة.

١ ـ إن الهدف الذى ترمى إليه حكومة جلالته هو أن تشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين بطلباتهما التجارية والحربية فى المستقبل ضمانا مرضيا . وهذا الاقتراح بتشكيل دولة مستقلة من شأنه أن ينطوى على التشاور مع مجلس عصبة الأمم بقصد إنهاء الانتداب .

٢ ـ إن الدولة المستقلة يجب أن تكون دولة يساهم العرب واليهود فى حكومتها على وجه يضمن صيانة المصالح الأساسية لكل من الفريقين .

٣ ـ يكون تشكيل الدولة المستقلة مسبوقا بفترة انتقال تحتفظ حكومة جلالته خلالها بمسئولية حكم البلاد . وفى أثناء فترة الانتقال يعطى أهل فلسطين نصيب متزايد فى حكومة بلادهم، وستتاح لكلا فريقى السكان فرصة للاشتراك فى إدارة الحكومة وسيسار فى هذه العملية ، سواء اغتنم كلا الفريقين هذه الفرصة أم لا .

٤ ـ حالما بيتوطد النظام والأمن فى فلسطين توطيدا كافيا تتخذ التدابير لتنفيذ هذه السياسة ألا وهى أعطاء أهل فلسطين نصيبا متزايدا فى حكومة بلادهم . والهدف الذى يرمى إليه هو تولية الفلسطينيين زمام جميع دوائر الحكومة بمساعدة مستشارين بريطانيين، خاضعاً ذلك لرقابة المندوب السامى . وتحقيقاً لهذه الغاية ستكون حكومة جلالته مستعدة لإجراء الترتيبات اللازمة لتولية الفلسطينيين فوراً زمام بعض الدوائر من مستشارين بريطانيين . ويكون رؤساء الدوائر الفلسطينية أعضاء فى المجلس التنفيذى الذى يزود المندوب السامى بالمشورة . ويدعى مندوبون عن العرب واليهود لتولى مناصب رؤساء الدوائر ، بنسبة عدد السكان من كل من الفريقين على وجه التقريب ، ويزداد عدد الفلسطينيين الذين يتولون زمام الدوائر كلما سمحت الظروف بذلك ، إلى أن يصبح رؤساء جميع الدوائر فلسطينيين يمارسون المهام الادارية والاستشارية التى يقوم بها الآن الموظفون البريطانيون ، وعند بلوغ تلك المرحلة ينظر فى تحويل المجلس التنفيذى إلى مجلس وزراء ، مع إجراء ما يترتب على ذلك من التغيير فى وضع ومهام رؤساء الدوائر الفلسطينيين .

٥ ـ إن حكومة جلالته لا تتقدم فى هذه المرحلة بأية مقترحات حول تشكيل هيئة تشريعية منتخبة ، ولكنها على الرغم من ذلك تعتبر هذا الأمر تطورا دستوريا فى محله ، وإذا أعرب الرأى العام فى فلسطين فيما بعد عن تحبيذه لمثل هذا التطور ، تكون حكومة جلالته مستعدة لتشكيل الادارة اللازمة ، بشرط أن تسمح الأحوال المحلية بذلك .

٦ ـ لدى إمضاء خمسة سنوات على توطيد الأمن والنظام، تشكل هيئة ملائمة من ممثلى أهل فلسطين وحكومة جلالته للنظر فى سير الترتيبات الدستورية، خلال فترة الانتقال وللبحث فى وضع دستور لدولة فلسطينية وتقديم التواصى بذلك الشأن.

٧ ـ وستتطلب حكومة جلالته أن تقتنع بأن المعاهدة المنظور عقدها فى البند الأول أو الدستور المنظور وضعه فى البند السادس أعلاه قد ضمن النصوص الوافية:

(أ) لحماية الأماكن المقدسة وتسهيل الوصول إليها وحماية مصالح وأملاك الهيئات الدينية المختلفة.

(ب) لحماية مختلف الطوائف فى فلسطين وفقاً للالتزامات المترتبة على حكومة جلالته نحو العرب ونحو اليهود، وفيما يتعلق بالوضع الخاص الذى للوطن القومى اليهودى فى فلسطين.

(ج) بشأن الأمور المطلوبة لملاقاة الحالة الحربية مما قد تعتبره حكومة جلالته ضروريا على ضوء الظروف، التى تكون سائدة فى ذلك الحين.

وستتطلب حكومة جلالته أيضاً أن تقتنع بأن المصالح التى لبعض البلاد الأجنبية فى فلسطين والتى تضطلع حكومة جلالته الان بمسئولية المحافظة عليها هى مصونة صيانة وافية.

٨ ـ وستبذل حكومة جلالته كل ما فى وسعها لإيجاد ظروف تمكن الدولة الفلسطينية المستقلة من الخروج إلى حيز الوجود خلال عشر سنوات. وإذا ظهر لحكومة جلالته لدى امضاء عشر سنوات أن الظروف تتطلب إرجاء تشكيل الدولة المستقلة خلافا لما تأمله فإنها تتشاور مع ممثلى أهالى فلسطين ومجلس عصبة الأمم والدول العربية المجاورة، قبل اتخاذ قرار بشأن هذا الإرجاء. فإذا أقر رأى حكومة جلالته أنه لا مناص من هذا الارجاء فإنها تدعو هؤلاء الفرقاء للتعاون معها فى وضع خطط للمستقبل؛ بقصد الوصول إلى الهدف المنشود فى أقرب وقت ممكن.

٩ ـ وستتخذ التدابير أثناء فترة الانتقال لزيادة سلطات ومسئوليات البلديات والمجالس المحلية.

٢ ـ المهاجرة

١٠ ـ إن إدارة فلسطين مكلفة بمقتضى المادة السادسة من صك الانتداب «بتسهيل هجرة اليهود فى أحوال ملائمة، مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الأهالى الأخرى» باستثناء ما تقدم لم يحدد مدى الهجرة اليهودية المسموح بها إلى فلسطين فى أى موضع آخر من صك الانتداب، ورد فى الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٢٢ (رقم ١٧٠٠) أنه تنفيذاً لسياسة إنشاء وطن قومى يهودى:

« من الضرورى أن تتمكن الطائفة اليهودية فى فلسطين من زيادة عددها عن طريق المهاجرة، وهذه المهاجرة لا يمكن أن يكون مقدارها بحيث تتجاوز قدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب الجدد. ومن المحتم ضمان عدم صيرورة المهاجرين عبئاً على أهالى فلسطين عموما، وأن يحرموا أية فئة من السكان الحاليين من عملهم.

ومن الواجهة العملية. اعتبرت قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب منذ ذلك التاريخ فصاعدا، وحتى الأونة الأخيرة العامل الوحيد الذى تحدد الهجرة على أساسه، وورد فى الكتاب الذى أرسله المستر رمزى مكدونالد بصفته رئيسا للوزارة إلى الدكتور وايزمن فى شهر شباط سنة ١٩٣١ فى معرض بسط الخطة السياسية، أن قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب هى الاساس الوحيد لتحديد الهجرة، ثم أيدا هذا التفسير بقرارات اتخذتها لجنة الانتدابات الدائمة. لكن حكومة جلالته لا ترى فى بيان الخطة السياسية الصادر سنة ١٩٢٢ ولا فى كتاب رئيس الوزراء الصادر سنة ١٩٣١ ما يمكن تفسيره بأن صك الانتداب يقضى عليها فى جميع الأوقات، وفى كافة الظروف، أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين على أساس اعتبار قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب دون سواها، كما أنها لا تجد فى صك الانتداب ولا فى بيانات الخطط السياسية التى صدرت بعده ما يؤيد الرأى القائل بأن إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين لا يمكن تحقيقه إلا إذا سمح للهجرة بالاستمرار إلى مالا نهاية له، فإذا كانت الهجرة تؤثر فى وضع البلاد الاقتصادى تأثيراً سيئاً فمن الواضح أنه يجب تقييدها.

وكذلك الحال إذا كان للهجرة أثر يضر ضرراً خطيراً بوضع البلاد السياسى، فإن ذلك عامل يجب أن لا يغفل. ومع أنه ليس من الصعب أن يقال ـ فى معرض الجدل ـ بأن ذلك العدد الكبير من المهاجرين اليهود الذين دخلوا البلاد حتى الآن قد استوعبتهم البلاد من الناحية الاقتصادية، فإن المخاوف التى تساور العرب من أن هذه الهجرة المتدفقة ستستمر إلى

ما لا نهاية له حتى يصبح السكان اليهود فى وضع يمكنهم من السيطرة عليهم، قد أسفرت عن نتائج عظيمة الخطورة لليهود والعرب على السواء ولسلام ورفاه فلسطين. فما هذه الاضطرابات المفجعة التى وقعت خلال السنوات الثلاث الماضية إلا آخر وأثبت مظهر برزت فيه تلك المخاوف العظيمة التى تساور العرب. إن الأساليب التى سلكها الإرهابيون العرب ضد مواطنيهم من العرب وضد اليهود على السواء يجب أن تقابل بالاستنكار المطلق. غير أنه لا يمكن الإنكار أن الخوف من أستمرار الهجرة اليهودية استمرارا لا نهاية له، منتشر انتشاراً واسع بين السكان العرب. وأن هذه المخاوف هى التى هيأت السبل لوقوع الاضطرابات التى صدمت تقدم البلاد الاقتصادى صدمة عنيفة، واستنزفت خزينة فلسطين وجعلت الناس غير مطمئنين على أرواحهم وأموالهم، وخلقت بين السكان العرب واليهود مرارة يؤسف لحدوثها بين مواطنى بلاد واحدة. ولو استمرت الهجرة فى هذه الظروف إلى الحد الأعلى الذى تسمح به قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب، بقطع النظر عن سائر الاعتبارات الأخرى لأدى ذلك إلى تخليد عداوة قاتلة بين الشعبين، ولأمكن أن تصبح الحالة فى فلسطين عندئذ مصدراً دائماً للاحتكاك بين جميع شعوب الشرق الأدنى والأوسط، وحكومة جلالته لا يسعها أن تأخذ بالرأى القائل أن الألتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب، أو أن العقل الراجح والعدالة، تقضى عليها بتجاهل هذه الظروف لدى وضع سياستها بشأن فلسطين.

١١ ـ لقد كان من رأى اللجنة الملكية أن إدماج سياسة تصريح بلفور بنظام الانتداب ينطوى على الاعتقاد بإمكان التغلب على موقف العرب العدائى من ذلك التصريح عاجلا أو آجلا، ولقد كانت الحكومة البريطانية منذ صدور تصريح بلفور تأمل أن يرضى السكان العرب، مع مرور الزمن على اطراد نمو الوطن القومى اليهودى، بعد أن يدركوا الفوائد التى سيجنونها من الاستيطان والعمران اليهودى فى فلسطين، ولكن هذا الأمل لم يتحقق. وأصبح على حكومة جلالته الآن أن تختار بين سياستين فهى:

(١) إما أن تعمل على توسيع الوطن القومى توسيعا لا نهاية له عن طريق الهجرة ضد رغبات سكان البلاد من العرب وقد أعربوا عنها بكل شدة.

(٢) أو أن تسمح بزيادة توسيع الوطن القومى اليهودى عن طريق الهجرة إذا كان العرب على استعداد للقبول بتلك الهجرة ولكن ليس دون ذلك، أما السياسة الأولى فمؤداها الحكم بالقوة وهى بقطع النظر عن الاعتبارات الأخرى، تخالف فى رأى حكومة جلالته روح المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم كل المخالفة، كما أنها تناقض أيضا الالتزامات الصريحة المترتبة عليها نحو العرب

بموجب صك الانتداب على فلسطين. أضف إلى هذا أن العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين، لابد لها أن تبنى عاجلا أم آجلا على أساس تبادل التسامح والنية الطيبة، فسلام الوطن القومي اليهودى نفسه وسلامته وتقدمه تتطلب ذلك. لذلك قررت حكومة جلالته بعد إنعام النظر والتدقيق، وبعد اعتبار المدى سهل فيه نمو الوطن القومي اليهودى خلال السنوات العشرين الماضية، أنه قد حان الوقت للآخذ من حيث المبدأ بالسياسة الثانية من السياستين المشار إليهما أعلاه.

١٢ ـ لقد طلب بإلحاح وقف كل هجرة أخرى إلى فلسطين فى الحال. إن حكومة جلالته لاتستطيع أن تقبل باقتراح كهذا؛ إذ أن من شأنه أن يلحق الضرر بنظام فلسطين المالى والاقتصادى بأجمعه، وبذلك يؤثر تأثيرا سيئا فى مصالح العرب واليهود على السواء. ثم إن حكومة جلالته ترى أنه ليس من الإنصاف للوطن القومي اليهودى وقف كل هجرة أخرى وقفا فجائيا. غير أن حكومة جلالته فضلا عن هذا كله تلم بالمحنة القاسية التى يعانيها الآن عدد كبير من اليهود، الذين يلتمسون ملجئاً يلجأون إليه من بعض البلاد الأوروبية. وهى تعتقد أن فى استطاعة فلسطين أن تساهم بنصيب آخر فى سبيل حل هذه المشكلة العالمية الملحة، وأنه ينبغى لها أن تقوم بذلك. وفى جميع هذه الظروف تعتقد أنها باتخاذها المقترحات التالية بشأن الهجرة تكون قد سارت وفقا لالتزامات الانتداب الملقاة على عاتقها إزاء العرب واليهود، وفى خير طريق يؤدى إلى خدمة مصالح سكان فلسطين بأسرهم، وهذه المقترحات هى كما يلى:

(١) تكون الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية بمقدار من شأنه أن يزيد عدد السكان اليهود فى فلسطين إلى ما يقرب من ثلث مجموع سكان البلاد، بشرط أن تسمح قدرة الاستيعاب الاقتصادية بذلك، فإذا أخذت بعين الاعتبار الزيادة الطبيعية المتوقع حصولها فى عدد السكان العرب واليهود، وحسب حساب عدد المهاجرين اليهود غير الشرعيين الموجودين الآن فى البلاد، فإن ذلك يسمح بإدخال نحو ٧٥,٠٠٠ مهاجر يهودى خلال السنوات الخمس التالية اعتبارا من أول شهر إبريل من السنة الحالية وسينظم دخول هؤلاء المهاجرين، مع مراعاة قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب على أساس القاعدة التالية:

١ ـ يسمح فى كل سنة من السنوات الخمس التالية بدخول حصة من المهاجرين اليهود يتجاوز مقدارها ١٠,٠٠٠ شخص، مع العلم أن كل نقص يقع فى أية سنة يمكن أن يضاف إلى حصص السنين التالية خلال مدة السنوات الخمس، بشرط أن تسمح بذلك قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب.

ب ـ بالإضافة إلى ذلك ومن قبيل المساهمة فى حل مشكلة اللاجئين اليهود يسمح بدخول ٢٥,٠٠٠ لاجىء إلى البلاد، حالما يقتنع المندوب السامى بأن الوسائل الواقية لإعالتهم قد أصبحت مضمونة، ويرجح من هؤلاء اللاجئين الأطفال والمعالون.

(٢) يحتفظ بالأداة الحالية لتقرير قدرة البلاد الإقتصادية على الاستيعاب ويضطلع المندوب السامى بالمسئولية النهائية فى تقرير حدود قدرة الاستيعاب الاقتصادية، ويستنير برأى مندوبين من اليهود والعرب قبل اتخاذ قراره بشأن كل فترة.

(٣) لدى انقضاء السنوات الخمس المشار إليها، لا يسمح بهجرة يهودية أخرى إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد القبول بها.

(٤) إن حكومة جلالته مصممة على قمع الهجرة غير المشروعة، وتتخذ الآن إجراءات للحيلولة دونها، وإذا أفلح عدد المهاجرين غير الشرعيين فى دخول البلاد، على الرغم من تلك الإجراءات، وكان هؤلاء ممن لا يمكن إبعادهم، يترك عددهم من الحصص السنوية.

١٣ ـ أن تكون حكومة جلالته مقتنعة أنه متى تمت الهجرة التى يفكر فيها الآن على مدار السنوات الخمس المشار إليها لن يكون لها مبرر، كما أنها لن تكون تحت طائلة أى التزام لتسهيل إنشاء الوطن القومى اليهودى، عن طريق السماح بهجرة أخرى بقطع النظر عن رغبات السكان العرب.

٣ ـ الأراضى

١٤ ـ إن المادة السادسة من صك الانتداب تقضى على إدارة فلسطين بتسهيل حشد اليهود فى الأراضى، مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الأهالى الأخرى، ولم يعرض لغاية الآن أى قيد على انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود، وقد دلت التقارير التى وضعتها مختلف لجان الخبراء على أنه بالنظر لنمو عدد السكان العرب الطبيعى واستمرار بيع الأراضى من العرب إلى اليهود فى السنوات الأخيرة، لا يوجد الآن فى بعض المناطق أى مجال لانتقال الأراضى من العرب إلى اليهود، فى حين أنه لا بد من وضع القيود على انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود فى بعض المناطق الأخرى، إذا كان يراد احتفاظ المزارعين العرب بمستوى معيشتهم الحالى، والحيلولة دون تكوين جماعة كبيرة من العرب ممن لا أراضى لهم.

وبالنظر لهذه الظروف سيمنح المندوب السلمى سلطات عامة تخوله تنظيم انتقال الأراضى. وسيبدأ العمل بهذه السلطات من تاريخ نشر هذا البيان ويحتفظ المندوب السامى طيلة فترة الانتقال بها.

١٥ ـ وستنصرف سياسة الحكومة إلى إعمار الأراضى وتحسين الأساليب الزراعية حيثما يكون ذلك ممكنا وعلى ضوء هذا العمران سيباح للمندوب السامى لدى اقتناعه بأن حقوق ووضع السكان العرب قد حفظت حفظا تاما، بأن يعيد النظر فى أية أوامر أصدرها بمنع انتقال الأراض أو تقيده أو تعديل تلك الأوامر.

١٦ ـ لقد بذلت حكومة جلالته لدى وضعها هذه المقترحات جهدها بإخلاص للتقيد بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب نحو العرب واليهود معا. فإن غموض العبارات التى استعملت فى بعض الحالات لوصف هذه الالتزامات قد أدى إلى المشادة وجعل مهمة تفسير تلك العبارات شاقة، أن حكومة جلالته لا يمكنها أن تأمل بإرضاء الذين يتحيزون لهذا الفريق أو ذاك فى هذه المشادة التى نشأت عن صك الانتداب. والغاية التى ترمى إليها هى أن تقف موقف الإنصاف بين الشعبين المقيمين فى فلسطين اللذين تناولت الحوادث العظمى التى وقعت فى السنوات الأخيرة مقدرتهما فى تلك البلاد، واللذين يتحتم عليهما أن يتدربا على تبادل التسامح والنية الحسنة والتعاون، مادامًا سيعيشان جنبا إلى جنب فى فلسطين. وحكومة جلالته إذ تنظر إلى المستقبل لا يغرب عن بالها أن بعض الحوادث التى وقعت فى الماضى ستجعل إنشاء هذه العلاقات مهمة شاقة، غير أنه مما يشجعها على هذا الأمل أن العرب واليهود كثيرا ما عاشوا معا فى السنوات الأخيرة بصفاء فى أماكن عديدة من فلسطين. إن على كل طائفة من هاتين الطائفتين أن تساهم بنصيب وافر فى سبيل رفاه بلادهما المشتركة، ولا بد لكل منهما أن تجنح إلى السلم بنية صادقة كى يتاح لها أن تساهم فى العمل على اطراد رفاه أهل البلاد جميعهم. وما يزيد فى خطورة التبعة الملقاه على عاتق حكومة جلالته من حيث التعاون معا فى سبيل تأمين السلام أن البلاد يقدسها فى كافة أنحاء العالم ملايين عديدة من المسلمين واليهود والمسيحيين، الذين يبتهلون إلى الله أن يخيم السلام فى ربوعها وأن يوفر أسباب السعادة لأهلها.

Foreign Office,

November 2nd, 1917

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Y. sincerely

Arthur James Balfour

النص الأصلي لعهد بلفور بإمضائه الخطي

إعلان قيام دولة إسرائيل

أرض إسرائيل هى مهد الشعب اليهودى، هنا تكونت هويته الروحية والدينية والسياسية. وهنا أقام دولته للمرة الأولى، وخلق قيمة حضارية ذات مغزى قومى وإنسانى جامع، وفيها أعطى للعالم كتاب الكتب الخالد.

بعد أن نفى من بلاده عنوة حافظ الشعب على إيمانه بها طيلة مدة شتاته، ولم يكف عن الصلاة أو يفقد الأمل بعودتها إليها واستعادة حريته السياسية فيها.

سعى اليهود جيلاً تلو جيل مدفوعين بهذه العلاقة التاريخية والتقليدية إلى إعادة ترسيخ أقدامهم فى وطنهم القديم. وعادت جماهير منهم خلال عقود السنوات الأخيرة. جاءوا إليها روادا ومدافعين: فجعلوا الصحارى تتفتح وأحيوا اللغة العبرية وبنوا المدن والقرى وأوجدوا مجتمعا ناميا يسيطر على اقتصاده الخاص وثقافته، مجتمع يحب السلام لكنه يعرف كيف يدافع عن نفسه وقد جلب نعم التقدم إلى جميع سكان البلاد، وهو يطمح إلى تأسيس أمة مستقلة.

انعقد المؤتمر الصهيونى الأول فى عام ٥٦٥٧ عبرية (١٨٩٧ ميلادية) بدعوة من ثيودور هرتزل الأب الروحى للدولة اليهودية وأعلن المؤتمر حق الشعب اليهودى بتحقيق بعثه القومى فى بلاده الخاصة به.

واعترف وعد بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ بهذا الحق وأكد عليه من جديد صك الانتداب المقرر فى عصبة الأمم، وهى التى منحت بصورة خاصة موافقتها العالمية على الصلة التاريخية بين الشعب اليهودى فى إعادة بناء وطنه القومى.

وكانت النكبة التى حلت مؤخرا بالشعب اليهودى وأدت إلى إبادة ملايين اليهود فى أوروبة، دلالة واضحة أخرى على الضرورة الملحة لحل مشكلة تشرده عن طريق إقامة الدولة

اليهودية فى أرض إسرائيل من جديد، تلك الدولة التى سوف تفتح أبواب الوطن على مصراعيها أمام كل يهودى، وتمنح الشعب اليهودى مكانته المرموقة فى مجتمع أسرة الأمم حيث يكون مؤهلا للتمتع بكافة امتيازات تلك العضوية فى الأسرة الدولية.

تابع الذين نجوا من الإبادة النازية فى أوروبة وسائر اليهود فى بقية أنحاء العالم عملية الهجرة إلى أرض إسرائيل، غير عابئين بالصعوبات والقيود والأخطار، ولم يكفوا أبدا عن توكيد حقهم بالحياة الكريمة وحياة الكدح الشريف فى وطنهم القومى.

ساهمت الجالية اليهودية فى هذه البلاد خلال الحرب العالمية الثانية بقسطها الكامل فى الكفاح من أجل حرية وسلام الأمم المحبة للحرية والسلام وضد قوى الشر والباطل النازية، ونالت بدماء جنودها ومجهودها فى الحرب حقها فى الاعتبار بمصاف الشعوب التى أسست الأمم المتحدة.

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧ مشروعا، يدعو إلى إقامة دولة يهودية فى أرض إسرائيل. وطالبت الجمعية العامة سكان أرض إسرائيل باتخاذ الخطوات اللازمة من جانبهم لتنفيذ ذلك القرار. إن اعتراف الأمم المتحدة هذا بحق الشعب اليهودى فى إقامة دولته هو اعتراف يتعذر الرجوع عنه أو إلغاؤه.

إن هذا هو الحق الطبيعى للشعب اليهودى فى أن يكون سيد نفسه ومصيره مثل باقى الأمم فى دولته السيدة.

وبناء عليه نجتمع هنا نحن أعضاء مجلس الشعب ممثلى الجالية اليهودية فى أرض إسرائيل والحركة الصهيونية فى يوم انتهاء الانتداب البريطانى على أرض إسرائيل، وبفضل حقنا الطبيعى والتاريخى وبقوة القرار الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة لنعلن بذلك قيام الدولة اليهودية فى أرض إسرائيل، والتى سوف تدعى (دولة إسرائيل).

ونعلن أنه منذ لحظة انتهاء الانتداب هذه الليلة، عشية السبت السادس من مايو ٥٧٠٨ عبرية (الموافق للخامس عشر من مايو ١٩٤٨م، حتى قيام سلطات رسمية ومنتخبة للدولة طبقا للدستور الذى تقره الجمعية التأسيسية ـ المنتخبة فى مدة لا تتجاوز أول أكتوبر ١٩٤٨، منذ هذه اللحظة سوف يمارس مجلس الشعب صلاحيات مجلس دولة مؤقت. وسوف يكون جهازه التنفيذى الذى يدعى (إسرائيل).

دولة إسرائيل سوف تفتح أبوابها أمام الهجرة اليهودية لتجميع شمل المنفيين، سوف ترعى تطور البلاد لمنفعة جميع السكان، وستقوم على مبادىء الحرية والعدالة والسلام كما تصورها أنبياء إسرائيل، وستحافظ على المساواة التامة فى الحقوق الاجتماعية والسياسية لجميع سكانها دون تفرقة فى الدين أو العرق أو الجنس، وسوف تضمن حرية الدين والمعتقد واللغة والتعليم والثقافة ـ سوف تحمى الأماكن المقدسة لجميع الديانات، وسوف تكون وفية لمبادىء شرعة الأمم المتحدة.

إن دولة إسرائيل مستعدة للتعاون مع وكالات الأمم المتحدة وممثليها على تنفيذ قرار الجمعية العامة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وسوف تتخذ الخطوات الكفيلة بتحقيق الوحدة الاقتصادية لأرض إسرائيل بكاملها.

نناشد السكان العرب فى دولة إسرائيل وسط الهجوم الذى يشن علينا ومنذ شهور أن يحافظوا على السلام، وأن يشاركوا فى بناء الدولة على أساس المواطنة التامة القائمة على المساواة والتمثيل المناسب فى جميع مؤسسات الدولة المؤقتة.

نمد أيدينا إلى جميع الدول المجاورة وشعوبها عارضين السلام وحسن الجوار، ونناشدهم إقامة روابط التعاون والمساعدة المتبادلة مع الشعب اليهودى صاحب السيادة والمتوطن فى أرضه. إن دولة إسرائيل على استعداد للإسهام بقسطها فى الجهد المشترك لأجل تقدم الشرق الأوسط بأجمعه.

نناشد الشعب اليهودى فى جميع أنحاء المنفى الالتفاف حول يهود أرض إسرائيل ومؤازرتهم فى مهمات الهجرة والبناء، والوقوف بجانبهم فى الكفاح العظيم لتحقيق الحلم القديم ـ خلاص إسرائيل.

نضع ثقتنا بالله القدير ونحن نضيف توقيعنا إلى هذا الإعلان خلال هذه الجلسة لمجلس الدولة المؤقت على أرض الوطن فى مدينة تل أبيب، عشية هذا السبت اليوم الخامس من مايو ٥٧٠٨ (الموافق للرابع عشر من مايو ١٩٤٨).

قانون العودة ٥٧١٠ عبرية - ١٩٥٠ ميلادية

١ - يحق لكل يهودى المجئ إلى البلاد بصفة مهاجر عائد.

٢ - أن يكون الاشتراك فى موجة الهجرة العودة على أساس تأشيرة ممنوحة للمهاجر العائد (تأشيرة مهاجر).

ب - تمنح التأشيرة إلى كل يهودى يعبر عن رغبته فى الاستيطان بأرض إسرائيل، إلا إذا رأى وزير الهجرة واقتنع بأن مقدم الطلب :

١ - يقوم بنشاط موجه ضد الشعب اليهودى أو.

٢ - يحتمل أن يشكل خطرا على الصحة العامة أو يتهدد أمن البلاد وسلامتها.

٣ - أ - ينال اليهودى الذى جاء إلى إسرائيل وعبر وصوله عن رغبته فى الاستيطان بإسرائيل شهادة مهاجر عائد (بطاقة هوية للمهاجرين).

ب - يسرى مفعول القيود المحددة أعلاه فى المادة (٢ب) على منح شهادة المهاجر العائد أيضا، غير أن شخصا لن يعتبر ممن يتهددون الصحة العامة بسبب مرض ألم به بعد وصوله إلى إسرائيل.

٤ - يعتبر كل يهودى هاجر إلى هذه البلاد قبل أن يصبح هذا القانون سارى المفعول، وكل يهودى مولود فى هذه البلاد، سواء كان مولودا قبل أن يصبح هذا القانون سارى المفعول أو بعده شخصا جاء إلى هذه البلاد بصفة (مهاجر عائد) فى ظل هذا القانون.

٥ - يعهد إلى وزير الهجرة بتنفيذ نصوص هذا القانون ومواده، ويجوز له - إصدار القوانين واتخاذ الإجراءات والترتيبات فى جميع المسائل المتعلقة بهذا التنفيذ، ويمنح تأشيرات وشهادات خبرة - العودة إلى القاصرين حتى سن الثامنة عشرة.

مخططات تاريخية صهيونية

عرض الأستاذ محمد السمان فى كتابه « الأصولية الإنجيلية « مخططات تاريخية بارزة » نقتطف منها هذه النقاط : (١)

١٦٤٩ صدر نداء العالمين اللاهوتيين الانجليزيين من هولندا « حوانا والبنزر كاريت رايت » إلى الحكومة للمطالبة بأن يكون للشعب الإنجليزى ولشعب الأرض المنخفضة شرف نقل اليهود إلى الأرض التى وعد الله بها أجدادهم.. ومنحهم إياها إرثا أبديا.

١٦٥٥ تبنى أوليفر كروموبل هذا النداء، وألغى قانون نفى اليهود الذى أصدره الملك إدوارد.

١٦٢٢ نشر هنرى فنش ـ وكان المستشار القانونى لملك انجلترا دراسته من «الاستعادة الكبرى للعالم » ـ يدعو لاستعادة إمبراطورية الأمة اليهودية.

١٧٩٩ دعا نابليون الأول يهود العالم للقتال معه لإعادة مملكة القدس القديمة.

١٨١٨ الرئيس الأمريكى جون آدمز يدعو إلى استعادة اليهود لفلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة.

١٨٣٩ نشر اللورد كوبر « إيدل شافتسبرى » دراسة عن أن اليهود هم الأمل فى تجدد المسيحية وعودة المسيح، وأن لله إرادة بعودتهم إلى فلسطين.

١٨٤٠ برنامج شافتشيرى إلى مؤتمر لندن بشأن توطين اليهود فى فلسطين على قاعدة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

١٨٤٤ البرلمان الإنجليزى يؤلف لجنة إعادة أمة اليهود إلى فلسطين. نشر مشروع إدوارد متفورد « إقامة دولة يهودية متكاملة فى فلسطين تحت حماية انجليزية مؤقتة إلى أن تتمكن الدولة اليهودية من الوقوف على قدميها.

(١) د. عبد الجليل شلبى ـ اليهود واليهودية

١٨٨١ اغتيل القيصر الروسي الإسكندر الثاني.. وتعرض يهود روسيا للاضطهاد والهجرة.

١٨٨٧ أسس بلايستون في شيكاغو منظمة « البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل » لحث اليهود على الهجرة إلى فلسطين ـ هذه البعثة باقية حتى اليوم باسم « الزمالة الأمريكية المسيحية ».

١٨٩٦ صدور كتاب هرتزل : الدولة اليهودية.

١٨٩٧ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال في سويسرا.

١٩٠٣ تشمبرلين يعرض على هرتزل الاستيطان اليهودى في العريش.

١٩١٧ صدور وعد بلفور بمنح اليهود وطنا قوميا في فلسطين.

١٩٢٢ عصبة الأمم المتحدة تقر الانتداب البريطاني على فلسطين ـ وقرار مجلس النواب الأمريكي بضرورة منح اليهود الفرصة التى حرموها لإعادة إقامة حياة يهودية وثقافة خاصة في الأرض اليهودية القديمة.

١٩٢٢ إعلان المصادقة الأمريكية على وعد بلفور الفاتيكان يوجه مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم، ينتقد فيها إقامة وطن لليهود في فلسطين.

١٩٣٠ تأسست منظمة « الاتحاد الأمريكى من أجل فلسطين » للدفاع عن وطن اليهود القومي.

١٩٤٣ انعقاد مؤتمر برمودا من روزفلت.. وفتح أبواب هجرة اليهود إلى فلسطين. الفاتيكان يعارض إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

١٩٤٤ أرسل الفاتيكان إلى الولايات المتحدة يحذر من الخضوع إلى المطالب الصهيونية.

١٩٤٧ ترومان يدعو إلى تحقيق أكثرية يهودية في فلسطين، ويطلب من إنجلترا أن تسمح لمائة ألف مهاجر يهودى بدخول فلسطين. صوتت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وتدويل القدس ـ بأكثرية ٣٣، ومعارضة ١٣، وامتناع ١٠ عن التصويت.

١٩٤٨ قيام الكيان الإسرائيلى، واعتراف أمريكى وسوفيتى به، أمريكا تقرض إسرائيل بقيمة مائة مليون دولار.

١٩٤٩ مساعدة أمريكية لإنماء إسرائيل بقيمة ١٥٠ ألف دولار، احتلت إسرائيل جنوب النقب، ووصلت إلى خليج العقبة « إيلات ».

١٩٥٦ العدوان الثلاثى على مصر.

١٩٦٤ إسرائيل تمنع بالقوة العسكرية ـ تحويل روافد نهر الأردن فى لبنان وسوريا.

١٩٦٧ حرب على مصر وسوريا والأردن، واحتلال سيناء وغزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان والقدس.

١٩٦٩ محاولة إحراق المسجد الأقصى.

١٩٧٦ إعلان جيمى كارتر «أن تأسيس إسرائيل المعاصرة، تحقيق للنبوءة التوراتية».

١٩٧٨ مؤتمر كامب ديفيد.

١٩٧٩ معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية.

١٩٩٤ معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية.

الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومقارنتها بالهجرة اليهودية العالمية (١٨٤٠ ـ ١٩٤٢) (١)

الفترة	المجموع	الهجرة إلى العالم الجديد						جنوب افريقيا	بلدان أخرى غير فلسطين	فلسطين	النسبة المئوية
		الولايات المتحدة	كندا	الأرجنتين	البرازيل	أورجواي	بلدان امريكية اخرى				
١٨٤٠ ـ ١٨٨٠	٢٢١,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	١,٦٠٠	٢,٠٠٠	٥٠٠	-	١,٠٠٠	٤,٠٠٠	٢,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٤,٥
١٨٨١ ـ ١٩٠٠	٧٦٤,٠٠٠	٦٧٥,٠٠٠	١٠,٥٠٠	٢٥,٠٠٠	١,٠٠٠	-	١,٠٠٠	٢٣,٠٠٠	٤,٠٠٠	١٥,٠٠٠	٣,٣
١٩٠١ ـ ١٩١٤	١,٦٠٢,٤٤١	١,٣٤٦,٠٠٠	٩٥,٣٠٠	٨٧,٦١٤	٨,٧٥٠	-	٣,٠٠٠	٢١,٣٧٧	١٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١,٩
١٩١٥ ـ ١٩٢٠	٨٩,٣١٠	٧٦,٤٥٠	١٠,٤٥٠	٣,٥٠٣	٢,٠٠٠	١,٠٠٠	٥,٠٠٠	٩٠٧	٥,٠٠٠	-(١٥,٠٠٠)	-(١٦,٦)
١٩٢١ ـ ١٩٢٥	٤٢٦,٩٣٠	٢٨٠,٢٨٣	١٤,٤٠٠	٣٩,٧١٣	٧,١٣٩	٣,٠٠٠	٧,٠٠٠	٦,٦٣٠	١٠,٠٠٠	٦٠,٧٦٥	١٤
١٩٢٦ ـ ١٩٣٠	١٧٢,٩٠٨	٥٤,٩٩٨	١٥,٣٠٠	٣٣,٧٢١	٢٢,٢٩٦	٦,٣٧٠	١٠,٠٠٠	١٠,٠٤٤	١٠,٠٠٠	١٠,١٧٩	٥,٩
١٩٣١ ـ ١٩٣٥	٢٣٨,٢٥٠	١٧,٩٨٦	٤,٢٠٠	١٢,٧٠٠	١٣,٠٧٥	٣,٢٨٠	١٥,٠٠٠	٤,٥٠٧	٢٠,٠٠٠	١٤٧,٥٠٢	٦١,٧
١٩٣٦ ـ ١٩٤٢	٢٦٩,٥٩٥	١٧,٨١٩	٩٠٠	١٤,٧٨٩	١٠,٦٠٠	٧,٦٧٧	١٥,٠٠٠	٥,٣٠٠	٦٠,٠٠٠	٧٥,٥١٠	٢٨,١
١٩٤٠ ـ ١٩٤٢	١٣١,٩٥٤	١٣١,٩٥٤	٨٠٠	٤,٥٠٠	٦,٠٠٠	١,٠٠٠	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	٢٦,١
١٨٤٠ ـ ١٩٤٢	٣,٩١٦,٩٨٨	٢,٨٠١,٨٩٠	١٥٣,١٥٠	٢٢٣,٥٤٠	٧١,٣٦٠	٢٢,٣٢٧	٥٩,٠٠٠	٧٥,٧٦٥	١٣١,٠٠٠	٣٧٨,٩٥٦	٩,٧

(١) المصدر: Finkelstein, .L., OP. cit., Vol. 2, Table 3A, P. 1554, and Table 3B, P.1555.

موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين من ١٨٨٢ - ١٩٤٨ (١)

الموجة	الفترة	عدد المهاجرين دون خصم الهجرة العكسية	بلد الأصل الرئيسى الذى وفد منه المهاجرون	الصفات الرئيسية للمهاجرين
الأولى	١٨٨٢ - ١٩٠٣	٢٠,٠٠٠ - ٣٠,٠٠٠	روسيا القيصرية	أعضاء محبى صهيون و« بيلو» بعد موجة اضطهاد عام ١٨٨١
الثانية	١٩٠٤ - ١٩١٤	٣٥,٠٠٠ - ٤٠,٠٠٠	روسيا القيصرية	من العمال الأعضاء فى الحركة الصهيونية بعد اضطهاد ١٩٠٤ - ١٩٠٥
الثالثة	١٩١٩ - ١٩٢٣	٣٥,٠٠٠	الاتحاد السوفييتي أو بولندا أو بلاد بحر البلطيق	مهاجرون من الرواد والعناصر المدربة بعد تصريح بلفور
الرابعة	١٩٢٤ - ١٩٣١	٨٢,٠٠٠	بولندا، والاتحاد السوفييتي والبلقان والشرق الأوسط	مهاجرون من الطبقة المتوسطة، دفعهم إلى فلسطين سوء الأحوال الاقتصادية في بولندا، وعدم تمكينهم من دخول الولايات المتحدة، بسبب القيود التى فرضتها على الهجرة
الخامسة	١٩٣٢ - ١٩٣٨	٢١٧,٠٠٠	بولندا، وسط أوروبا	مهاجرون ذوو سعة اقتصادية من أرباب المهن الحرة، وغيرهم ممن هربوا من الاضطهاد النازى فى ألمانيا.
الحرب العظمى الثانية	١٩٣٩ - ١٩٤٥	٩٢,٠٠٠	وسط أوروبا، والبلقان والشرق الأوسط	مهاجرون من الرواد، ومن اللاجئين اليهود الذين نجوا من الاضطهاد النازى
ما بعد الحرب	١٩٤٦ - ١٩٤٨	٦١,٠٠٠	بولندا، وسط أوروبا والبلقان	معظمهم من الهجرة السرية

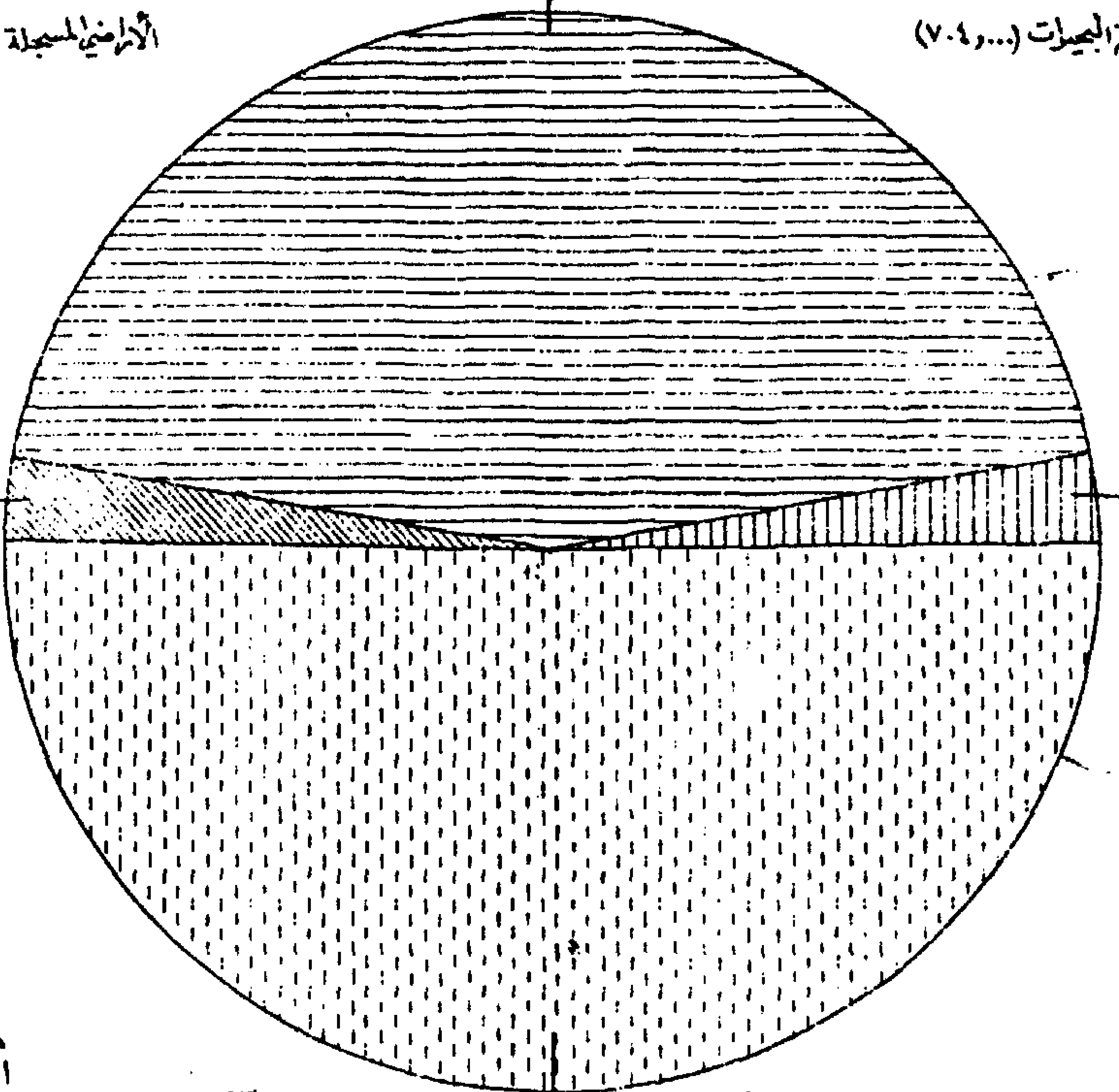
(١) Sitton, S., OP. Cit., Tableau 2. PP. 32, 33.

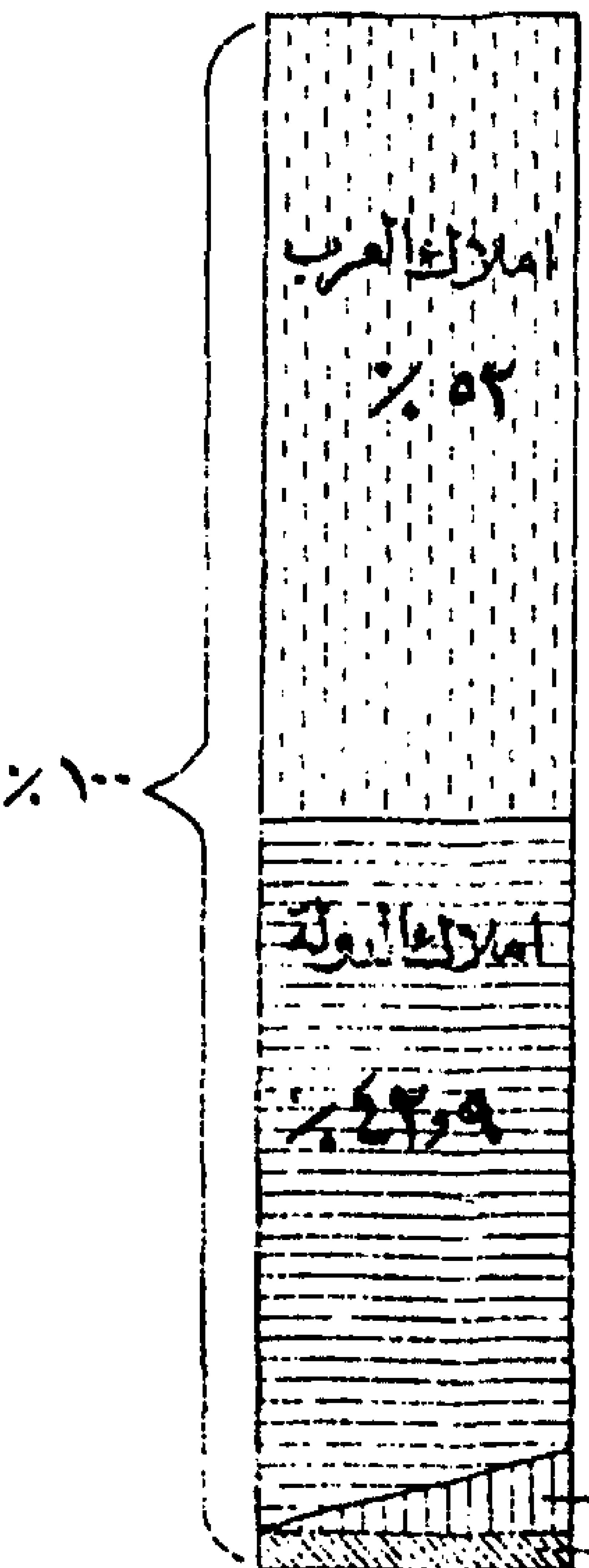
وانظر أيضا صايغ (يوسف عبد الله)، الاقتصاد الإسرائيلى، جدول رقم ٣، ص ٥٠.

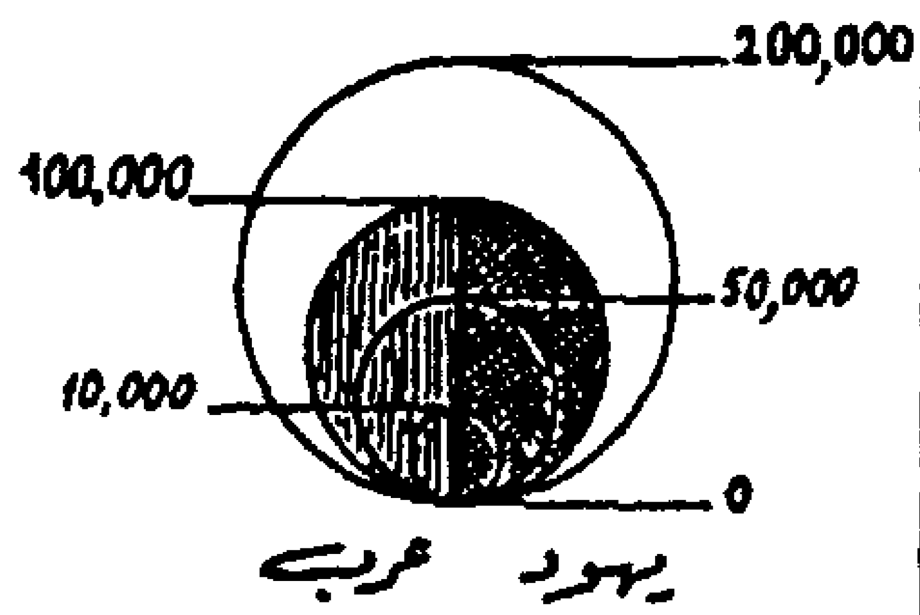
مصادر البحث :

١ ـ المسيحية وإسرائيل ـ بشرى زخارى ميخائيل .
٢ ـ هذه فلسطين ـ حسين التريكي .
٣ ـ القضية الفلسطينية ـ المؤلف .
٤ ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ عباس العقاد ـ محمد خليفة التونسي .
٥ ـ النظام السياسى الإسرائيلى ـ د . كمال الغالى .
٦ ـ مطامع اليهود فى فلسطين قديماً وحديثاً ـ د . محمد بديع الشريف .
٧ ـ قضية فلسطين ـ د . صلاح العقاد .
٨ ـ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ـ رجاء جارودى .
٩ ـ العلاقات العربية الإسرائيلية ـ ارنولد توينبى .
١٠ ـ الصهيونية غير اليهودية ـ روجينا الشريف .
١١ ـ اليهود ـ د . جمال حمدان .
١٢ ـ اليهود واليهودية ـ د . عبد الجليل شلبى .
١٣ ـ القدس ـ عبد الحميد الكاتب .
١٤ ـ بيت المقدس ـ د . عبد الفتاح أبو علية ـ د . عبد الحليم عويس .
١٥ ـ التمرد . قضية الأراجون ـ مناحم بيجين .
١٦ ـ الاستعمار الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين ـ د . سيد ياسين ـ د . على الدين هلال .
١٧ ـ المستوطنات اليهودية فى الفكر الصهيونى ـ حسن فؤاد .
١٨ ـ الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية ـ محمد حسنين هيكل .
١٩ ـ الموسوعة التاريخية لدولة إسرائيل
٢٠ ـ مجلة روز اليوسف (٥٠ عاماً من الاغتصاب) .
٢١ ـ معالم تاريخ الإنسانية ـ هـ . ج ويلز .
٢٢ ـ تقارير جامعة الدول العربية ـ عن اللاجئين الفلسطينيين .
٢٣ ـ القرارات الدولية الصادرة عن عصبة الأمم .
٢٤ ـ القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة .

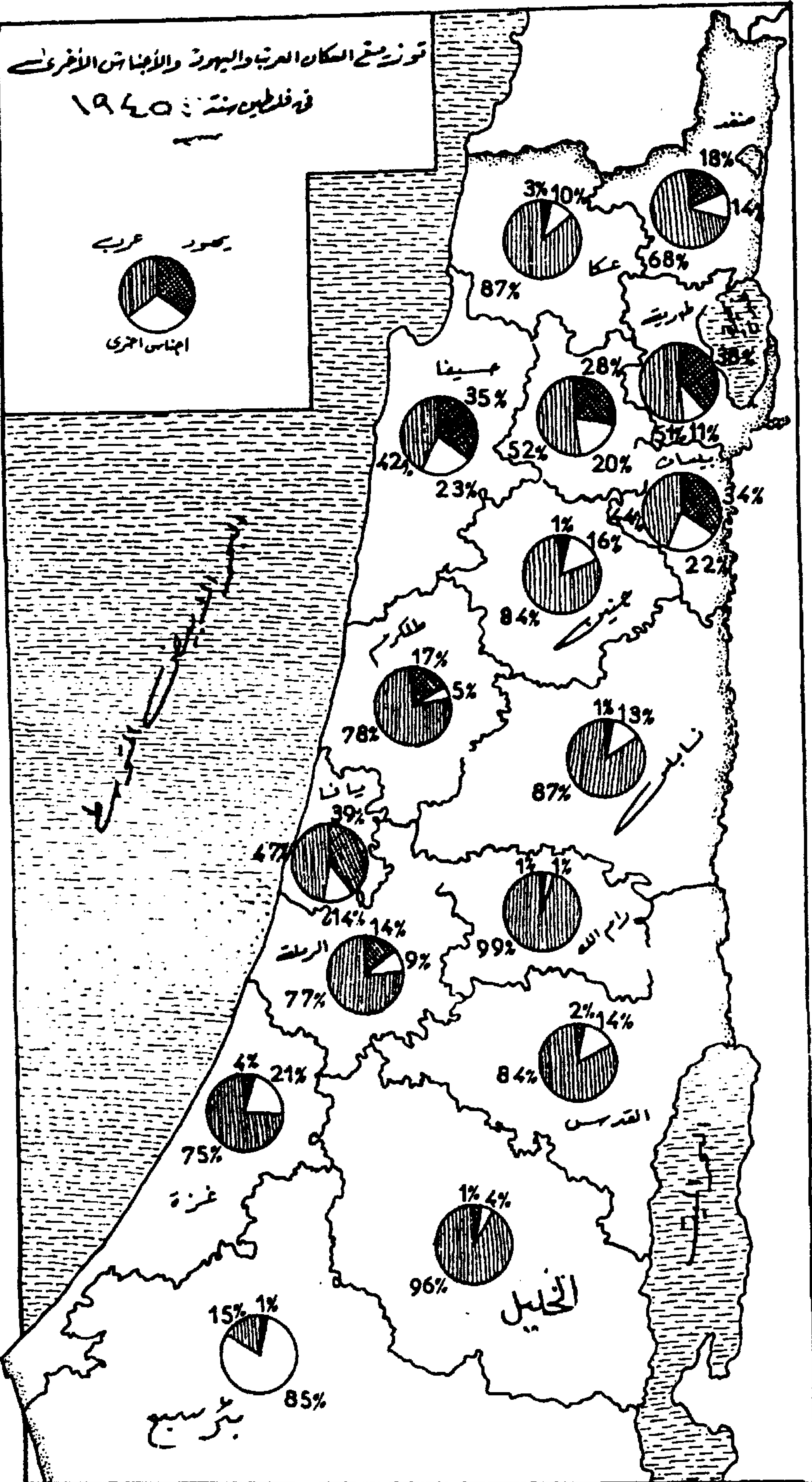
ملحق الخرائط


توزيع أراضي فلسطين من حيث تسجيل ملكيتها رسمياً عام ١٩١٨
مساحة فلسطين الكلية (٢٧،٠٢٧،٠٣٢) دونم
(١ دونم = ١٠٠٠ متر مربع)
الأراضي المسجلة أملاكاً للدولة
الأراضي الأميرية
١٢،٠٠٠،٠٠٠
الأراضي المسجلة لليهود ٦٥٠،٠٠٠
مساحة البحيرات (٧٠٤،٠٠٠)
الأراضي المسجلة أملاكاً للعرب ١٣،٦٧٣،٠٣٢


أملاك العرب
٥٢ ٪
أملاك الدولة
٤٢،٩ ٪
مساحة البحيرات ٢،٦٪
أملاك اليهود ٢،٥٪
١٠٠ ٪


توزيع السكان العرب واليهود في فلسطين سنة ١٩٤٧
200,000
100,000
50,000
10,000
0
يهود
عرب

صفد
13%
87%
4%
96%
عكا
47%
53%
حيفا
16%
84%
الناصرة
33%
67%
طبرية
30%
70%
بيسان
100%
جنين
17%
83%
طولكرم
100%
نابلس
29%
71%
يافا
22%
78%
الرملة
100%
رام الله
33%
62%
القدس
2%
98%
غزة
1%
الخليل
1%
بئر سبع


توزيع السكان العرب واليهود والأجناس الأخرى
في فلسطين سنة : ١٩٤٥
يهود
عرب
اجناس اخرى
صفد
18%
14%
68%
عكا
3%
10%
87%
طبرية
38%
51%
11%
حيفا
35%
42%
23%
28%
52%
20%
بيسان
34%
44%
22%
1%
16%
84%
جنين
طولكرم
17%
5%
78%
1%
13%
87%
نابلس
يافا
39%
47%
14%
1%
1%
99%
رام الله
الرملة
14%
9%
77%
2%
14%
84%
القدس
4%
21%
75%
غزة
1%
4%
96%
الخليل
15%
1%
85%
بئر سبع

نهاية إسرائيل ويهوذا

البحر الأسود

آسيا الصغرى

قبرص

إسرائيل

يهوذا

البحر المتوسط

مصر

البحر الأحمر

آشور

بحيرة وان

بحيرة أورمية

نهر الفرات

نهر دجلة

نينوى

بابل

بابل

ميديا

حلح

خابور

بحر الخزر

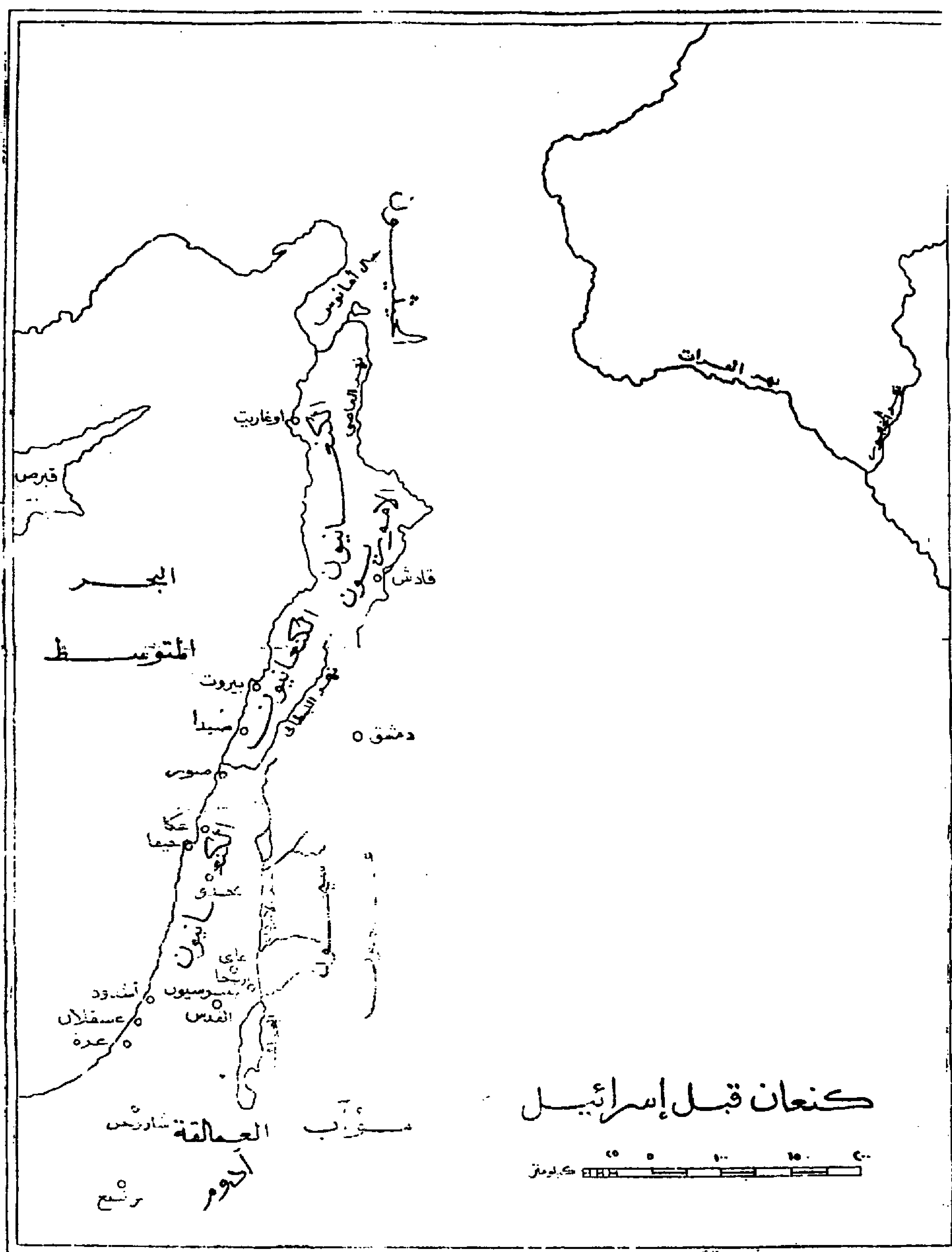
الخليج العربي

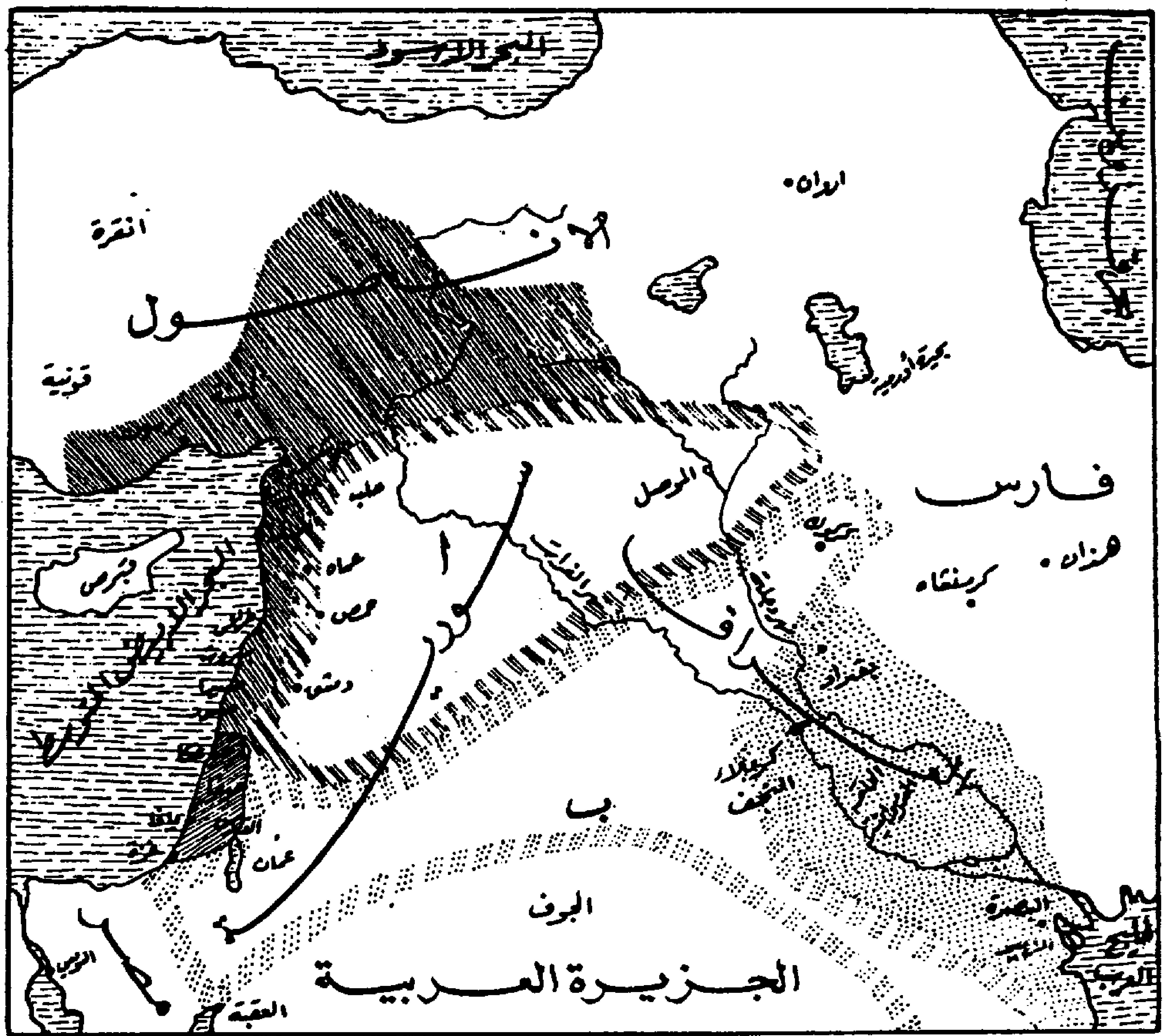
سبى إسرائيل إلى ميديا

سبى يهوذا إلى بابل

أورشليم

السامرة


كنعان قبل إسرائيل
البحر
المتوسط
قبرص
اوغاريت
قادش
بيروت
صيدا
دمشق
صور
عكا
حيفا
أشدود
عسقلان
غزة
القدس
أريحا
عاى
نهر الفرات
نهر العاصي
العمالقة
موآب
أدوم
كيلومتر

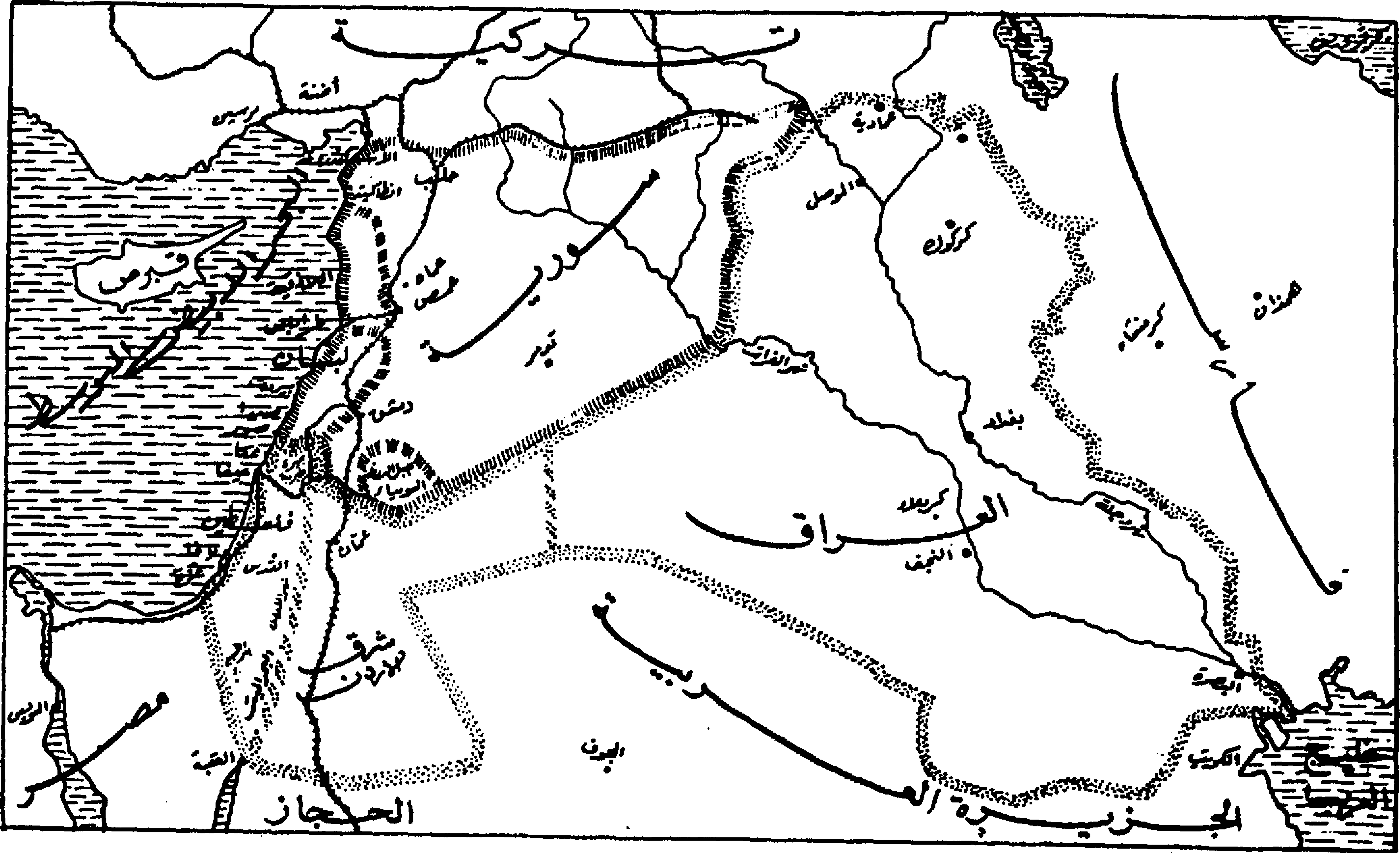


تقسيم المشرق العربي
حسب اتفاقية (سايكس بيكو) سنة ١٩١٦

المنطقة الزرقاء الخاصة بفرنسا — منطقة (أ) داخلية سوريا الخاصة بفرنسا

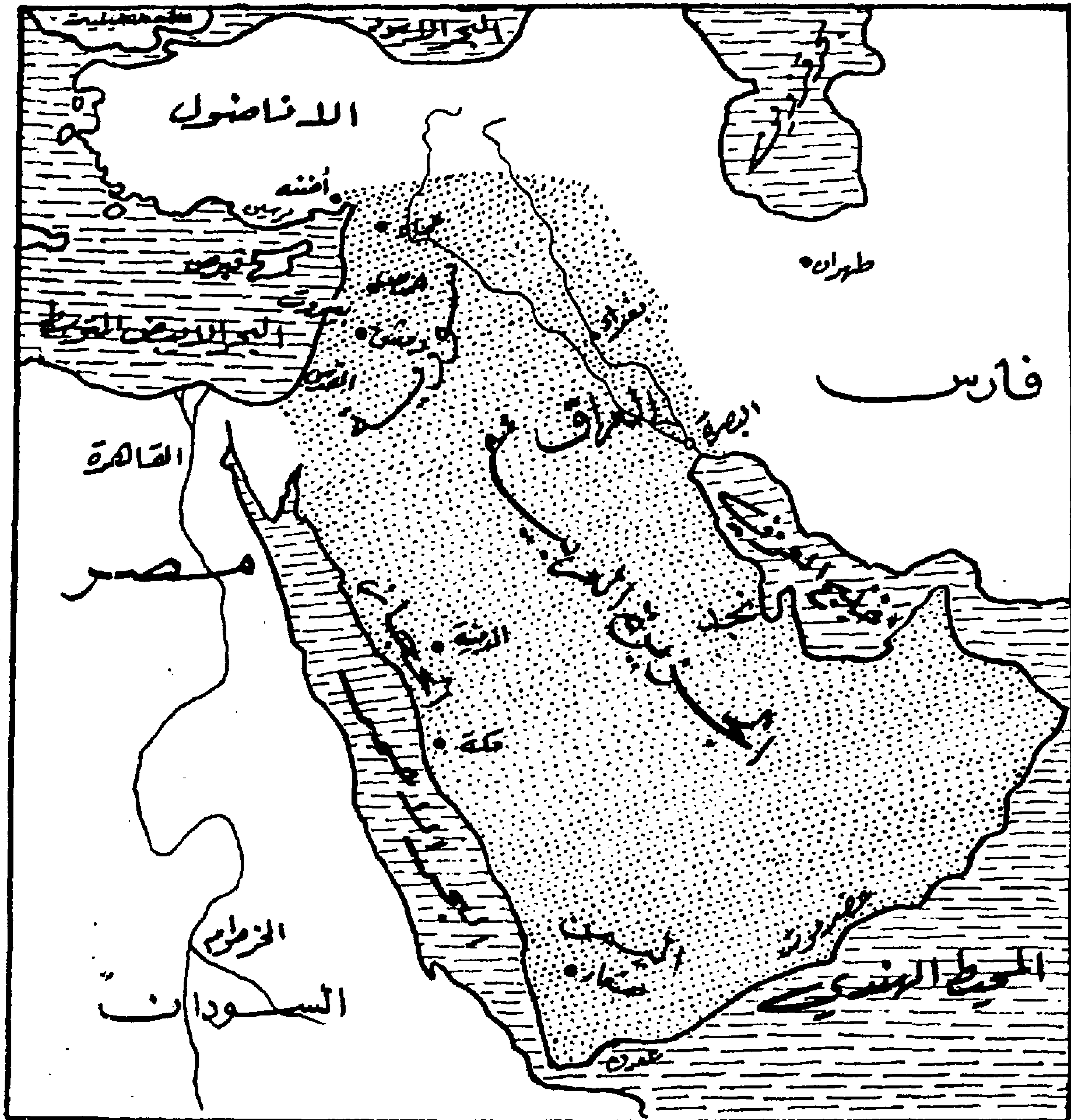
المنطقة الحمراء الخاصة بانجلترا — منطقة (ب) داخلية العراق الخاصة بانجلترا

المنطقة السمراء فلسطين



مناطق الانتداب البريطاني ▒ والفرنسي ▒
في سورية وفلسطين والعراق

حدود البلاد العربية حسب اتفاقية حسين - ماكمهون ١٩١٦



تمثل الاجزاء المظللة المنطقة العربية المستقلة كما حددها الشريف حسين في مذكرته المؤرخة في 14 تموز "يوليه" سنة 1915

فلسطين حسب مشروع تقسيم ١٩٤٧

العرب

اليهود

بيروت

لبنان

دمشق

القنيطرة

سوريا

بحيرة طبرية

حيفا

الناصرة

البحر المتوسط

نابلس

تل أبيب

أريحا

عمان

القدس

غزة

بورسعيد

البحر الميت

القنطرة

العريش

الإسماعيلية

البحيرات المرة

الأردن

السويس

سيناء

معان

مصر

العقبة

خليج السويس

خليج العقبة

المملكة العربية السعودية

شرم الشيخ

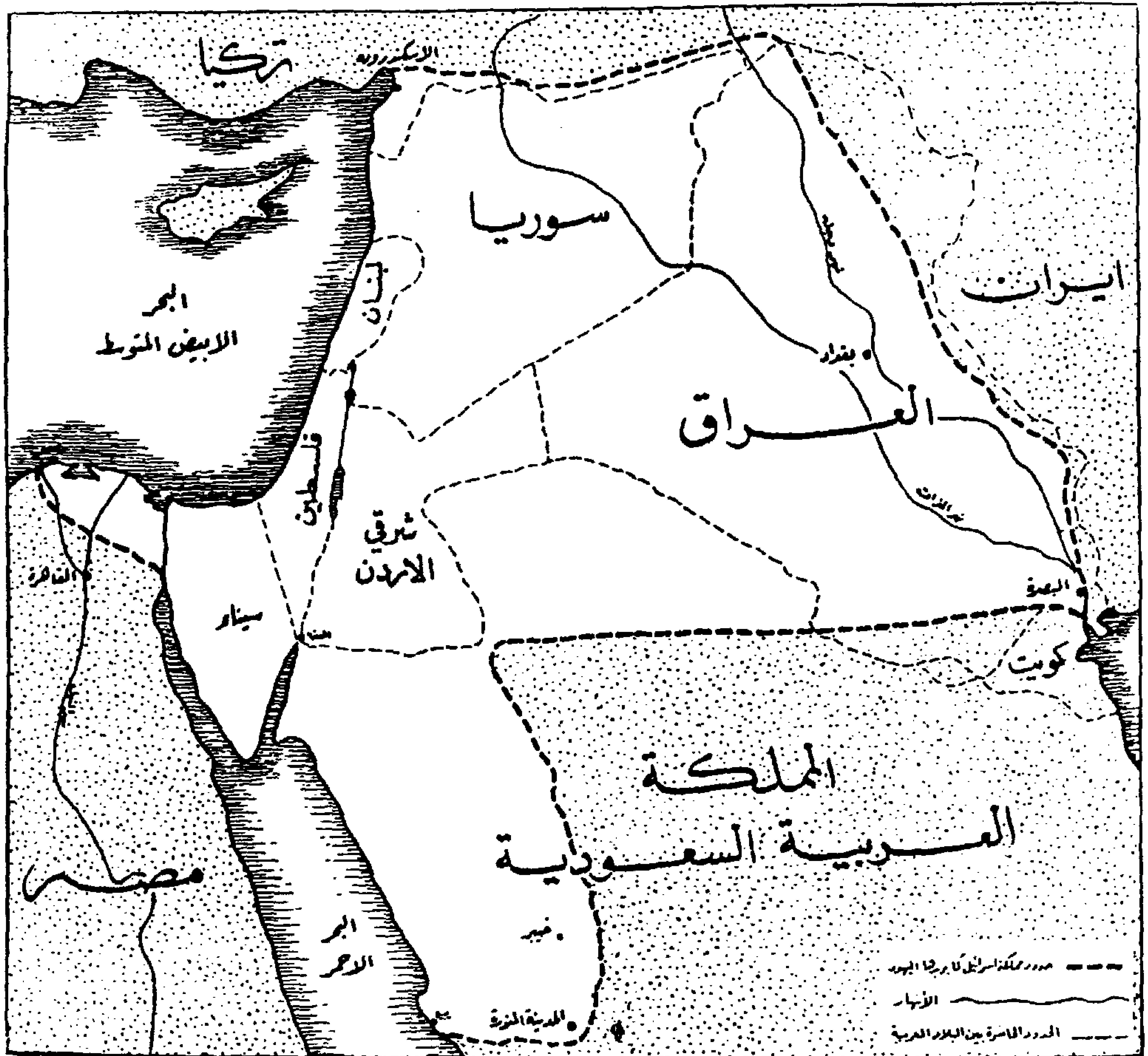
مضيق تيران

فلسطين بعد العدوان الإسرائيلي ١٩٦٧

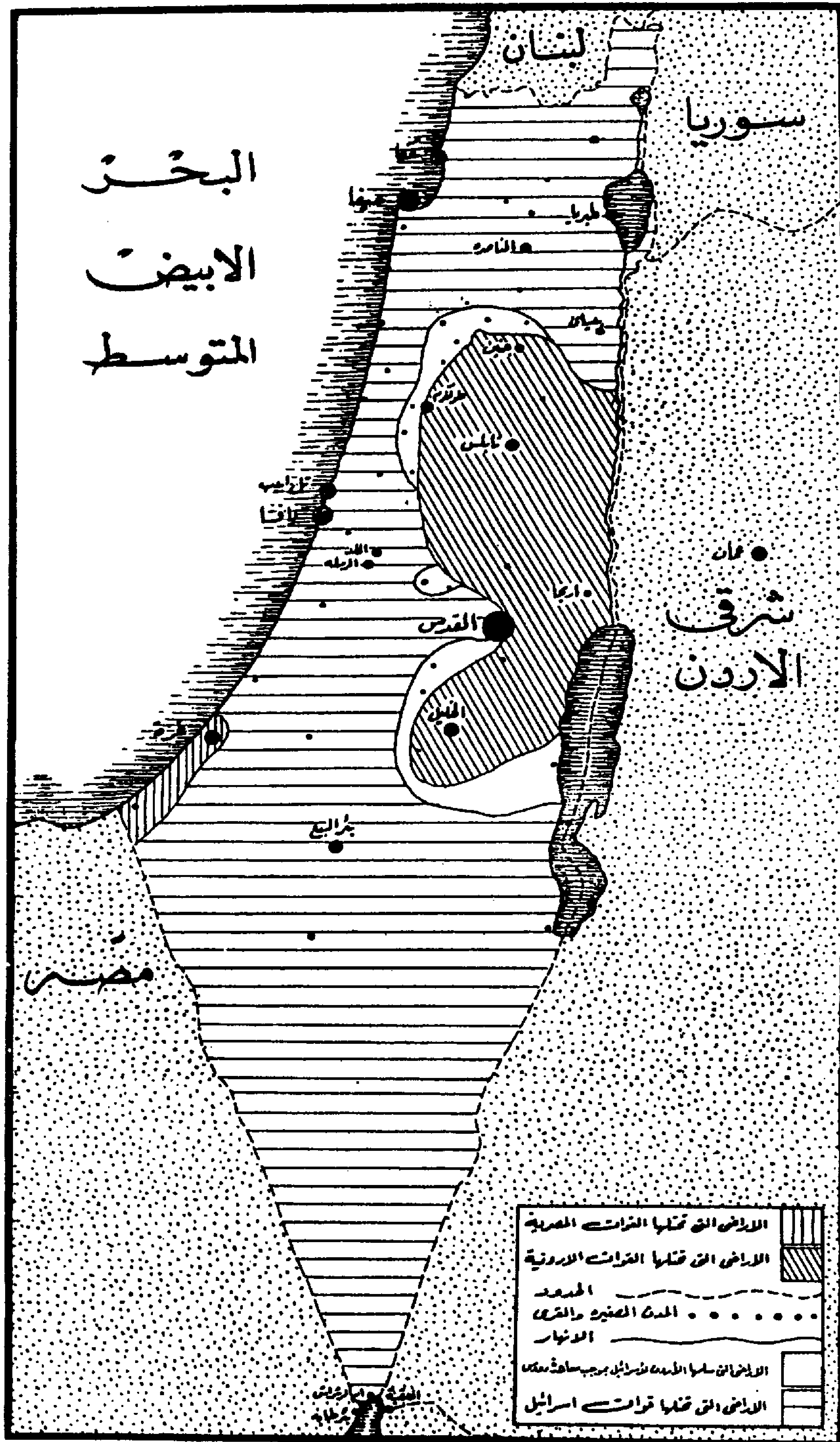
حدود إسرائيل بعد سنة ١٩٤٨

المناطق التي إحتلتها إسرائيل في ١٩٦٧

بيروت
لبنان
دمشق
القنيطرة
سوريا
بحيرة طبرية
حيفا
الناصرة
البحر المتوسط
نابلس
تل أبيب
نهر الأردن
عمان
أريحا
القدس
غزة
بورسعيد
الخليل
البحر الميت
بئر سبع
العريش
القنطرة
الإسماعيلية
الأردن
البحيرات المرة
السويس
سيناء
معان
مصر
العقبة
إيلات
خليج السويس
خليج العقبة
المملكة العربية السعودية
شرم الشيخ



{ خريطة تبين مدى مطامع اليهود فى البلاد العربية }

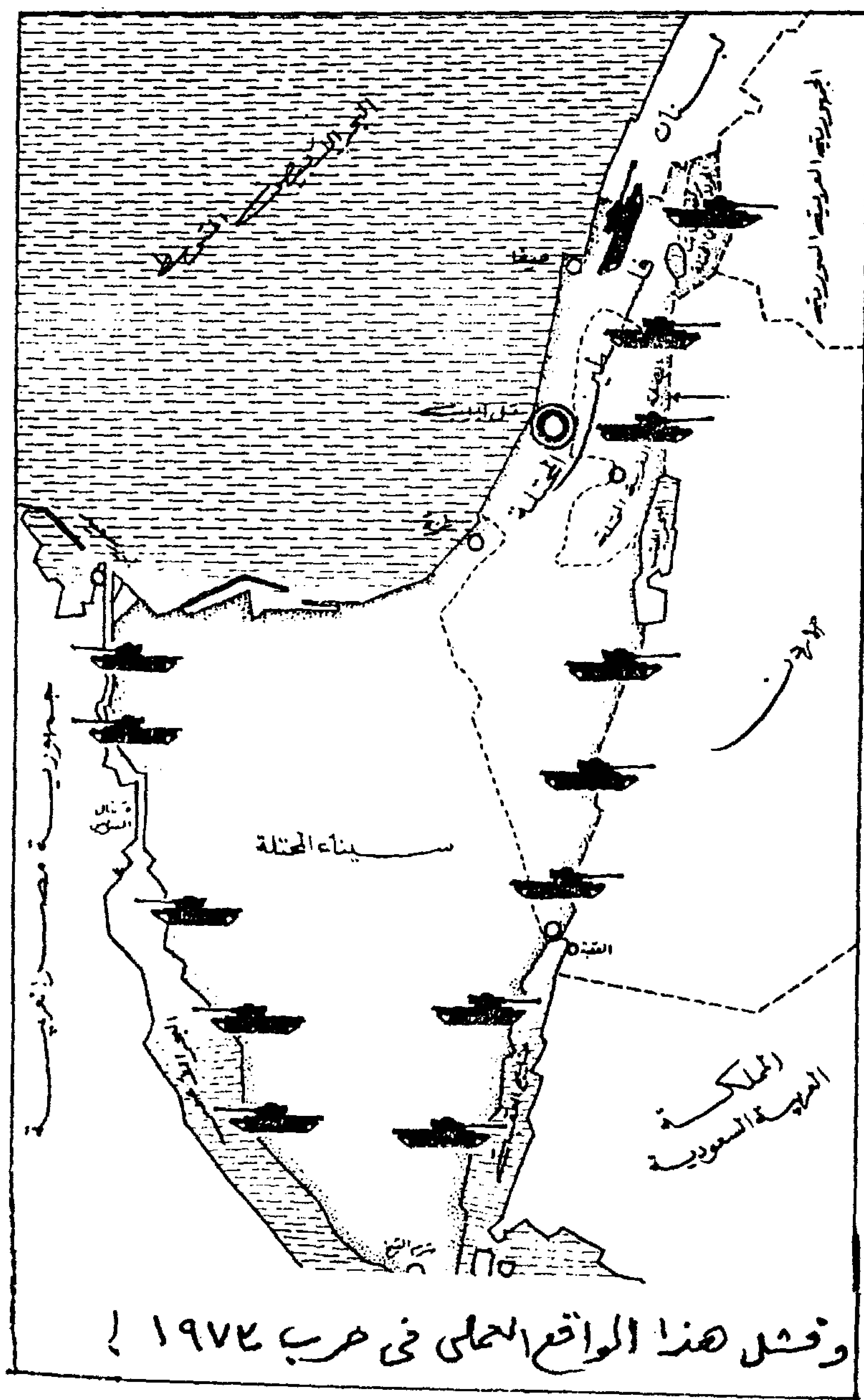


(خريطة توضح المناطق التي سلمتها السلطات الاردنية لليهود بعد معاهدة رودس)

قال وايزمان سنة ١٩١٩

لنفسح المجال لليهود ليأخذوا فلسطين ، وبعد ذلك يستطيعون ان يحصلوا على ما يريدون .

..وهكذا ترجم قوله في الواقع العملي سنة ١٩٦٧ !



وفشل هذا الواقع العملي في حرب ١٩٧٣ !

رقم الإيداع : ٩٩/١٧٣٢٠

مطابع الدار الهندسية ت : ٥٤٠٢٥٩٨

هذا الكتاب

مؤلف هذا الكتاب له كتب وأبحاث ودراسات تـدور حول القضية الفلسطينية منـذ بدايـة الصـراع العربـى الاسرائيلى فى منتصف هذا القرن .

وبرغم أن هذه الدراسات قد غطت الكثير من الأحداث الفلسطينية والعربية من جانب والعدو الصهيونى وأدواتـه الاستعمارية من جانب آخر ، إلا أن هذا البحـث الأخير الشامل قد أعاد هذا الصراع إلى بدايته منذ بـدء الديانـة اليهودية الموسوية .

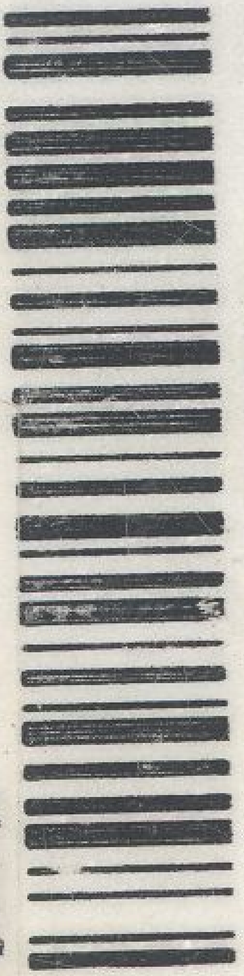
لقد تمرد بنو إسرائيل على أنبيائهم منذ نبيهـم موسـى وأخيه هارون عليهما السلام .. وتنكروا للكتب السـماوية نفسها ، بل وضعوا ديناً من عندهم يحمل الأمانى الكاذبـة والادعاءات الباطلة على الله ورسله .

لقد حرص اليهود على تزييف التاريخ لصالح أهوائهـم وشهواتهم ، ومنها الوعد الإلهى بـأرض فلسـطين وهـذه أسطورة من أساطيرهم !!

هذا ما تعرض له هذا الكتاب باستفاضة منذ بداية الديانة اليهودية إلى المؤسسة الصهيونية وبالتواطؤ مع الإسـتعمار العالمى لاحتلال أرض وتحطيم وطن .

والله ولى التوفيق ،،

الناشر



ISBN: 977-281-115-4



ACADEMIC BOOKSHOP